احتوى من مقام ابراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك

تأليف

حسين عبد الله باسلامة

﴿ عضو مجلس الشورى بمكة ﴾

ومؤلف كتاب حياة سيد العرب ، وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية

الطبعة الاولى

قيمة الجزء اربعة ريالات عربية

المطبعة الشرقية بجدة

/١١/١٣٥٤



مؤلف هذا الكتاب حسين عبد الصمد باسلامة المكي الحجازي

ترجمة المؤلف

الصديق الاستاذ الشيخ حسين باسلامه

هو حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندي الحضرمي المكي ، ولد بمكة المكرمة في أول يوم من شهر صفر عام الالف والمائتين والتسعة والتسعين من الهجرة النبيوية الموافق ٣ يناير سنة ١٨٨١ ميلادية فقرأ القرآن المجيد في احدى المكاتب البسيطة على فقيه سوداني اسمه الشيخ فرج بن عبدالله ، وقرأ التجويد على الفقيه الشيخ علي المنصوري ، وتعلم الكتابة والاملاء وجودة الخط والحساب على الشيخ سليمان بن محمد فرج الغزاوي الخطاط الشهير بمكة المكرمة أولا ، ثم اكمل ذلك على المرحوم الشيخ محمد الفارسي ، ودرس نحو سنتين في المكتب الرشدي بالطائف ولم يكمل دراسته فيه ، وقرأ على الشيخ يوسف اليماني امام مسجد الهادي بالطائف شيئاً من الفقه ومبادئ التفسير . وفي أثناء ذلك توفي والد المؤلف المذكور في غرة صفر سنة ١٣١٥ هـ بالطائف فاشتغل بعد وفاة والده بالتجارة لتأمين معيشته واستمر فيها الى سنة ١٣٤٤ هـ

ابتداء طلب العلم

تعرف المؤلف في سنة ١٣٢٠ هـ بحضرة محمد عبيدالله افندي الذي كان مبعوثا لايدين بمجلس المبعوثان العثماني ، والذي هو الآن عضو المجلس الملي التركي بانقره ودرس عليه فن الجغرافيا ومبادئ التاريخ وشيئاً من فن الحساب ومبادئ علم الفلك ولازمه ملازمة تامة الى سنة ١٣٢٣ هـ فتلقى عنه كثيراً من العلوم العصرية المتعلقة بالسياسة والاجتماع وما أشبه ذلك

وفي سنة ١٣٢٢ هـ درس على علامة المغرب الاقصى المحدث النابغة اللغوي الحافظ الشيخ محمد شعيب المغربي بمكة علم مصطلح الحديث وعلم الحديث والتفسير وشيئاً من

أصول الفقه واستمرت دراسته عليه فى هذه العلوم الى سنة ١٣٢٧ هـ وفيها توجه الشيخ محمد شعيب الى المغرب الاقصى، وتقلد وزارة الحقانية فى حكومة فاس

ودرس فن الحديث والتراجم على العلامة المحدث اللغوى المفسر الزاهد المرحوم الشيخ محمد ألفا هاشم الفلاته التكرونى من سنة ١٣٢٢ الى سنة ١٣٢٦ بمكة ثم توجه الشيخ المشار اليه الى المدينة المنورة وجاور بها الى ان توفى بها سنة ١٣٤٨

ودرس فن الادب على الأستاذ العلامة المرحوم الشيخ عبد الجليل افندى براده المدنى امام الأدب فى الحجاز حال اقامته بمكة من سنة ١٣٢٣ — الى سنة ١٣٢٦ هـ وتوجه الشيخ عبد الجليل المشار اليه الى المدينة المنورة بعد حج سنة ١٣٢٦ هـ وتوفى فيها يوم دخوله فى نهاية السنة المذكورة وقد بلغ من العمر خمساً وثمانين سنة

ودرس فن الحديث والفقه والتفسير ومبادئ العربية على العلامة الفقيه المحدث المفسر الصوفى الورع السيد حسين بن محمد الحبشى مفتى الشافعية بمكة نحو عشر سنين ولازمه تلك المدة واجتمع بكثير من العلماء فى مجلس السيد المشار اليه وحضر عدة مباحث دارت بين العلماء فى ذلك المجلس وتوفى السيد حسين المومى اليه بمكة فى شوال سنة ١٣٣١ هـ

هذا ما كان من تلقى المؤلف علومه بمكة المكرمة وقد سافر فى خلال هذه المدة الى مصر وسوريا عدة مرات واجتمع بكثير من العلماء الاجلاء : كما انه اجتمع بطائفة من العلماء الذين قد وفدوا الى مكة المكرمة بقصد اداء فريضة الحج وباحث وناظر ، واستفاد وافاد وأخذ عن كثير منهم شتى العلوم والفنون والمعارف . وتعرف أيضاً اثناء اسفاره بأرباب الصحف والمجلات العربية فى فى الاستانة ومصر وسوريا وكتب ونشر فى تلك الصحف كثيراً من المقالات الاجتماعية والعلمية والسياسية وتوكل لكثير منها ونشرها فى الحجاز وذلك فى عصر الحكومة العثمانية كما انه درس شتى العلوم العصرية شأن طلبة العلم المجدين فى تحصيل العلوم والفنون والمعارف وقد توجهت فكرته الى درس التاريخ

الاسلامى من عموم نواحيه درسا دقيقاً سواء التاريخ القديم والحديث ولذلك تسنى له أن يصدر التواريخ القيمة التى سيأتى ذكرها

وقد مارس المؤلف المذكور فن التدريس وأول مدرسة قام بالقاء العلوم فيها المدرسة الخيرية التى أسسها الاستاذ العلامة المرحوم الشيخ محمد حسين خياط أحد علماء مكة المكرمة الناهضين بنشر العلوم والمعارف وتثقيف الناشئة المكية وذلك سنة ١٣٢٧ هـ فكان يلقى على طائفة من خيار التلامذة علم الجغرافية والأخلاق الفاضلة ومبادئ التاريخ وذلك حسب رغبة مدير المدرسة المشار اليه وقد توفى الأستاذ محمد حسين الخياط فى جاوا سنة ١٣٣٢ هـ

تآليف المؤلف المذكور

أول ما ألف المؤلف المذكور من الكتب كتاب (الجوهر اللماع) جمع فيه حكم الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه المنظوم منها والمنثور وذلك فى سنة ١٣٢٦ هـ وقد طبعه فى تلك السنة بمصر . ثم ألف كتابا يتضمن ما وقع بين الأئمة الأربعة من الخلاف فى الاوقات التى تكره فيها الصلاة وأتى فيه بأدلتهم من كتب السنة ، وألف كتابا فى الناسخ والمنسوخ من القرآن ، وألف كتابا فى وجوب الصلاة على النبى ﷺ فى التشهد الاخير وكتابا فى تحريم المتعة والرد على من أباحها ، وكتابا فى معنى كرامة الأولياء ، ثم ابتدأ المؤلف المذكور فى شرح مسند الامام الشافعى رضى الله عنه ولم يتمه وذلك لأنه توسع فى الشرح واسترسل فى تتبع ماورد فى كتب السنة من الاحاديث المتعلقة بالموضوع وبأدلة كل امام من الأئمة الاربعة وأوضح اسباب الاختلاف ، غيرانه قبل أن يتم الجزء الاول منه وقعت الحرب الكبرى سنة ١٣٣٢ التى توافق سنة ١٩١٤ ميلادية فوقف عن اكماله ، وكل هذه المؤلفات المتقدم ذكرها مصادرها كتب الحديث والتفسير واللغة والتراجم وما فى معنى ذلك ولم يطبع منها شيئاً

وقد أمسك المؤلف المذكور عن تأليف الكتب من سنة ١٣٣٢ هـ الى سنة ١٣٤٩ هـ ثم شرع فى السنة المذكورة بتأليف كتاب (حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) وجعله خمسة أقسام، أما القسم الاول فهو مختص بحياة النبي ﷺ من ولادته الى وفاته، وأوضح فيه كل ما جاء به سيد الأمم من عرب وعجم من الهدى ودين الحق والتشريع الدينى والاجتماعي والسياسي وانه ﷺ هو الذى جاء بنظام العالم والامم، وبالسياسة الطاهرة النقية من كل مواربة وخدعة، وبالعمران النضر والحضارة البهجة، حتى صار ذلك محل اعجاب اعلام الغرب من أوربيين وأمريكيين وقد طبع هذا القسم فى أربعة أجزاء تبلغ (١٣٦٠) صحيفة وقد اطلع عليه كثير من أفذاذ العلماء فى الآفاق فكان محل تقديرهم واعجابهم وأثنوا على المؤلف فى حسن اسلوبه العصرى وسلاسة تحريره، وتحريه لاصح الروايات، وتعليقاته على مفتريات المبشرين أعداء الاسلام، وبيانه لاسرار التشريع السياسى فى الاسلام وغير ذلك مما احتواه هذا القسم، وأما القسم الثانى فهو مختص بتاريخ الخلفاء الاربعة وجعله فى أربعة اجزاء وخص كل خليفة منهم بجزء، وأتى فى هذا القسم بما كان من الفتح الاسلامى وحسن سياسة الراشدين مع خصومهم ولذلك أصبح الاسلام فى عصرهم ينتشر بسرعة البرق بين طبقات البشر ودخل الناس فيه أفواجا بغير اكراه ولا اجبار بدافع ما وجدوه من العدل والانصاف والمساواة بين طبقات الناس الشريف والوضيع، والابيض والأسود على السواء أمام القضاء وفى الحقوق المدنية. وأما القسم الثالث فهو أيضا أربعة أجزاء ثلاثة منها تختص بخلفاء بنى أمية. وجزء يختص بخلافة عبد الله بن الزبير. وقد أتى فى هذا القسم بعموم ما وقع من اتساع الفتوحات الاسلامية؛ وما قام به السلاطين من الاصلاحات، والعمران الضخم، وفتح الترع، وتشييد المعاهد العلمية، وتنظيم الرى وغير ذلك، وذكر أسباب وقوع الفتن الداخلية وحللها تحليلا علميا، تاثبت ما صح فى ذلك، ونفى فريات المفترين وارجاف المرجفين. وأما القسم

الرابع فجعله فى أربعة أجزاء وهو يحتوى على خلفاء بنى العباس وضمنه اسباب التفكك الذى وقع فى نهاية الخلافة العباسية هذا ما أتم تأليفه المؤلف المذكور من الاقسام الاربعة . وهو مجد فى تأليف القسم الخامس الذى يشتمل على ملوك الطوائف وانقسام الخلافة الاسلامية الى عدة اقسام بسبب التفكك والتخاذل الذى وقع بين أمراء الطوائف وقواد الاجناد حتى وصل الاسلام الى ماهو عليه الآن من التفكك . وهذه الاقسام الثلاثة التى هى الثانى والثالث والرابع . لم تطبع لحد الآن وذلك لعدم قدرة المؤلف على نفقات الطبع الباهظة . وتبلغ هذه السلسلة عشرين جزأ .

وقد ألف المؤلف المذكور اخيراً ثلاث مؤلفات غير ما تقدم ذكره وقد وفقه الله تعالى لطبعها ، فالأول منها كتاب سماه (الاسلام فى نظر اعلام الغرب) ويحتوى على مقالات اعلام الغرب من أوروبيين وأمريكيين فى النبى محمد ﷺ . وفى القرآن المجيد والتاريخ الاسلامى . وعمران الاسلام . واثباتهم لكل ذلك .

والثانى منها (تاريخ الكعبة المعظمة) من يوم خلق الله السموات والأرض الى العصر الحاضر ويحتوى ايضاً على عمارتها . وكسوتها . وسدانتها . وبيان العمارات التى جرت فيها من عهد الملائكة الى آخر عمارة جرت فيها سنة ١٠٤٠ وهى اثنتا عشرة مرة . وقد كابد المؤلف فى تأليفه المشاق بسبب انه لم يؤلف فى الكعبة المعظمة تاريخ خاص كما ألف فى غيرها فيما سبق وانما لكون الكعبة المعظمة مذكورة فى عموم كتب الاسلام أخذ المؤلف المذكور بجمع شتات الابحاث من كتب التفسير . والحديث . والفقه . والمناسك . والتاريخ . والمعاجم . واللغة . وما فى معنى ذلك وقد توفق الى تدوين التاريخ المذكور من البدء الى العصر الحاضر . وجاء هذا التاريخ فى (٤٠٠) صحيفة من القطع الكبير وفيه (٢٧) صورة شمسية واعتنى فى طبعه واتقانه كما ينبغى

والثالث منها (تاريخ عمارة المسجد الحرام) وهو يحتوى على بيان أصل المسجد الحرام من عهد ابراهيم الخليل ﷺ الى خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه . وبيان الثانية الزيادات التي زيدت فيه حتى بلغ هذه السعة التي هو عليها اليوم . ولم يترك المؤلف شيئاً مما احتواه المسجد الحرام مثل مقام ابراهيم الخليل ﷺ . وبئر زمزم . والمنبر . والمقامات الأربعة . والمنابر والأبواب والأروقة وغير ذلك الا آتى على تاريخه بغاية التوضيح . وقد كابد المؤلف في تأليفه عين المكابدة التي لاقاها في تأليف تاريخ الكعبة المعظمة هذا ما كان من أمر تأليفه .

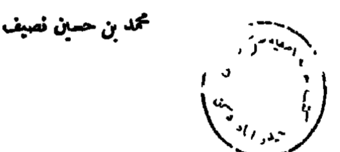
الوظائف التي تقلدها

اما الوظائف الحكومية التي تقلدها فهي : أول وظيفة باشرها [illegible] مجلس الشيوخ في عهد حكومة الملك الشريف الحسين بن علي في سنة ١٣٣٥ هـ ثم في سنة ١٣٤٤ هـ انتخب عضوا في المجلس التأسيسي الذي شكل لوضع النظام الاساسي لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود وذلك في بدء استيلائه على الحجاز . ثم انتخب عضوا في اللجنة التي شكلت لوضع التعليمات الاساسية ، ثم انتخب عضوا في المجلس التشكيلي الذي شكل لتجديد ترتيب دوائر الحكومة السعودية . ثم انتخب عضوا في المجلس الاستشاري ثم في عام ١٣٤٥ هـ انتخب عضوا في مجلس الشورى ، وذلك في اول تأسيسه وعين عضواً في لجنة الحج في بدء تأسيسها ، وعين عضواً في هيئة الامر بالمعروف في حال تأسيسها . ثم في سنة ١٣٤٩ هـ انتخب ايضاً عضواً في لجنة الحج مرة ثانية وانتخب في سنة ١٣٥٠ هـ مرة ثانية عضواً في مجلس الشورى ، وانتخب عضواً في مجلس المعارف ، وفي سنة ١٣٥٤ هـ انتخب عضواً في هيئة المطالبة

بأوقاف الحرمين الشريفين ، وهو لا يزال حتى الآن يشغل هذه المجالس الثلاثة

هذا ما كان من ترجمة المؤلف لهذا الكتاب وغيره مما تقدم ذكره أتيت بها بغاية الايجاز ، واسأل الله تبارك وتعالى ان يمد المؤلف المذكور بمعونته ويجزيه خير الجزاء على حسن اعماله انه بالاجابة جدير ولما يشاء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

محمد بن حسين نصيف



لقد تكرم صديقي المفضال احد اعيان جدة وعلماؤها الشيخ محمد افندي نصيف بوضع ترجمتي واني اشكر له هذه التكرمة وأرجو له السعادة والجزاء الجميل من الله تعالى .

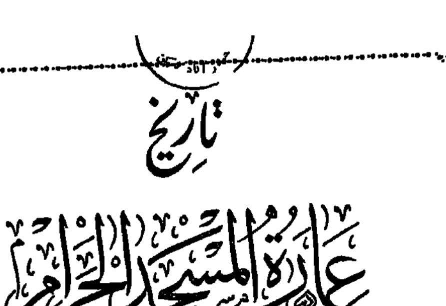
حسين عبدالله باسلامه

فهرس

تاريخ عمارة المسجد الحرام

فهرس الرسوم التى بهذا الكتاب

عدد



بما احتوى من مقام ابراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك

تأليف

حسين عبد الله باسلامه

﴿ عضو مجلس الشورى بمكة ﴾

﴿ ومؤلف كتاب حياة سيد العرب ، وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية ﴾

الطبعة الاولى

قيمة الجزء اربعة ريالات عربية

١٣٥٤/١١/٥

المطبعة الشرقية بجدة



الحمد لله العلي الكبير، العظيم القدير، القائل ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١) والقائل ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (٢) والقائل ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٣)

والصلاة والسلام على نبي الهدى ورسول الرحمة سيدنا محمد ﷺ القائل « من بنى مسجداً لله تعالى يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله له بيتاً في الجنة » (٤) والقائل « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » (٥) والقائل « وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » (٦) وعلى اله وصحبه الذين قاموا بالأمر، والنهي والجهاد، والاصلاح، بعده وسلم تسليما كثيرا.

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة البقرة
(٢) الآية ١٥٠ من سورة البقرة
(٣) الاية ١٨ من سورة التوبة
(٤) الحديث أخرجه البخاري ومسلم
(٥) أخرجه البخاري ومسلم
(٦) أخرجه الامام أحمد، وابن ماجة.

أما بعد فاعلم ان من أعظم القرب الى الله تعالى وأجل المفاخر في الدنيا والآخرة عمارة المساجد، ومن أخصها وأجلها وأعظمها المسجد الحرام الذى فيه بيت الله تعالى فقد جعله سبحانه وتعالى مثابة للناس وأمنا كما دل على ذلك الكتاب العزيز والسنة الصحيحة النبوية، وقد وفق الله جل جلاله بعض الخلفاء والملوك والسلاطين من دول الاسلام الى القيام بعمارة المسجد الحرام، والعناية العظيمة بتحسينه وتعظيمه وتزيينه بأبدع وأحسن ما يجوز عمله فى مساجد الله تعالى، ومما انه قد زيد في المسجد الحرام من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك فى سنة سبع عشرة هجرية الى عهد الخليفة المقتدر العباسى سنة ست وثلاثمائة هجرية ثمانية زيادات مما فيه دار الندوة الذى هو فسحة (باب الزيادة) و (باب ابراهيم) وجرت فيه جملة عمارات ومرمات عديدة على أقسام متعددة، فى عصور مختلفة، وأشكال متباينة، علاوة على الزيادات المذكورة ذكرها بعض المفسرين، وشراح الحديث، ومصنفى مناسك الحج، وعموم مؤرخي مكة المكرمة، وبعض الفقهاء فى متون كتب الفقه وشروحها وحواشيها، وفي بعض المعاجم، وقواميس اللغة، وغير ذلك، وقد دون كل واحد منهم قسما من تلك العماير التي جرى بعضها قبل عصره، وبعضها فى عصره، سواء كانت تلك الزيادة أو العمارة أو المرمة أو الانشاء شاهدها بنفسه أو بلغته عن ذي ثقة، كلاً بحسب ما تسنى له الوقوف عليه

وحيث أن تلك الزيادات ، والانشائات ، والعمارات ، والمرمات ، مبعثرة في مئات من المصنفات فقد استعنت الله تعالى وجمعت كل ماذكره أولئك الاعلام من الاخبار التي تتعلق بعمارة المسجد الحرام وما احتوى عليه من مقام ابراهيم ، وبئر زمزم ، والمنبر ، والمقامات الاربعة وغير ذلك بحسب تواريخها قرنا . بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، وعصراً بعد عصر ، وأوصلتها ببعضها وجعلتها متسلسلة من ابتداء عمارة وتوسعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى العصر الحاضر الذي دونت فيه هذا المصنف وهو عام الاربعة والخمسين والثلاثمائة والالف من الهجرة ، وقد أضفت الى ذلك عموم ما رأيته ووقفت عليه وعلمته مما جرى بالمسجد الحرام ومحتوياته من عمارات واصلاحات ومرمات منذ أربعين سنه أي من ابتداء عمارة السلطان عبد الحميد خان بن السلطان عبد المجيد خان العثماني التي جرت بالمسجد الحرام سنه ١٣١٤ هجرية الى هذا التاريخ سنة ١٣٥٤ كي يتم للقارىء الوقوف على كل ذلك مفصلا بسهولة ، وعلى ما بذله الخلفاء الراشدون . وأمراء المؤمنين ، وملوك المسلمين ، وسلاطين الاسلام ، من عرب وعجم من الاموال الطائلة العظيمة ، والهمم العالية الجسيمه ، في تشييد بناء المسجد الحرام ، وتوسيعه ، واصلاح كل ما خرب فيه الى أن بلغ هذا الحد من السعة ، وهذه الضخامة من البناء الذي هو عليه اليوم ، بعد أن كان في العصر الجاهلي عبارة عن مدار المطاف . وبمطالعة كل ذلك يظهر للقارىء

المنصف البصير أنه لا يزال الخير موجودا فى ملوك الامة الاسلاميه الى اليوم والى يوم الدين رغما عما اعترى المسلمين من المصائب ، والمحن ، والتفكك ، والتخاذل ، حيث ان الله سبحانه وتعالى هو الحافظ لبيضة الاسلام وهو المسخر لهذا الدين من يصونه ويذب عنه مهما تقلبت الامور وتغيرت الاحوال ، وكل ميسر لما خلق له ، والله ولى التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

******

صفة المسجد الحرام قبل الاسلام

كان المسجد الحرام منذ بنى ابراهيم الخليل مع ابنه اسماعيل عليهم الصلاة والسلام الكعبة المعظمة الى ان آل أمر مكة المكرمة الى قصى بن كلاب الجد الخامس لنبينا محمد ﷺ عبارة عن فسحة واسعة حول الكعبة المعظمة ، ولم يكن حول الكعبة المعظمة دور مشيدة ، أو جدار محاطة بالمسجد الحرام ، حيث كانت القبائل التى قطنت مكة من عمالقة ، وجرهم ، وخزاعة وقريش ، وغيرهم يسكنون فى شعاب مكة ويتركون حول الكعبة المعظمة احتراما لها وتعظيما لشأنها ، فلا تجترىء أن تبنى بجوار الكعبة المعظمة داراً ولا جداراً ، فلما آل الامر الى قصى واستولى على مكة ، وعلى مفتاح الكعبة المعظمة ، من خزاعة بعد أن دارت بينه وبينها حرب شعواء كما

تقدم تفصيل ذلك في تاريخ الكعبة المعظمة، وفي الجزء الاول من كتاب (حياة سيد العرب، وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) جمع قصي قومه بطون قريش وأمرهم أن يبنوا بمكة حول الكعبة المعظمة بيوتا من جهاتها الاربع، حيث كانوا يقطنون ظاهر مكة وشعابها، وكانوا اذ أرادوا دخول مكة لا يدخلون على جنابة ولا يقيمون بها الا نهارا، فاذا أمسوا خرجوا الى الحل، فقال لهم قصي: أن سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم. فبدأ هو أولاً وبنى دار الندوة في الجانب الشمالي الذي هو الآن فسحة باب الزيادة، ثم قسم قصي باقي الجهات بين قبائل قريش.

فبنت قريش دورها حول الكعبة المعظمة وشرعت أبوابها الى نحو الكعبة المعظمة، وتركوا للطائفين مقدار مدار المطاف. وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكاً شارعاً فيه باب يسالك منه الى المطاف، وجعلوا بناء الدور مدورة ولم تكن مربعة الشكل، حتى لا يكون بينها وبين الكعبة المعظمة شبه في البناء من جهة التربيع، لكون الكعبة المعظمة مربعة، وجعلوا ارتفاع عموم تلك الدور أقل من ارتفاع الكعبة المعظمة حيث لا يجرؤن على بناء دار أعلى من الكعبة احتراماً وتعظيماً لها، ولذلك كانت ترى الكعبة المعظمة من عموم انحاء مكة المكرمة، لاجل أنها كانت أعلى من عموم الدور التي بنيت حولها.

وسمى كل من بنى حول الكعبة المعظمة بيتاً من قبائل قريش (قريش البواطن) ثم تكاثرت البيوت بتكاثر السكان، وكثرة النسل حتى تعلقت الدور بشعاب مكة فى العصر النبوى .

هذا حاصل ماذكره الازرقي، والفاسى، وقطب الدين الحنفى فى الاعلام، وغيرهم من مؤرخي مكة المكرمة عن أصل المسجد الحرام وصفته ووضعيته وسعته فى العصر الجاهلى قبل الاسلام، ومنه يعلم انه لم يكن قبل الاسلام ذكر للمسجد الحرام وانما كل ما كان هو مدار الطواف حول الكعبة المعظمة ، وذلك لانه لم يكن فى التشريع الجاهلى صلاة يؤدونها حول الكعبة المعظمة وانما كان المعتاد عند العرب فى جاهليتها الطواف حول الكعبة المعظمه فقط ، غير انه كانت لهم مجالس حول الكعبة المعظمة فى الصباح والمساء ويستظلون من الشمس بظلها ، ويتتبعون الافياء فى مجالسهم ، ويتحادثون فى شؤنهم العمومية والخصوصية، فاذا ذهب الفيء قامت قريش من مجالسها ، وكان المسجد الحرام أو مدار المطاف فى الزمن الجاهلى أشبه بمجلس عمومى يجتمع فيه عموم الناس ويتذاكرون فى مصالحهم ، وذلك بخلاف دار الندوة فانه لا يسمح بالدخول فيه الا لاناس مخصوصين بموجب شروط مخصوصة وقد أوضحنا ذلك فى الجزء الاول من كتاب (حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية)

فلما جاء الاسلام وانبثق نوره واعتنقه أفراد من أهل مكة كان من أسلم منهم يستخفي بصلاته عن المشركين في داره وفي شعاب مكة لئلا يؤذوه، وذلك قبل الهجرة ولم يصلي أحد منهم حول الكعبة المعظمة الا على سبيل النادر كما وقع ذلك من النبي ﷺ وأبي بكر الصديق وغيرهما وذلك لما كان يصيبهم من أذى المشركين، ثم هاجر من مكة كل من كان يستطيع الهجرة من المسلمين الى الحبشة فراراً بدينه من ايذاء قريش لهم، ثم هاجر من بقي فيها مع رسول الله ﷺ من المسلمين الى المدينة الا من حبس منهم. وخلت مكة المكرمة من المسلمين بعد الهجرة وأصبحت مجردة من كل من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويقيم الصلاة غير المستضعفين منهم. ومكثت مكة على هذا الحال الى عام الفتح سنة ثمان من الهجرة. فلما فتح رسول الله ﷺ مكة منع المسلمين من الهجرة بقوله « لا هجرة بعد الفتح » فصار بعد ذلك يقيم المسلمون صلاتهم حول الكعبة جهاراً، غير انه كان سكان مكة قليلين جداً وهم عبارة عن عدد وجيز لأن معظم أهلها قد التحقوا بعد الهجرة بالجيوش الاسلامية لأداء فريضة الجهاد، والذب عن دين الاسلام، وكبح جماح أعدائه، وبالاخص قد ازداد التحاقهم زمن فتح فارس، والروم، الذي ابتدأ في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولذلك لم يكن في العصر النبوي ولا في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه احتياج الى توسعة المسجد الحرام لان سعة مدار المطاف كان كافياً لصلاة

المسلمين المقيمين بمكة ، ولم يقع فيه ضيق على المصلين يلجئهم الى توسيعه ولهذه الاسباب المتقدم ذكرها لم يقع فى المسجد الحرام زيادة ، ولا سعة ، ولا تغيير ، ولا تبديل ، في العصر النبوي ، وخلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وأطلق فى العصرين النبوي والصديقى على مدار المطاف المذكور (المسجد الحرام) وجاء ذكره فى القرآن المجيد بهذا الاسم فى قوله تعالى ﴿ سُبحانَ الَّذِى أسْرَى بِعبْدِهِ لَيلاً مِنَ المسجِدِ الحرَامِ إلى المسجِدِ الأقصَى ﴾ وقوله تعالى ﴿ قَدْ نَرَى تقلبَ وَجْهكَ فِى السماءِ فلنوَليَنكَ قِبلَةً تَرْضاها فوَلِّ وَجهكَ شَطرَ المسجِدِ الحرَامِ ﴾ فلما كان خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثر سكان مكة وازدحم المسجد الحرام بالمصلين فامر بتوسيعه سنة ١٧ من الهجرة كما سيأتى تفصيله .

وأما حدود مدار المطاف الذى كان يطلق عليه المسجد الحرام فى صدر العصر الاسلامى الذى هو عصر النبي ﷺ وعصر أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيحده من الجهة الشرقية بئر زمزم ، وباب بنى شيبة ، ويحده من الجهة الغربية حافة المدار الذى عليه الاساطين النحاس التى تعلق عليها القناديل أو المصابيح الكهربائيه الواقعة بين مدار المطاف ومقام المالكى ويحده من الجهة الشمالية كذلك حافة المدار الذى عليه الاساطين المعلقة عليها مصابيح الكهرباء الواقعة بين مدار المطاف ومقام الحنفى ، ويحده من الجهة الجنوبية أيضا الاساطين المذكورة الواقعة بين مدار

المطاف ومقام الحنبلي . ومدار المطاف وهو المفروش بالحجر الرخام الابيض حول الكعبة المعظمة ويسمى فى العصر الحاضر (بالصحن)

ومما يؤيد ماتقدم ماجاءفى كتاب مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ بقوله : أعلم ان المسجد الحرام يطلق ويراد به عين الكعبة ، كما قال تعالى ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ اذ لم ينقل أحدمن المسلمين بالاكتفاء بالتوجه الى استقبال المسجد المحيط بالكعبة وهذا هو اصل حقيقة اللفظ ، وهوالمعنى بقوله تعالى ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ﴾ وقوله ﷺ لما سأله أبوذر عن أول مسجدوضع أول قال « المسجد الحرام » . ثم قال : وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به المسجد المحيط بالكعبة وهو الغالب فى الاستعمال على وجه التغليب المجازى ، كما فى قوله ﷺ « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام » وقوله تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ﴾ على قول من روى انه كان نائما فى المسجد المحيط بالكعبة اه

وجاء فى كتاب تحصيل المرام للشيخ الصباغ نقلا عن الشبرخيتى على شرح الخليل قوله : قال بعضهم ان الاساطين التى حول المطاف هى حد الحرم الذى كان زمن النبي ﷺ وابى بكر رضى الله عنه ، وماوراء ذلك فهو الزيادات اه .

والاساطين التي أشار اليها الشبرخيتي على شرح الخليل هي الاساطين النحاس المحاطة بمدار المطاف وعليها قناديل الزيت ، ومصابيح الكهرباء في العصر الحاضر ، وهي الفاصلة بين المقامات الاربعة وصحن المطاف والله أعلم

الزيادة الاولى

زيادة امير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

﴿ سنة ١٧ هجرية ، توافق سنة ٦٣٨ ميلادية ﴾

أنه في سنة ١٧ هجرية وذلك في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء الى مكة سيل عظيم يعرف بسيل (أم نهشل) من أعلى مكة فدخل المسجد الحرام من ناحية المدعا ، وذلك غير السيل الذي ينحدر من وادي ابراهيم ، فاقتلع مقام ابراهيم الخليل ﷺ من موضعه وذهب به الى أسفل مكة فلما جف الماء وجد المقام بأسفل مكة ، فأتى به والصق بالكعبة وربط بها

واما سبب تسمية ذلك السيل بسيل أم نهشل بنت عبيدة ابن سعيد ابن العاصي بن أمية بن عبد شمس هو لأنه اجترفها ذلك السيل وماتت فيه فسمي باسمها .

فلما بلغ ذلك امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يومئذ بالمدينة هاله ذلك الأمر وركب من ساعته فزعا الى مكة فدخلها

بعمرة فى شهر رمضان سنة ١٧ من الهجرة فلما وصل مكة دخل المسجد الحرام ووقف على حجر المقام ثم قال : أنشد الله عبداً عنده علم فى هذا المقام ؟ . فقال عبدالمطلب بن أبي وداعة السهمى رضى الله عنه : أنا يا أمير المؤمنين عندى علم ذلك، فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الأمر، فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهو عندي فى البيت . فقال له عمر : أجلس عندى وأرسل اليه من يأتى بها . فجلس عنده وأرسل اليه فأتى بها فقيس ووضع حجر المقام فى محله الذى كان فيه ، وهو الموضع الذى هو فيه في العصر الحاضر ، وأحكم احكاما تاماً .

هذا حاصل ماذكره الازرقي فى تاريخه أخبار مكة ، والماوردى . وعنهما روى المؤرخون خبر حادثة المقام المذكورة وارجاعه الى موضعه وذكر السيوطى فى كتابه الاوائل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول من صلى خلف المقام بعد وضعه فى محله اه .

وقد وقع خلاف بين العلماء من محدثين ومفسرين ومؤرخين فى موضع حجر مقام ابراهيم الخليل ﷺ من عهد ابراهيم الى عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحديث سيل أم نهشل واعادة عمر له في موضعه الذى فيه اليوم ، وقد ذكرت ذلك الخلاف مفصلا فى باب (مقام ابراهيم) .

فلما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن انتهى من وضع حجر المقام في موضعه ، كثرة الناس وازدحام المصلين في المسجد الحرام الذى هو عبارة عن مـدار المطاف اشترى دوراً من تلك الدور الملاصقة للمسجد الحرام وهدمها وأدخل أرضها فى المسجد ، وبذلك توسع المسجد مما كان عليه ، وكان قد امتنع بعض أصحاب تلك الدور من البيع وقبض الثمن ، فقومت الدور التى قد امتنع أهلها من بيعها ووضع عمر رضى الله عنه أثمانها فى خزانة الكعبة وقال لهم : أنتم نزلتم بفناء الكعبة وبنيتم به دورا ولا تملكون فناء الكعبة، وما نزلت عليكم الكعبة فى سوحكم وفنائكم فلما رؤا العزم أخذوا الثمن فجعل عمر رضى الله عنه حائطا على المسجد وكان ارتفاعه دون القامة ، وكان المصابيح توضع عليه ، فكان أول من أحاط المسجد الحرام بالجـدار ، وأول من وسعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجعل له أبوابا كما كانت بين الدور قبل أن تهدم على محاذات تلك الابواب السابقة .

هذا حاصل مارواه مؤرخوا مكة من زيادة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وتوسيعه للمسجد الحرام ولم يذكروا عدد الدور التى هدمها وأدخل أرضها بالمسجد ولا مساحتها ، والذى يظهر من عبارة المؤرخين انها لا تزيد عن محاذات المقامات الأربعة والله أعلم .

ثم بعد ان انتهى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه من عمارة المسجد الحرام أراد أن يحول مجرى السيل الذى تعود دخول المسجد الحرام من القديم من جهة المدعا الى مجرى سيل وادى إبراهيم فامر بعمل (الرّدم) وهو سدّ عظيم بالمدعا بأعلا مكة صونا للمسجد الحرام من دخول السيل فيه، فكان من نتيجة عمل الردم المذكور أن تحول مجرى السيل الذى ينحدر من ناحية المدعا الى مجرى وادى إبراهيم ،حيث كان هذا السيل ينحدر من المدعا على شارع المسعى ويدخل من جهة باب السلام الى المسجد الحرام ،فبناه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بالضفائر والصخور العظام ، وكبسه بالتراب فلم يعله سيل بعد ذلك ، غير انه جاء سيل عظيم سنة ٢٠٢ فكشف عن بعض أحجار الرّدم المذكور وشوهدت فيه تلك الصخار العظيمة الكبيرة التى لم ير مثلها . وكان الاقدمون يسمون ذلك الرّدم (ردم بنى جمح) وهذا الموضع الذى وضع فيه الرّدم هو (المدّعا) وكانت ترى الكعبة المعظمة من ذلك الموضع لعلوه وقصر الدور التى بينه وبين المسجد الحرام عن علو الكعبة المعظمة ، وهو يبعد عن الكعبة بنحو نصف ميل، فصار هذا الردم بعد بنائه يحول السيل المنحدر من جبل اعلع وماجاوره من المدّعا الى سوق الليل على مجرى وادى ابراهيم ﷺ فينحدر منه مع سيل وادى ابراهيم ويمران بجانب المسجد الحرام الجنوبى حتى ينتهى الى المسفلة .

وكان هذا الردم أول سدٍّ وضع بمكة ، وأما تسميته (ردم بني جمح) فالظاهر انه كانت منازلهم بذلك الموضع والله أعلم .

وكان ذلك سنة ١٧ من الهجرة ويوافق من السنين الشمسية سنة ٦٣٨ ميلادية . هذا حاصل ما ذكره الازرق ، والتقي الفاسى ، وابن ظهيرة وقطب الدين فى كتابه (الاعلام) ونجم الدين بن فهد القرشى ، وابن فضل الله العمرى فى مسالك الابصار وغيرهم من مؤرخي مكة .

***

الزيادة الثانية

زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان

رضى الله عنه

﴿سنة ٢٦ هجرية توافق سنة ٦٤٦ ميلادية﴾

فلما كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ازداد سكان مكة المكرمة كثرة ، وظهر من ذلك ضيق المسجد الحرام على المصلين فاشترى عثمان رضى الله عنه دورا من تلك الدور التى حول المسجد الحرام وهدمها وأدخل أرضها في المسجد الحرام توسعة له . وتفصيل ذلك انه لما كانت سنة ست وعشرين اعتمر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه من المدينة فاتى مكة ليلا فدخل المسجد الحرام وطاف وسعى وأمر بتوسيع المسجد الحرام ، ووقع له مثل الذي وقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

من امتناع بعض أصحاب الدور عن بيعها وقبض ثمنها ، فأمر بهدم تلك على أصحابها ، فصاحوا به فقال : جرأكم علىّ حلمى عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد . ثم أمر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد ابن أسيد ، فأخرجهم وأخذوا قيمة دورهم .

وجعل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه للمسجد الحرام أروقة ، فكان هو أول من اتخذ الأروقة فيه ، حيث كان قبل ذلك عبارة عن متسع فسيح مثل الحصوة ، وليس له رواق ولا سقف يظل المصلين .

هذا حاصل ماذكره مؤرخوا مكة وغيرهم من أمر توسعة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه للمسجد الحرام وما جرى فى ذلك ، ولم يذكر الازرقى فى تاريخه السنة التى وسع فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا السنة التى وسع فيها عثمان رضى الله عنه . وقد ذكرها التقى الفاسى فى شفاء الغرام ، والحافظ نجم الدين عمر بن فهد القرشى فى تاريخه فى حوادث سنة ٢٦ كما ذكرها ابن جرير ، وابن الاثير فى حوادث سنة ٢٦ أيضا . وكذلك ذكر ياقوت الحموي فى معجم البلدان السنة التى عمرا فيها المسجد الحرام . ولم يذكر أحد من المؤرخين قدر الزيادة التى زادها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد وضعناها فى خريطة المسجد الحرام بغاية الدقة حسب مايقتضى بنسبته عموم الزيادات التى وقعت فى المسجد الحرام والله أعلم .

الزيادة الثالثة

زيادة عبد الله بن الزبير

رضي الله عنهما

(سنة ٦٥ هجرية ، توافق سنة ٦٨٤ ميلادية)

فلما كانت خلافة عبدالله بن الزبير رضي عنهما عمر المسجد الحرم بعد ان انتهى من عمارة الكعبة المعظمة وزاد فيه زيادة كبيرة من الجهة الشرقية والجنوبية والشمالية واشترى دورا من جملتها بعض دار الازرقي جد صاحب تاريخ مكة ببضعة عشرة ألف دينار، وادخلها في المسجد الحرام وكانت لاصقة به وبابها شارع على باب بني شيبة على يسار الداخل الى المسجد الحرام ، وسقف المسجد أيضا . قال الازرقي انه سمع من مشيخة مكة يذكرون ان عبدالله بن الزبير سقف المسجد ، غير أنهم لا يدرون أكله سقف أم بعضه وقال العمري في مسالك الابصار : أن عبد الله بن الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة وجعل فيها عمداً من رخام . ولم يذكر أحد من المؤرخين أن ابن الزبير جعل في زيادته عمداً من رخام غيره ورواية العمري حجة لانه من ثقات المؤرخين وممن روى عن الازرقي والفاكهي وغيرهما من مؤرخي مكة وكل واحد من المؤرخين يأتي في تاريخه بجانب من القصة والآخر يأتي بالجانب الآخر ، ولذلك اضطررنا الى نقل كل ماورد في هذا الباب

وغيره لأجل ان نوصل القصة بعضها ببعض ويتم للقارىء ما يرجوه من مطالعة التاريخ ولكل مجتهد نصيب . ثم روى الأزرقي عن زاذان بن فروخ أن مساحة المسجد الحرام في زمان ابن الزبير تسعة أجربة وشيء . اهـ .

قال التقي الفاسي : ومقدار الجريب كما قاله الماوردي في الاحكام السلطانية ، والنووي ، والقلعي ، عشر قصبات في عشر قصبات ، والقصبة ستة أذرع . انتهى . وعليه فيكون مساحة الجريب الواحد ٣٦٠٠ ذراع مربع وبذلك يكون مساحة المسجد الحرام في زمان ابن الزبير اثنين وثلاثين ألف ذراع ، وأربعمائة ذراع مربع ، وذلك حسبما ذكره الازرقي ، وبموجب ذلك صار سعة المسجد الحرام في عصر عبد الله بن الزبير نحو ربع مساحة المسجد الحرام التي هو عليها في العصر الحاضر أو تزيد قليلا ولم يذكر أحد من المؤرخين السنة التي عمر فيها ابن الزبير المسجد الحرام ومن حيث أنها وقعت بعد عمارته للكعبة المعظمة وكانت عمارتها سنة ٦٤ فمن المحتم أنها تكون في السنة التي بعدها وهي سنة ٦٥ هجرية لأن المنجنيق قد هدم الكعبة والمسجد الحرام في آن واحد والله أعلم .

عمارة عبد الملك بن مروان

﴿ سنة ٧٥ هجرية ، توافق سنة ٦٩٤ ميلادية ﴾

فلما كانت خلافة عبد الملك بن مروان الأموى ، أمر بعمارة المسجد الحرام ولم يزد فيه شيئا غير أنه رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة وجعل على رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب . فكانت عمارته منحصرة فى تجديد البناء ورفع الجدار وتسقيفه بالساج الذى هو أفخر أنواع الخشب وأمتنه وزينه بالذهب الذى جعله على رؤس الاسطوانات ولم يزد فيه شيئا مما كان عليه علاوة على زيادة عبد الله بن الزبير .

هذا ما ذكره مؤرخو امكة ، وقال العمرى فى مسالك الابصار ان عبد الملك ابن مروان جلب اليه السواري فى البحر الى جدة وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة . ولم يذكر أحد غيره أن عبد الملك جلب اليه السوارى فى البحر الى جدة ، كما أنه لم ينف ذلك أحد ممن ذكر عمارة عبد الملك . وسبب عمارة عبد الملك للمسجد الحرام لأنه قد تهدم بعضه من حجارة المنجنيق التى رماه بها الحجاج بن يوسف الثقفى حال حصاره لعبد الله بن الزبير حينما استعصم بالمسجد الحرام ، وكانت هذه العمارة بعد عمارة الحجاج للكعبة المعظمة بسنة ، وذلك فى سنة ٧٥ هجرية التى توافق سنة ٦٩٤ ميلادية والله أعلم .

وذكر النووي فى كتابه مناسك الحج (الايضاح) أن أول من أدار الصفوف حول الكعبة المعظمة وراء الامام خالد بن عبد الله القسرى حين كان واليا على مكة فى خلافة عبد الملك بن مروان ونقل ذلك عن الازرقى، وقال: وكان سبب ذلك انه ضاق على الناس موقفهم وراء الامام فأدارهم حول الكعبة، وكان عطاء بن أبى رباح، وعمرو ابن دينار، ونظراؤهما من العلماء يرون ذلك ولا ينكرونه، وقال ابن جريج: قلت لعطاء اذا قل الناس في المسجد الحرام أيما أحب اليك ان يصلوا خلف المقام أم يكونوا صفاً واحدا حول الكعبة؟ فقال (أى عطاء) أن يكونوا صفا واحدا حول الكعبة والله أعلم. اه.

وقال السيوطى فى كتابه (الاوائل): ان أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد الله القسرى، وأخرج الازرقى عن الحسن بن القاسم بن عقيد بن الازرق قال: كان الناس يقومون قيام شهر رمضان فى أعلا المسجد الحرام — يعنى من الجهة الشرقية خلف مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم — فتركز حربة خلف المقام بربوة فيصلى الامام خلف الحربة والناس وراءه فمن أراد صلى مع الامام، ومن أراد طاف وركع خلف المقام فلما ولى خالد بن عبد الله القسرى مكة لعبد الملك بن مروان حضر شهر رمضان أمر خالد القراء أن يتقدموا فيصلوا خلف المقام وادار الصفوف حول الكعبة، وذلك ان الناس ضاق عليهم أعلا المسجد، فقيل له: تقطع

الطواف لغير المكتوبة ؟ قال : فانا آمرهم بين كل ترويحتين بطواف سبع فقيل له فأنه يكون فى مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف الطائف من مصل وغيره فيتهيأ للصلاة ؟ فأمر خالد عبيد الكعبة — أى خدمها — أن يكبروا حول الكعبة يقولون (الحمد لله والله أكبر) فاذا بلغوا الركن الاسود فى الطواف السادس سكتوا بين الركنين سكتة حتى يتهيأ من الناس من فى الحجر ومن فى جوانب المسجد من مصل أو غيره فيعرفون ذلك بانقطاع التكبير ويخفف المصلى صلاته ، ثم يعودون الى التكبير حتى يفرغون من السبع ، ويقوم مسمع فينادى الصلاة رحمكم الله

هذا حاصل ماجاء فى كون خالد بن عبدالله القسرى هو أول من امر الناس بالصلاة حول الكعبة المعظمة صفوفا دائرة ، ولم ينكر عليه أحد من فقهاء التابعين فى ذلك العصر المنير بأهل الفضل والعلم مثل عطاء بن أبى رباح ، وعمرو بن دينار ، ونظرائهما . وكان ذلك فى الفريضة والتراويح جماعة بامام واحد ، ولم ينكر عليه الا ما كان من أمر التشويش وعدم علم من كان طائفا انه قد قامت الصلاة ، فعمل ذلك الترتيب الذى يظهر عليه التكايف ، ولكن كان ذلك موقتا ليثما يألف الناس ذلك الوضع . وعلم من ذلك أيضا أنهم كانوا قبل امارة خالد القسرى يصلون فى جهة واحدة من المسجد الحرام وهى الجهة الشرقية خلف مقام ابراهيم ﷺ ، وان الجهات الثلاثة الاخرى كانت خالية من المصلين فى الفريضة جماعة ، وظهر

من عمل خالد هذا فوائد حسنة وسنة مستحبة لكونه هو الذي سن هذه السنة وعم عموم المسجد الحرام بالمصلين جماعة واحدة بامام واحد ، وقد ارتضى عمله كبار الفقهاء من التابعين وغيرهم من علماء السلف الصالح ولو كان في عمله هذا ما يخالف الشريعة لأنكره العلماء : واذا فرضنا ان الذي منعهم من الانكار هو خشية بطشه ، فقد كان في وسعهم انكاره بعد عزله من امارة مكة . وقد اتيت بهذه الفائدة هنا ليعلم القاري أول من أدار الصفوف حول الكعبة المعظمة جماعة والسنة التي وضع ذلك فيها والله اعلم.

وذكر السيوطي أيضا في كتابه الاوائل مانصه : أول من أطاف الناس حول الكعبة بالصلاة الحجاج وكانوا قبل يصلون صفوفا اه .

ومن حيث ان ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة كانت بعد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي وقد أيد الازرقي الرواية القائلة ان ذلك من عمل خالد القسري فالذلك قد قدمناها على رواية الحجاج وهي الاصح فيما ظهر لي لان الامام النووي قد اثبتها في مناسكه كما تقدم . وقد ذكرت رواية السيوطي الثانية ان الحجاج هو الذي ادار الصفوف حول الكعبة لاجل ان يقف القاري على الروايتين ويعلم أيهما أصح والله أعلم .



الزيادة الرابعة

زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان

(سنة ٩١ هجرية توافق سنة ٧٠٩ ميلادية)

فلما كانت خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموى أمر بتوسيع المسجد الحرام ونقض عمل ابيه عبدالملك ، وعمره عمارة متينة محكمة ، وهو أول من أتى بالأساطين الرخام من مصر . والشام ، ونقلها من هناك الى مكة على العجل حسب ماذكره أكثر المؤرخين ماعدا العمري وسقفه بالخشب الساج المزخرف ، وجعل على رؤس الأساطين صفائح الذهب ، وأزر داخل المسجد الحرام بالرخام ، وجعل له شرافات ، وجعل فى حائطه الطيقان (المقود) وجعل فى وجوه الطيقان من أعلاها القسيفساء ، وهو أول من زين بها المسجد الحرام ، وجعل للمسجد سرادقات .

هذا حاصل ماذكره الازرقى ، والتقى الفاسى فى شفاء الغرام والقاضى ابن ظهيرة المخزومى ، وقطب الدين الحنفى فى الاعلام ، والعمري فى مسالك الابصار والظاهر من قولهم أن الوليد جعل للمسجد سرادقات بعد ان قالوا وسقفه بالساج يدل على أنه جعل السرادقات على الحصوة ليستظل بها المصلون من حر الظهيرة . وقد جاء فى رواية الازرقي (وجعل للمسجد

شرافات) وفي رواية الفاسي (سرادقات) وبين سرادقات، وشرافات، مشابهة في التحرير، والذي يظهرلي أن الوليد عمل للمسجد الحرام شرافات، لا سرادقات، وان الفاسي أول من نقل عنه اشتبه عليه لفظ الشرافات، فكتبها محرفة سرادقات، وذلك لما بين الاسمين من المشابهة في التحرير، مع ان عمل السرادقات، والشرافات، في المسجد الحرام ليس هو بالأمر الذي يستحيل وقوعه فعمل الاثنين مما جائز وقوعه، لأن السرادقات يحتاج اليها في الموسم عند ازدحام الحجاج بالمسجد الحرام، وقد وقع ذلك فعلا في العصر الحاضر، وذلك لما أزدحم المصلون في موسم حج سنة ١٣٤٥ هـ واضطروا أن يصلوا في رحبة المسجد الحرام أمر جلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل حفظه الله تعالى بوضع السرادقات في رحبة المسجد الحرام وحصل منها فائدة عظيمة اذ وقت المصلين من حر الظهيرة، ثم في سنة ١٣٤٦ هـ أمر جلالته بعمل مظلات قوية تنصب في رحبة المسجد الحرام في الموسم، وقد عملت فعلا كما سيأتي تفصيل ذلك في محله من هذا الجزء.

ويظهر ايضا أن الأساطين الرخام التي جاء بها الوليد كانت على قدر زيادته في توسيع المسجد الحرام، وكان رواقا واحداً دائرا على حافة المسجد الحرام حول الكعبة المعظمه. وكانت زيادة الوليد من الجهة الشرقية كما يدل عليه سياق التاريخ ووقعت سنة ٩١ هجرية والله أعلم.

الزيادة الخامسة

زيادة أبى جعفر المنصور العباسى

﴿ سنة ١٣٧ هجرية ، توافق سنة ٧٥٤ ميلادية ﴾

فلما كانت خلافة أبى جعفر المنصور العباسى أمر عامله على مكة بزيادة توسيع المسجد الحرام وذلك فى المحرم سنة ١٣٧ﻫ فزادفى شقه الشامى الذى يلى دار الندوة وزاد فى أسفله الى ان انتهى الى منارة باب العمرة ومنها على خط مستقيم من الجهة الغربية الى ما يلى باب ابراهيم على حد الحصوة ، ولم يزد فى الجانب الجنوبى لاتصاله بمجرى سيل وادى ابراهيم ولصعوبة البناء فيه كما انه لم يزد فى علو المسجد الحرام من الجهة الشرقية بل أنه مشى فى زيادته من الجهة الشمالية على محاذات زيادة المهدى من الجهة الشرقية .

وتفصيل ذلك انه أمر بشراء الدور التى من الجهة الشمالية والغربية وادخال أرضها بعد ازالة الانقاض فى المسجد الحرام، وكان الذى ولى عمارة المسجد الحرام لأبى جعفر المنصور أميره على مكة زياد بن عبيد الله الحارثى وكان على شرطته عبد العزيز بن عبد الله بن مسافع جد مسافع بن عبد الرحمن الشيبى وكان زياد اجحف بدار شيبة بن عثمان جد آل الشيبى الذين هم سدنة

الكعبة المشرفة في العصر الحاضر ، وأدخل أكثرها في الجانب الاعلى من المسجد ، فتكلم مع زياد في أن يميل عنه قليلا ، ففعل فكان في هذا الميل ازورار في المسجد .

وأمر المنصور بعمل منارة في منتهى زيادته في الركن الغربي من الجانب الشمالي فعملت ، واتصل عمله في أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك. وكان عمل أبي جعفر المنصور طاقا ؛ أي رواقا واحداً بأساطين الرخام دائراً على صحن المسجد ، وتقدر زيادته ضعف ما كان عليه المسجد قبل زيادته — كما هو ظاهر على خريطة المسجد الحرام — وزخرفه بالفسيفساء والذهب ، وزينه بأنواع النقوش وألبس حجر إسماعيل بالرخام . وكان أبو جعفر المنصور أول من ألبسه بالمرمر من داخله وخارجه وأعلاه . وكان كل ذلك على يد زياد بن عبيد الله الحارثي. وقد استمر العمل ثلاثة أعوام وكان ابتداء العمل في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة . وانتهاء العمل في ذي الحجة سنة أربعين ومائة من الهجرة .

وكتب على باب بني جمح أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية مما يلي باب الصفا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى

للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فأن الله غنى عن العالمين .﴾ (أمر عبدالله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم ، وكان الذى زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وأمر ببنايته وتوسعته فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة ، وفرغ منه ورفعت الأيدى منه فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة ، وذلك بتيسير الله على أمير المؤمنين وحسن معونته وكفايته واكرامه له بأعظم كرامة ، فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوي من توسعة المسجد الحرام واحسن ثوابه وجمع الله له خيري الدنيا والآخرة وأعز نصره وأيده) هذا ما كتب على باب بنى جمح من تاريخ عمارة ابى جعفر المنصور ، وقد أزيلت هذه الكتابة فى عمارة المهدى بسبب توسيعه للمسجد الحرام مع الباب الذى كتبت عليه كما سيأتى تفصيله . وحج أبو جعفر المنصور في هذا العام الذى تمت فيه العمارة واحرم من الحيرة وبذل الأموال العظيمة رغما عما ينسبونه اليه من البخل .

هذا حاصل ماذكره الازرقى ، والفاسى ، وابن فهد ، وابن ظهيرة ، وقطب الدين فى الاعلام ، والسنجارى ، وغيرهم من مؤرخي مكة عن خبر زيادة أبى جعفر المنصور ومابذله فى توسعة المسجد الحرام وكانت زيادته بقدر ضعف ما كان عليه المسجد الحرام قبل زيادته والله أعلم .

الزيادة السادسة

زيادة الخليفة محمد المهدى العباسى

(سنة ١٦٠ و ١٦٤ هجرية توافق سنة ٧٧٦ و ٧٨٠ ميلادية)

كانت زيادة الخليفة محمد المهدى بن ابى جعفر المنصور العباسى تعادل عموم الزيادات التى زيدت بالمسجد الحرام من عهد امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى نهاية زيادة أبى جعفر المنصور كما هو ظاهر على الخريطة. واليك تفصيل ذلك. فلما كانت خلافة المهدى حج سنة ١٦٠ وأتى الحرم بأموال عظيمة قدرها مؤرخوا مكة بثلاثين ألف ألف درهم (ثلاثون مليونا) وخمسمائة ألف دينار. واستدعى قاضى مكة يومئذ محمد الاوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي وامره أن يشترى دوراً في اعلا المسجد الحرام ويهدمها ويدخلها فى المسجد، وأعد لذلك اموالاً عظيمة فاشترى القاضى جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور، فما كانت من الصدقات (الاربطة) والأوقاف اشترى للمستحقين بدلها دوراً فى فجاج مكة، واشتري كل ذراع يكسر فى مثله (أى ذراع مربع) مما دخل فى المسجد بخمسة وعشرين ديناراً فكان مما أدخل فى ذلك من الدور ما بقي من دار الازرقى بعد الذى اقتطعه منها ابن الزبير فى توسعته المتقدمة

وهي كما وصفناها لاصقة بالمسجد من أعلاه على عين الخارج من باب بني شيبة، وكان ثمن الناحية الباقية منها ثمانية عشر ألف دينار مع انه كان أكثرها قد دخل في المسجد في زيادة ابن الزبير، ومما أدخل أيضا في المسجد دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان بلغ ثمنها ثمانية وأربعين ألف دينار دفعت اليها وكانت شارعة على المسعي، يومئذ قبل أن يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان جد آل الشيبي، اشتري جميع ذلك وهدم وأدخل في المسجد الحرام وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى وقد استقطعها بعد ذلك جعفر البرمكى من هارون الرشيد لما آلت اليه الخلافه فبناها داراً، ثم صارت بعده الى حماد البربري فعمرها وزين باطنها بالقوارير (الزجاج) وظاهرها بالرخام (المرمر) والفسيفساء، ثم بعد ذلك تداولت الايدى عليها الى ان صارت رباطين متلاصقين أحدهما كان يعرف برباط المراغي، والثاني كان يعرف برباط السدرة، ثم استبدلها السلطان قايتباى وبناها مدرسة ورباطا سنه ٨٨٨ ووقف عليها مسقفات بمكة واقطاعا بمصر. هـذا ما كان من الزيادة في الجانب الشرقي من المسجد الحرام مما يلي شارع المسعى، وأما ما كان من الزيادة في الجهة الغربية فقد اشترى دورا في أسفل المسجد الى ان انتهى به الى باب بني سهم الذي كان حداً في توسعة والده المنصور، هو (باب العمرة) الى باب الخياطين الذي هو (باب ابراهيم) وكذلك زاد من الجانب الشمالي الى منتهاه،

وزاد في الجانب الجنوبي الى قبة الشراب ، وتسمى قبة العباس أيضاً الى حاصل الزيت — وكان قبة الشراب وحاصل الزيت أمام بئر زمزم من الجهة الشرقية ، الجنوبية ، وقد أزيلتا سنة ١٣٠١ ، كما سيأتي — وكان بين جدار الكعبة اليماني ، وجدار المسجد الحرام الذي يلي الصفا تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع ، وكان ماوراءه مسيل الوادي . هذا ما كان من أمر التوسعة وما زيد في المسجد الحرام للمرة الاولى من زيادة الخليفة المهدي ، وأما البناء الذي كان عليه المسجد الحرام يومئذ فاليك ماذكره المؤرخون في ذلك وهو .

ثم أمر الخليفة المهدي بنقل الاساطين الرخام من الشام ومصر ، فنقلت وحملت بحراً الى قرب جدة في موضع كان ساحلا لمكة المكرمة في العصر الجاهلي يقال له (الشعيبة) لأن مرساه أقرب لمكة من مرمى جدة ثم ، حملت تلك الاساطين الرخام من الساحل المذكور على العربات ذات العجل الى مكة — فكم قد كابدوا في نقل تلك الاساطين على العجل مع ان ثقل العمود الرخام الواحد يقدر بنحو مائة قنطار ، والمسافة بين الساحل ومكة خمسين ميلا ، ولكن قوة الارادة فوق كل شيء — وعمل الاساس لتلك الاساطين فحفرت الارض وشيد فيها جدارات على شكل التقاطع × وأقاموا كل أسطوانة على موضع التقاطع الى أن تمّ عمارة تلك الزيادة ، وسقّف أروقة المسجد الحرام بخشب الساج ، وكان كل ما تقدم هو العمارة الاولى للمهدي واستمر العمل الى سنة أربع وستين ومائة.

ثم لما حج الخليفة محمد المهدي في عام أربعة وستين ومائة شاهد الكعبة المعظمة فرآها بعد تلك السعة قد صارت الى الجهة الجنوبية ، حيث قد اتسع المسجد الحرام من الجهة الشرقية ، والشمالية ، والغربية ، وشيأ وجيزا من الجهة الجنوبية ، ولم يتسع المسجد الحرام من الجهة الجنوبية كما ينبغي ، وذلك لأن الجهة الجنوبية من المسجد الحرام كانت مجرى سيل وادى ابراهيم ، وكان خلف المجرى المذكور بيوت الناس ، وكانوا اذا أرادوا الذهاب الى الصفا يسلكون من المسجد الحرام في بطن الوادي ، ثم يسلكون زقاقاً ضيقا ، ثم يصعدون الى الصفا ، وأنه لا بد لهم اذا أرادوا توسعة المسجد الحرام من الجانب الجنوبي من تحويل مجرى سيل وادى ابراهيم ﷺ الى موضع البيوت التي على حافة الوادى من الجهة الجنوبية . فلذلك لم يكن في مستطاعهم أن يربعوا المسجد الحرام . فلما رأى ذلك الخليفة المهدي دعا المهندسين وشاورهم في ذلك ، فقالوا له : لا يمكن ذلك الا بعد ان تهدم البيوت التي على حافة المسيل في مقابلة الجدار اليماني من المسجد الحرام وينقل المسيل الى أرض تلك البيوت ويدخل مجرى الوادى في المسجد الحرام ، ومع ذلك فأن وادي ابراهيم له سيول عارمة ، وهو واد حدور يخاف إن حولناه عن مكانه أن لا يثبت أساس البناء فيه على ما تريد من الاستحكام ، فتذهب به السيول وتطوا فيه فتنصب في المسجد الحرام ، ويلزم هدم دور كثيرة ، وتكثر

المؤنة وتسكبر ، لعل ذلك لايتم . فقال أمير المؤمنين المهدى : لابد أن أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الأموال . وصمم على ذلك وعظمت ارادته ، واشتدت رغبته ، وصار يلهج به. فلما رأى المهندسون قوة عزم أمير المؤمنين محمد المهدي وتصميمه على ذلك ، لم يروا بدأ من النزول على ارادته ، والتدبير فى استعمال كل حيطة واتخاذ كل وسيلة ، فى تحويل مجرى سيل وادي ابراهيم عن موضعه حيث أصبح التوسيع أمرا محتما لابدمنه . فكان كما قيل العزم يخلق الحيلة — وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم . فقام المهندسون باجراء اللازم ونصبوا الرماح على أسطحة الدور من أول الوادى الى آخره ، ودبعوا المسجد فوق الأسطحة ، وطلع المهدى الى جبل أبى قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة فى وسطه حسب رغبته ، ورأى مايهدم من البيوت ، ومايجعل ممراً للسيل ، ومحلا للسعى ، وشخصوا له ذلك ووزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضى به. وكان ما زيد فى المسجد الحرام من الجهة اليمانية تسعين ذراعا من مجرى الوادى ، ومن أرض الدور التى تليه .

ثم بعد ذلك توجه المهدي الى العراق وخلف أموالا كثيرة لشراء الدور المذكورة ، وهذه الاموال التي خلفها لشراء البيوت هى خلاف الاموال التى أتى بها فى عام ستين ومائة وصرف منها قسماً عظيما فى الزيادة الاولى ومابقي منها فرقه على أهل الحرمين كما تقدم ذكرها . وكان جانبا

من شارع المسعى قد ادخل فى الركن الشرقى من المسجد الحرام مما يلى (باب على) وكان باب دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى عند موضع منارة باب على ، قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى حوادث سنة سبع وستين ومائة ماخلاصته : وفيها هدمت الدور التى اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدى ، فهدموا أكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها ، وهدموا مابين الصفا والوادى من الدور وخرقوا الوادى فى موضع الدور حتى أوصلوه الى مجرى الوادي القديم فى الاجياد الكبير ، وهو الآن الطريق الذى عرمنه وابتدؤا من باب بنى هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب على رضى الله عنه ، ووسع المسجد منه الى أسفل المسجد وجعل فى مقابلة هذا الباب باب فى المسجد يعرف الآن بباب حزورة (باب الوداع) لان السيل اذا زاد على مجرى الوادى ودخل المسجد خرج من هذا الباب الى أسفل مكة ، واذا طفح عن ذلك خرج من باب الخياطين ويسمى الآن باب ابراهيم فيمر السيل ولا يصل الى جدار الكعبة الشريفة من الجانب اليمانى اه .

قال القاضى ابن ظهيرة : واما باب ابراهيم فقد ادركته وهو واطىء جداً ، وانما رفع وعمل له هذه الدرجة فى حدود سنة خمس عشرة أوست عشرة وتسعمائة فى دولة الاشرف الغوري على يد الأمير خاير بك المعروف

بالمعمار ، وقد شاهدت عمارته وكانت السيول اذا دخلت المسجد الحرام انما تخرج منه ، والآن كذلك انما يخرج السيل من القبو الذى تحته لأنه لما رفع جعل تحته قبو معقود بالحجارة المنحوتة لمصرف السيل اه .

قال ابن فهد : وكان من جدار الكعبة الى الجدار اليمانى من المسجد المتصل بالوادى تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع ، فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد أولا الى الجدار الذى عمل آخرا ، وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا ، وأدخل فى أسفل المسجد مما يلى الركن اليمانى دار أم هانىء بنت ابى طالب رضى الله عنها ، وكان عند دار أم هانىء بئر جاهلية حفرها قصى ابن كلاب أحد أجداد النبي ﷺ فادخلت تلك البئر فى المسجد الحرام ، وحفر المهدى عوضها بئرا خارج الحزورة (بباب الوداع) واستمر البناة والمهندسون فى بناء الزيادة الثانية ووضع الاعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الساج المنقوش بالالوان نقرا فى نفس الخشب فى غاية الزخرفة والاحكام ، واستمر عملهم الى ان توفى المهدي لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة قبل ان تتم عمارة المسجد على الوجه الذى اراده حيث قد عاجلته المنية ، ولم يكمل الا فى خلافة ابنه موسى الهادى اه .

قال العمرى فى مسالك الابصار انه جعل للرواق سقفين أحدهما فوق الآخر ، وبينهما فرجة قدر الذراعين أو نحوهما ، فاما الأعلى منهما فسطوحه

فرش مسقف بالدوم اليمانى ، وأما الأسفل منهما فهو مسقوف بالساج مزخرف بالذهب اه. وايد ذلك ابن عبدربه الاندلسى فى العقد الفريد.

قال التقى الفاسى فى شفاء الغرام : واسم المهدى مكتوب فى مواضع من المسجد الحرام منها قرب المنارة المعروفة بمنارة باب على التى فيها الميل اه .

قال ابن بطوطه فى رحلته : وفى أعلى جدار البلاط الغربى مكتوب (أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين أصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته فى سنة سبع وستين ومائة) اه .

وهذه الكتابة والتى ذكرها الفاسى قد أزيلت عند تجديد عمارة المسجد الحرام من قبل السلطان سليم ابن سليمان وابنه مراد. سنة ٩٨٤

وكان أول شيء أمر به الخليفة الهادى بن محمد المهدى بعد وفاة أبيه وتبوئه عرش الخلافة هوا كمال عمارة المسجد الحرام الى ان يصل بعمارة أبيه المهدي ، فبادر الموكاون بذلك . وكان مما أكمله الهادى بعد المهدى هو بعض الجانب الجنوبى وبعض الغربى وبنوا بعض الاساطين من جانب باب أم هانىء بالحجارة ثم طليت بالجص ، وكان العمل فى خلافة الهادى دون العمل فى خلافة المهدى فى الاستحكام والاتقان والزخرفة ،وهوشىء بسيط بالنسبة للعمل فى عصر المهدى حيث قدانفق المهدي فى عمله الأموال الطائلة العظيمة وقد أعطى لاصحاب الدور لكل ذراع مربع أدخل فى

المسجد الحرام خمسة وعشرين ديناراً ، ولكل ذراع مربع أدخل في مجرى وادي ابراهيم خمسة عشر دينارا .

هذا حاصل ما ذكره الازرقي ، والماوردي ، والفاسي ، وابن فهد القرشي وابن ظهيرة ، وقطب الدين في (الاعلام) والسنجاري ، وعلي بن عبدالقادر الطبري ، والصباغ في تحصيل المرام ، فبعضهم أسهب في البحث مثل قطب الدين حيث نقل عن الفاكهي وغيره ، وبعضهم لخص ، وقد جاء في رواية الحافظ نجم الدين عمر بن فهد أن العمارة الثانية كانت سنة سبع وستين ومائة ووافقه ابن الاثير في تاريخه ، وأما التقي الفاسي فذكر أن المهدي أمر بالتوسعة الثانية لما حج حجته الثانية سنة أربع وستين ومائة والعمارة صارت سنة سبع وستين ومائة . وعلى ذلك لم يكن هناك خلاف بين المؤرخين في السنة التي أجريت فيها العمارة الثانية حيث ذكر بعضهم أنها كانت سنة ١٦٤ فاعتبر السنة التي أمر فيها المهدي بالزيادة الثانية . وبعضهم اعتبر السنة التي وقعت فيها العمارة الثانية وهي سنة ١٦٧ وكلا الاعتبارين صحيح . وعلى هذا فقد زال الاشكال الواقع بين روايتي التقي الفاسي ، والحافظ نجم الدين ابن فهد القرشي .

وقد ذكرنا نقلا عن المؤرخين أن أبا جعفر المنصور قد عمر المنارة التي عند باب العمرة في عمارته للمسجد الحرام . ثم ان محمد المهدي عمر ثلاث منائر احدها التي على باب السلام ، والثانية التي تلي باب علي ، والثالثة التي

تلى باب الوداع (الحزورة) وبذلك جزم التقي الفاسى ، وتعقبه القاضي ابن ظهيرة بقوله : ان المراد بذلك الترميم والتجديد ، لا الانشاء اه .

ويظهر من قول ابن ظهيرة أن المنائر المذكورة قد أنشئت قبل عهد محمد المهدي العباسى ولم يكن عمل الخليفة المهدي انشاء بل هو مرمة ، مع أنه لم يذكر ابن ظهيرة اسم الخليفة الذى أنشأها قبل المهدى ، ولا الزمن الذى أنشئت فيه ، ولا الموضع الذي كانت بنيت فيه ، كما أنه لم يذكر الأزرقى فى تاريخه أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أوعثمان بن عفان رضى الله عنهما أنشآ منائر بالمسجد الحرام ، بل ولا ابن الزبير ، ولا عبد الملك ولا الوليد ، انهم أنشؤا منائر فى عماراتهم ، ولو فرض أنهم أنشؤا منائر فى عماراتهم السالفة الذكر قبل ان ينشىء الخليفة المنصور المنارة التى بباب العمرة ، والخليفة المهدي المنائر الثلاث ، فلابد أن يكون موضعها غير موضع المنائر التى أنشأها المنصور وابنه المهدى ، ويكون موضعها ان فرض أنشاؤها داخل المسجد الحرام وقد عمها الهدم مع الدور التى هدمت لاجل توسيع المسجد الحرام فى عمارة المنصور ، أو المهدى ، وعلى ذلك فيكون ما أنشاءه المنصور ، وابنه المهدى ، من المنائر هى انشاء مبتدأ منهما ولم تكن تلك المنائر لغيرهما ، ولم يكن عملهما عبارة عن ترميم وتجديدها كما قال القاضي ابن ظهيرة . ومما يؤيد ذلك أن عمارة المنصور وابنه المهدى أوسع نطاقا من غيرهما كما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة ، وان ما انشآه من

المنار كانت على أقصى ماوصلت اليه سعة المسجد الحرام من الزيادة . كما أني لم أقف على قول أحد من المؤرخين يخبر بوجود منار كانت بالمسجد الحرام قبل عهد المنصور وابنه المهدى والله اعلم .

هذا أقصى مابلغ اتساع المسجد الحرام من عمل الخليفة محمد المهدى العباسي الى العصر الحاضر ، غير أن زيادة رحبة باب الزيادة ، ورحبة باب ابراهيم كانتا لغير المهدى كما سيأتي تفصيله وهما خارجتان عن تربيعة المسجد الحرام الذى انشأه الخليفة المهدى .

ذرع المسجد الحرام

أما ذرع المسجد الحرام بعد زيادة الخليفة محمد المهدى العباسى فأليك بيانه : ذكر الازرقى فى كتابه (أخبار مكة) أن ذرعه مكسراً مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع ومعنى مكسراً يعنى مربعاً : وقال ابن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ فى كتابه مسالك الابصار : وذرع المسجد الحرام من باب بنى جمح الى باب العباس الذى عند العلم الاخضر ويعرف بباب بنى هاشم (٤٠٤) أذرع ، وعرضه ما بين دار الندوة الى باب الصفا (٣٠٤) اذرع ، وذرع ما بين وسط جدار الكعبة الشرقى الذى يلى المسعى (٢١٣) ذراعا ، ومن وسط جدار الكعبة الغربى الى

جدار المسجد الغربى الذى يلى باب بنى جمح (١٩٩) ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الجنوبى الى جدار المسجد الذى يلى الوادى (١٤١) ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الشمالى الذى يلى الحجر الى جدار المسجد الذى يلى دار الندوة (١٣٩) ذراعا، ومن ركن الكعبة العراقي ويقال له الشامى الى المنارة التي تلى المروة (٢٦٤) ذراعا، ومن ركن الكعبة الشامى ويقال له الغربى الى المنارة التي تلى باب بنى سهم (وهو باب العمرة) (٢١٨) ذراعا، ومن الركن اليماني الى المنارة التي تلى اجياد الكبرى وبين الحزورة (٢٠٨) أذرع ومن الركن الأسود الى المنارة مستمرة تلى المسعي والوادى من ناحية الصفا (منارة باب على) (٢٢٨) ذراعا اه ولم أر لغيره أنه ذرع أركان المسجد الحرام ممن تصدا لذرعه من المؤرخين وغيرهم وروى التقي الفاسى في (شفاء الغرام) عن القاضى عز الدين بن جماعة أنه قال: مساحة المسجد الحرام ستة أفدنة ونصف وربع، والفدان عشرة الآف ذراع بذراع العمل المستعمل في البناء بمصر، وهو ثلاثة أشبار تقريبا اه.

وذكر عبدالكريم بن محب الدين فى كتابه ذيل (الاعلام) لقطب الدين الحنفي المكى في حوادث سنة ١٠٠٠ ألف بقوله: وطول المسجد من عتبة (باب السلام) الى عتبة باب (العمرة) ٣٥١ ذراعا، ومن عتبة باب السدة (أى باب العتيق الذى بجوار باب العمرة) الى باب (أم هانىء) (٢٥٣) ذراعا، ومن عتبة باب الحزورة (الذى يسمى الآن بباب

الوداع وهو بجوار باب أم هانى) الى عتبة باب البغلة الى جدار المدرسة السليمانية (٢٣٢) ذراعا وربع ذراع اه .

يظهر من هذه العبارة الأخيرة انه وقع سقط على الناسخ لأنه ذكر ابتداء ذرع الجهة الجنوبية من باب الوداع ، ولم يذكر منتهى تلك الجهة لان منتهى الذرع يكون باب على، ثم لم يذكر أيضا قدر طول تلك الجهة الجنوبية بالذراع ، بل ذكر ابتداء الجهة الشرقية من باب البغلة الى منتهاها المدرسة السليمانية يعنى التى أنشاءها السلطان سليمان بن السلطان سليم خان العثمانى الواقعة بعلو باب الدريبة بجوار باب السلام ، فسقط عليه ذرع الجهة الجنوبية . ثم قال وطول المسجد من جدر البيت الشريف (أى الكعبة) من ناحية الباب الى أول الاساطين (١٧٤) ذراعا ، ومن جدر البيت الغربى الى أول الاساطين (١١٩) ذراعا ، ومن الجانب الجنوبى من جدر البيت الى أساطين الرواق ٨٣ ذراعا ، ومن تحت الميزاب الى أول الاساطين ٨٧ ذراعا ، أى الجهة الشمالية اه .

ولم يذكر نوع الذراع الذى ذرع به المسجد الحرام هل هو ذراع اليد ، أم ذراع الحديد ، والذى يظهر انه بذراع الحديد وانما كان ذرعه من اركان المسجد كما صرح به وقد ذكرت ماتقدم لأجل ان أنبه عليه لئلا يطلع عليه بعض القراء فيظن ان هناك اختلاف فى ذرع المسجد الحرام ، مع أن الخلاف واقع فى انواع الأذرع التى استعملها المؤرخون فى ذلك ، والجهة

التى ابتدؤا منها الذرع ، وسنأتى على عموم الاقيسة التى قيس بها المسجد الحرام ونبينها للقارىء ونظهر له النتيجة فى آخر هذا الفصل ان شاء الله .

وقد تحصلنا من الذرع المتقدم على أن الجهة الشرقية للكعبة المعظمة اطول من الجهة الغربية بـ (٥٥) ذراعا ، وان الجهة الشمالية أعرض من الجهة الجنوبية بأربعة أذرع . وكان ذرعه للمسجد الحرام بعد العمارة الأخيرة التى وقعت سنة ٩٨٤ من قبل السلطان سليم بن سليمان خان وابنه السلطان مراد خان العثمانى التى عليها المسجد الحرام الى تحرير هذا المؤلف .

وقد حرر التقي الفاسى ذرع المسجد الحرام بذراع الحديد فقال : كان طول المسجد الحرام من الشرق الى الغرب ثلاثمائة وستة وخمسون ذراعاً وثمن ذراع بذراع الحديد ، ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع ، وكان عرضه من الشمال الى اليمن مائتى ذراع وستة وستين ذراعا بذراع الحديد ، ويكون ذلك بذراع اليد ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع اهـ . وذرع التقي الفاسى ينطبق مع العمرى تمام الانطباق فى العرض ، ويزيد عنه فى الطول ثلاثة اذرع ، وهذه الزيادة لا تعتبر ، لاحتمال اختلاف النقطة التى ابتدأ منها كل واحد منهما فى ذرعه

وقال القاضى ابن ظهيرة أنه قاسه بذراع اليد على السمت الذي سار عليه الفاسى طولا من باب النبي ﷺ شرقا الى باب ابراهيم غربا — وذلك خارج من الزيادة التى زيدت فى باب ابراهيم ، ودار الندوة وسيأتى خبر

الزيادتين—اربعمائة وسبعة أذرع ، وعرضه من باب الصفا جنوبا الى باب الزيادة شمالا ثلاثمائة وأربعة أذرع اه .

فظهر من ذرع ابن ظهيرة أنه لم يكن بين ذرعه وذرع الفاسي خلاف أصلا ، وانما كان ذرعه تأييداً لذرع التقي الفاسي وقد أوضح الفاسي ذرعه بذراع اليد ، وبالذراع الحديد ، وبما ان الذراع الحديد ٥٦½ سنتم فيكون طول المسجد الحرام من وسطه حسب ماقاسه الفاسي من المشرق الى المغرب ٢١ ٢٠١ متر ، وعرضه من الشمال الى الجنوب ٢٩ ١٥٠ متر وبذلك تكون مساحة المسجد الحرام أوسع مما عليه المسجد الحرام في العصر الحاضر بعد عمارته التي جرت سنة ٩٨٤ ﻫ ببضعة أمتار كما سيأتي .

وذكر البتنوني في كتابه الرحلة الحجازية ، وابراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين ذرع المسجد الحرام بالمتر نقلا عن محمد صادق باشا أمير الحاج المصري سابقا عن ضلع المسجد الحرام الشمالية المقابل للحطيم (١٦٤) متر ، وطول الضلع الجنوبية المقابل للاولى (١٦٦) متراً ، وضلعه الشرقية التي فيها باب السلام (١٠٨) متر ، والغربية طولها (١٠٩) فيكون مسطحه من الداخل — أى الحصوة —(١٧٩٠٢) متراً ، عن اربعة افدنة وربع تقريبا ، وأما من الخارج فتوسط طوله (١٩٢) متراً وعرضه (١٣٢) متراً.

وقد يتبادر للقاريء أن بين قياس محمد صادق باشا وبين قياس التقي الفاسي ومن وافقه من المؤرخين فرق عظيم وخلاف كبير ، والحقيقة لم

يمكن ذلك لأن قياس التقي الفاسي كان من وسط الرواق ، وقياس محمد صادق باشا من اضلاع المسجد الحرام ومن هنا ظهر الفرق في الطول والعرض لأن وسط المسجد الحرام أطول مسافة من اضلاعه التي هي الاركان وهذا ظاهر بالعيان ومحسوس حيث ان الركن الشرقي مما يلي الجهة الجنوبية الموازي لمنارة (باب علي) والركن الغربي الجنوبي الموازي لمنارة (باب أم هانيء) ، وكذلك الركن الغربي الشمالي الموازي لمنارة (باب العمرة) فيهم انحناء ظاهر ، وهذا الانحناء هو الذي أوجد ذلك الفرق بين القاسين ، وكذلك لأن وسط المسجد الحرام في جهاته الاربعة يحتوي بعضها على أربعة أروقة ، وبعضها على ثلاثة أروقة ونصف أو ثلث ، وأما اضلاعه التي بداخل الرواق فبعضها يحتوي على أقل من رواق وهو الضلع الواقع بين باب علي والمنارة الموالية له من الجهة الشرقية الجنوبية ، وبعضها يحتوي على رواق ونصف ورواقين ، وواحد منها وهو الذي بين باب السلام ، وباب الدريبة ، من الجهة الشرقية الشمالية يحتوي على ثلاثة اروقة.

ولذلك رأيت من الضروري أن أذرع المسجد طولا وعرضا بالمتر لأجل أن ازيل عن القارىء شبهة الخلاف الواقع في نقطة من مبتدأ الذرع ، ونقطة انواع الأذرع من ذراع اليد وذراع الحديد ، والمتر المستعمل في العصر الحاضر واليك بيان ذلك .

قياس المسجد الحرام من الشرق الى الغرب

سنت	متر	
٥٠	١٧	من جدار المسجد الحرام الشرقية الموالية لباب النبي الى حافة الرواق من جهة الحصوة
٤٠	٦٣	من حافة الرواق على حد الحصوة الى باب بنى شيبة
٨٠	٤٨	طول صحن المطاف من باب بنى شيبة الى حافة الصحن مما يلى مقام المالكى
٤٥	٥٢	من حافة الصحن مما يلى مقام المالكى الى نهاية الحصوة من الجهة الغربية
٩	١٤	من حافة الرواق الغربى على حد الحصوة الى صدر جدار المسجد مما يلى مدرسة الشريف غالب بالجهة الغربية
٢٤	١٩٦	يكون طول المسجد الحرام من الشرق الى الغرب

***

قياس المسجد الحرام من الشمال الى الجنوب

سنت	متر	
١٥	١٥	من حد طرف دار الندوة الموازى لاستقامة جدار المسجد من باب الدريبة الى باب الباسطية ، الى منتهى عرض الرواق على حافة الحصوة

سنت	متر	
١٥	١٥	ما قبله
٦٥	٢٨	من حافة الحصوة الشمالية على حد الرواق الى حافة صحن المطاف مما يلى مقام الحنفى
٤٥	٤٧	من حافة الصحن مما يلى مقام الحنفى الى منتهى الصحن مما يلى مقام الحنبلى ، أعنى عرض الصحن من الشمال الى الجنوب
٤٠	٣١	من حافة الصحن مما يلى مقام الحنبلى الى منتهى الحصوة من الجهة الجنوبية
٥	٢٠	من منتهى الحصوة من الجهه لجنوبية الى جدار المسجد الحرام مما يلى (باب اجياد الصغير)
٧٠	١٤٢	يكون عرض المسجد الحرام من الشمال الى الجنوب

* * *

مساحة الحصوة

﴿ التى هى رحبة المسجد الحرام من داخله ﴾

سنت	متر	
٦٥	١٦٤	من الشرق الى الغرب
٥٠	١٠٧	من الشمال الى الجنوب

مساحة دار الندوة

سنت متر

١٠ ٣٦ من الشرق الى الغرب أى من جدار مدرسة السلطان سليمان خان التى هى الآن مركز المحكمة الشرعية الى قلب الزاوية التى تلى جدار مدرسة القطبي من الجهة الغربية

١٠ ٣٧ ومن الشمال من أول درج باب الزيادة الى منتهى دار الندوة مما يلى حد جدار المسجد الحرام على سمت جداره من باب الدريبه الى باب الباسطيه

مساحة باب ابراهيم مع رحبته

سنت متر

٦٥ ٢٤ من الشرق الى الغرب أى من حد المسجد الحرام مايسامت جدار رباط اليمنيين الشرقية الى جدار مدرسة الشريف ابى نمى الشرقية ، الى الباب غربا

٢٩ من الشمال من جدار رباط اليمنيين الى جدار مدرسة الشريف ابى نمى

مساحة بيت بئر زمزم

سنت متر

٣٠ ٨ من الشرق الى الغرب

٧٠ ١٠ من الشمال الى الجنوب

مساحة مقام الحنفي

سنت	متر	
٤٠	٨	من الشرق الى الغرب
٦٠	«	من الشمال الى الجنوب

مساحة مقام المالكي

سنت	متر	
٩٠	٣	من الشرق الى الغرب
«	«	من الشمال الى الجنوب

مساحة مقام الحنبلي

سنت	متر	
٩٠	٣	من الشرق الى الغرب
٧٠	«	من الشمال الى الجنوب

هذا ما كان من نتيجة ذرع المسجد الحرام بالمتر طولا وعرضا من الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب ، وذرع دار الندوة ، وباب إبراهيم مع فسحته ، وذرع بيت زمزم ، والمقامات الثلاثة . ومن ذرع طول المسجد الحرام وعرضه بالمتر يظهر أن ذرع ابن فضل الله العمري الذي تقدم ذكره وذرع التقي الفاسي على حسب تقدير ذراع اليد (٤٨) سنتمتر يكون مطابقا لما ذكرناه من طول المسجد وعرضه بالمتر ، اذ أن

الفرق بسيط جداً وهو انه وقع نقص من ذرعها فى الطول ، بضعة أمتار وزاد فى العرض مثله بضعة أمتار . وأما ذرع الفاسى بذراع الحديد اذا كان اعتبار ذلك الذراع الحديد ٥٦½ سنتمتر يكون طول المسجد الحرام وعرضه فى ذلك العصر أزيد مما عليه الآن بنحو خمسة أمتار فى الطول وثمانية أمتار فى العرض لأن قياسه كان على عمارة الخليفة محمد المهدى العباسى وقياسنا هو على العمارة الاخيرة التى وقعت سنة ٩٨٤ ﻫ من قبل السلطان سليم خان وابنه السلطان مراد خان من سلاطين آل عثمان . وعلى ذلك تكون مساحة المسجد الحرام فى عهد عمارة الخليفة المهدي بموجب ذرع التقى الفاسي بذارع الحديد المتقدم ذكره سنت ٧٩ متر ٣٠٢٤٠ مربع، وأما مساحته فى العصر الحاضر وذلك على عمارته الأخيرة التى جرت سنة ٩٨٤ هجرية تكون (٢٨٠٠٣) متراً مربعاً بموجب ذرعنا الاخير له كما هو موضح فيما سبق .

هذا ما كان من تحرير المسجد الحرام فى عمارة المهدى وسلاطين آل عثمان بذراع اليد، وذراع الحديد، والمتر ، وقد قدمنا ذرع المسجد الحرام فى عمارته الاخيرة قبل ذكرها لأجل ان يظهر للقارىء مساحة المسجد فى عصر المهدى ، ومساحته الاخيرة .



تقدير ما صرف على المسجد الحرام

فى عمارة المهدى

قد تبين مما تقـدم أن طول المسجد الحرام أصبح بعد زيادته أمير المؤمنين محمد المهدى (٤٠٧) أذرع بذراع اليد ، وان ما زاده المهدى فى عرضه من الجهة الجنوبية تسعون ذراعا وذلك فى زيادته الثانية فقد صار من السهل ان يقدر ماصرفه الخليفة محمد المهدى فى عمارتيه الاولى والثانية بالمسجد الحرام . وعليه نبدأ أولا فى تقدير قيمة الدور التى اشتراها وهدمها وادخل أرضها فى المسجد الحرام فى الزيادة الثانية لأنها معلومة ، فكان طول ما أدخل منها فى المسجد من الجانب اليمانى (٤٠٧) أذرع بذراع اليد وعرضه (٩٠) ذراعا فاذا كسرنا هذه المساحة الطول فى العرض ظهر حاصل الضرب فى الزيادة الثانية من الجهة اليمانية (٣٦٦٣٠) ذراعا مربعاً. فاذا كسرنا هذه المساحة فى سعر ذراع اليد المربع بخمسة وعشرين ديناراً التي أعطاها المهدى لأصحاب الدور مقابل قيمة دورهم صار قيمة هذه المساحة (٩١٥٧٥٠) ديناراً وهى التى أدخلت فى الجهة الجنوبية . وأما ما أدخل فى الزيادة الاولى من المسجد فى الجهة [illegible] [illegible] اشتراها من أهلها وقد بلغت قيمتها مبلغ ([illegible]) ألف دينار ومنها دار شيبة بن عثمان الحجبي وبعض دار الازرقى التى قد أخذ بعضها ابن الزبير

وأخذ الباقي منها المهدي بمبلغ (١٨) ألف دينار، وغيرها مما لا تقل عن دار خيرة الخزاعية، وكذلك ما أدخل من الدور في الجهة الشمالية والجهة الغربية وإذا فرضنا ان مساحة الدور التي أدخلت في الجهات الثلاث الشرقية والشمالية والغربية هي قدر المساحة الجنوبية فيكون قيمتها مبلغ (٩١٥٧٥٠) ديناراً. وكذلك اذا قدّرنا قيمة الدور التي هدمت وجعلت أرضها مجرى لسيل وادي ابراهيم التي قدر لكل ذراع مربع خمسة عشر ديناراً وقوّمنا قيمتها بنصف قيمة الدور التي أدخلت في الجانب الجنوبي في العمارة الثانية فيكون مجموع قيمتها (٤٥٧٨٧٥) دينارا. فيكون مجموع ذلك وهو مادفعه الخليفة محمد المهدي مقابل قيمة تلك الدور المتقدم ذكرها التي أدخل بعضها في المسجد الحرام، وبعضها في مجرى سيل وادي ابراهيم مبلغ (٢،٢٨٩٣٧٥) دينار، مليونين ومائتين وتسعة وثمانين ألف، وثلاثمائة وخمسة وسبعين ديناراً.

واذا قدرنا ماصرفه الخليفة المهدي على نقل الاسطوانات الرخام من مصر، والشام، وماصرف على جلب الخشب الساج قيمة ونقلا من الهند الى مكة المكرمة، بحسب قوة ادوات النقل وجسامتها في ذلك العصر براً، وبحراً، وأضفنا الى ذلك ماصرف أجورا على المهندسين، والعمال والمؤن، والزخرفة، والنقوش بالفسيفساء التي أصبح وجودها في هذا العصر يعد من النوادر، فلاشك أنه يضاهي على أقل تقدير قيمة تلك الدور

التي هدمت لتوسعة المسجد الحرام وهو مبلغ (٢،٢٨٩٣٧٥) دينار، فاذا ضم قيمة الدور على المصاريف أصبح مجموعهما أربعة ملايين، وخمسمائة وثمانية وسبعين ألف، وسبعمائة وخمسين دينارا (٤،٥٧٨٧٥٠) ديناراً، وهذا على أقل تقدير، حيث قد حمل أمير المؤمنين المهدي في حجته الأولى التي عمر فيها المسجد الحرام عمارته الاولى وهي سنة ١٦٠ معه مبلغاً ثلاثين مليون درهم، ونصف مليون دينار، كما تقدم بيانه فانفق معظمها على العمارة الاولى ومابقي فرقه على أهل الحرمين، وقد علم مما تقدم أن المهندسين قدروا للمهدي في العمارة الثانية أضعاف ما صرفه في العمارة الأولى حتى قال لهم الخليفة المهدي: لا بد من العمل ولو انفق عموم مافي بيوت الاموال. هذا هو البر الجسيم، وهذا هو المجد الشامخ، وهذا هو الذكر الخالد، وهذا هو العمل المبرور، وهذا أساس السعادة. فكيف لا يقدر المؤرخون لذلك الخليفة محمد المهدي ذلك العمل العظيم وتلك الاموال الطائلة التي أنفقها في عمارة المسجد الحرام الذي جعله الله تعالى مثابة للناس وأمناً. فجزاه الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء.

عمارة المعتمد العباسي

سنة ٢٧١

وفى عصر الخليفه ابى احمد جعفر بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد ، الملقب بالمعتمد على الله ، وقع وهن فى بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربى قبل زيادة باب إبراهيم وكان هناك باب فى نفس الجدار الغربى من المسجد الحرام يقال له باب الخياطين ، وذلك فى سنة ٢٧١ . وسبب ذلك أنه كان بجوار باب إبراهيم دار تسمى دار زبيدة بنت جعفر بن المنصور فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فانكسرت أخشابه وانهدمت أسطوانتان من اساطين المسجد ، ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس ، وكان عامله على مكة يومئذ هارون بن محمد بن إسحاق ، وقاضيها يوسف بن يعقوب القاضى . فلما رفع الامير ذلك الامر الى بغداد أمر الموفق بالله اخو الخليفة عامله هارون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الحرام وجهز اليه المال . فشرع في عمارته ، وجدد له سقفا من الخشب الساج ونقشه بالألوان المزخرفة ، واقام الاسطوانتين الساقطتين ، وبنى عقودها ، وركب السقف . وتم ذلك فى سنة ٢٧٢ وركب لوحين من الحجر فى جدار المسجد الحرام فى ذلك الجانب نقش على أحدهما .

بسم الله الرحمن الرحيم

(أمر أبو أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أطال الله بقاءه بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى والزلفى اليه وتم ذلك على يد عامله على مكة ونواحيها هارون بن محمد بن اسحاق بن موسى في سنة اثنتين وسبعين ومائتين) * ونقش على اللوح الثاني *

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أبو أحمد الموفق بالله أخو أمير المؤمنين أطال الله بقاءهما القاضي يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما في ذلك من جاء ثواب الله تعالى أجزل الله ثوابه وأجره، وتم ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبار في سنة اثنتين وسبعين ومائتين

قال قطب الدين الحنفي في (الاعلام) بعد أن ذكر كل ما تقدم: والحجران المذكوران لا وجود لهما الآن، وقد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام ابي عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي. اه

فظهر مما تقدم ان الذي أمر بهذه العمارة هو الموفق بالله أخو الخليفة المعتمد على الله، ولم يكن للخليفة المعتمد فيها أمر ولا نهي مع ان العادة جرت أن مصدر الأوامر الخليفة، أو أمير المؤمنين، أو الملك، او السلطان، وان كان الامر في يد غيره فلابد ان تجرى الاعمال باسمه ولو صوريا، والذي يظهر من سياق التاريخ ان الخليفة المعتمد ما كان يملك من الامر شيئا

ولا اسمياً، وأن الموفق بالله هو القائم بشؤون الخلافة يتصرف فيها كيف يشاء بدون اطلاع الخليفة المعتمد والله اعلم .

الزيادة السابعة

زيادة دار الندوة

﴿ سنة ٢٨١ هجرية ، يوافق سنة ٨٩٤ ميلادية ﴾

قد زيد فى المسجد الحرام بعد عمارة الخليفة محمد المهدي العباسي التى تقدم بيانها زيادتان خارجتان عن تربيع المسجد الحرام احداهما في الجهة الشمالية وهي المعروفة فى العصر الحاضر (باب الزيادة) بما فيه من الرحبة الاروقة المحاطة به والاخرى فى الجهة الغربية ، وهى المعروفة أيضا بوحبة (باب ابراهيم) . بما احتوى من الاروقة المحاطة به أما موضع الزيادة الاولى التى فى الجهة الشمالية فقد أجمع المؤرخون على أنها (دار الندوة) التى بناها قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي ﷺ كما تقدم بيانه وجعلها مجلس الشورى ، وبقيت كذلك الى ان جاء الاسلام ، وكان بابها مما يلى المسجد الحرام .

ويشاع على الالسنة أن دار الندوة هو مقام الحنفي الواقع خلف حجر اسماعيل من الجهة الشمالية ، وهذا ليس بصحيح وقد قال بعض المتأخرين من المؤرخين المكيين فى كتابه : انه يقال أن دار الندوة محل مقام الحنفي

أو بعضه . وليس للقائل بهذا القول مستند من التاريخ القديم حيث لم يكن أمامنا ما نستند عليه فى صحة الخبر أو عدمه غير تواريخ مكة المكرمة المعتمدة التى دونها أعلام مكة أولئك الذين هم الحجة فى ذلك والمعول عليهم فى احوال مكة وأخبارها واعتمد على رواياتهم أقطاب العلماء من محدثين ، ومفسرين ، ومؤرخين ، وغيرهم الذين هم مثل أبي الوليد الازرقي والامام أبى عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهى ، وتقي الدين الحجة الفاسى والحافظ نجم الدين بن فهد القرشي ، والقاضى ابن ظهيرة المخزومى ، والحافظ الحجة المحب الطبرى ، وقطب الدين الحنفى ، والعلامة على بن عبد القادر الطبري ، والعلامة السنجارى والعمري فى مسالك الابصار ، وابن الحافظ نجم الدين ، والعلامة الصباغ وغيرهم ممن نقلت عنهم خبر عمارة المسجد الحرام فى هذا الكتاب ، فكلهم قد أجمعوا على أن موضع دار الندوة هو رحبة باب الزيادة مع باب الزيادة الحالى بما اشتمل عليه من الأروقة والحصوة ، وهذا معقول اذ لو فرض ان موضع دار الندوة كان موضع مقام الحنفى الحالى الذى هو على حافة مدار المطاف لكان قد اجترفه الهدم الذي اجترف عموم الدور التى كانت حول مدار المطاف إما فى توسعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأما فى توسعة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أو فى توسعة من قام بتوسعة المسجد الحرام بعدهما مثل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أو الوليد بن

عبدالملك بن مروان الاموى ،أو أبى جعفر المنصور العباسى ومحمد المهدى فلو كان الامر كذلك لما جهله اولئك الاعلام الذين تصدوا لتدوين عمارة المسجد الحرام ، واخذوا يفحصون الاخبار ويثبتونها فى مؤلفاتهم وقد خصصوا لدار الندوة فى كتبهم فصلا خاصا بها ،وذكروا فيه حالتها فى الزمن الجاهلى، فى أول الاسلام ،وكيف صار هدمها ، وكيف عمرت وجعلت أولا مسجداً منفرداً منعزلا عن المسجد الحرام بجواره ، ثم ألحقت به ، وكل ذلك كان بعد عمارة وتوسعة الخليفة محمد المهدى العباسي كما سيأتى كل ذلك مفصلاً فى هذا الباب ، وقد علم مما تقدم فى توسعة المسجد الحرام أن توسعة أبى جعفر المنصور وابنه محمد المهدي كانتا من الجهة الشمالية التى مبدؤها من باب الدريبة على خط مستقيم الى باب العمرة فلو كان دار الندوة فى موضع مقام الحنفى لكان ألحق بالمسجد الحرام من عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أو عثمان بن عفان رضى الله عنهما ولما بقي له أثر يذكر بعد عهد عمارة المهدى العباسى ، اوانهم نوهوا باسمها ضمن تلك الدور التى قد نوهوا بأسمائها مثل دار الازرقي ،ودار خيرة بنت الخزاعى ، ودار شيبة الحجبي وغير ذلك . هذا ما أردت بيانه ليتضح كل ذلك للقارىء ولنزول عنه الشك من كون دار الندوة هو غير مقام الحنفي واليك ما قاله علماء مكة فى ذلك :

قال التقي الفاسي في كتابه (شفاء الغرام) : انه لم يزد في المسجد الحرام بعد الازرقي الا ان الزيادتين المعروفة إحداهما بزيادة (دار الندوة) بالجانب الشمالي، والثانية الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم بالجانب الغربي.

وقال القاضي ابن ظهيرة المخزومي المكي في كتابه الجامع اللطيف: إعلم انه لم يزد في المسجد الحرام بعد عمارة المهدي رحمه الله سوى هاتين الزيادتين (دار الندوة) التي في الجانب الشامي من المسجد ، وزيادة (باب إبراهيم) في الجانب الغربي منه اهـ

وقد أوضح العلامة قطب الدين الحنفي المكي في كتابه (الاعلام) عمارة دار الندوة فقال : انه كانت دار الندوة بعد ظهور الاسلام وكثرة بناء الدور بمكة دارا واسعة ينزل بها الخلفاء اذا وردوا مكة ويخرجون منها الى المسجد الحرام للطواف والصلاة ، وكان لها فناء واسع صار سباطة ترمى فيه القمائم ، فاذا حصلت الامطار الغزيرة سال من الجبال التي في يسار الكعبة مثل جبل قعيقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة الى ذلك الفناء وحملت أوساخه وقمائمه الى دار الندوة والى المسجد الحرام ، واحتيج الى تنظيف تلك الأوساخ ، والقمائم من المسجد الحرام كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالي وصار ضررا على المسجد الحرام ؛ فكتب قاضي مكة محمد بن عبدالله المقدمي ، وأمير مكة يومئذ عج بن حاج مولى المعتضد العباسي ، مكاتبات الى وزير المعتضد يومئذ عبيد الله بن سليمان

ابن وهب تتضمن أن دار الندوة قد عظم خرابها وتهدمت وكثر ماتلقي فيها القمائم حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجيرانه ، واذا جاء المطر سالت السيول من بابها الى بطن المسجد وحملت تلك القمائم الى المسجد وانها لو أخرج مافيها من القمائم وهدمت وبنيت مسجداً يوصل بالمسجد الحرام أو جعلت رحبة يصلي الناس فيها ، ويتسع الحجاج بها ، لكانت مكرمة لم تتهيأ لأحد من الخلفاء بعد المهدي ، والهادي ، ومنقبة باقية ، وشرفا على طول الزمان ، واجراً مدخراً ، وان بالمسجد خرابا كثير ، وان سقفه يسيل منه الماء اذا جاء المطر ، وان وادي مكة قد انكبس بالاتربة فعلت الأرض عما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليماني أيضا الى المسجد الحرام ، ولا بد من قطع تلك الأرض وتمهيدها وتنزيلها الى حد تمر فيها السيول منحدرة عن الدخول الى المسجد الحرام . ووصل ايضا في تلك الاثناء الى بغداد سدنة الكعبة ورفعوا أمرهم الى ديوان الخلافة وهو أن وجه جدارن الكعبة من باطنها قد تشعث ، وان الرخام المفروش في ارضها قد تكسر ، وان عضادتي باب الكعبة كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة المكرمة في سنة ٢٥١ بخروج بعض العلويين فقلع عامل مكة يومئذ ما على عضادتي باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير واستعان به على حرب العلوي الذي خرج عليه يومئذ ، وصاروا يسترون العضادتين بالديباج ، ووقعت أيضا بعدها فتنة بمكة سنة ٢٦٨ فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من

الذهب الذى كان مصفحا على باب الكعبة ومن أسفله وما على أنف الباب الشريف من الذهب ، وضربه دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة ، وجعل بدل الذهب فضة مموهة على الباب الشريف وعلى أنف الباب فاذا تمسح الحجاج به ذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة فيجدد تمويهها كل سنة ، والمناسب اعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان ، وان رخام الحجر الشريف — حجر اسماعيل — قد تكسر ويحتاج الى تجديد ، وان بلاط المطاف حول الكعبة الشريفة لم يكن تاما ويحتاج الى ان يتم من جوانبها كلها ، وان ذلك من أعظم القربات . فلما أشرف كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب ، على هذه المكاتبات رفع ذلك الى الخليفة وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها . فأمر الخليفة المعتضد باجراء كل ذلك وأن يعود المسجد الحرام الى أحسن ما كان عليه فى زمن المهدى ، وان يحمل من خزائنه مالا عظيما لهذا العمل ، وأمر قاضى بغداد يومئذ وهو القاضى يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك ويجهز لعمله من يعتمد عليه وأمر بحمل المال اليه . فجهز لذلك ولده أبى بكر عبد الله بن يوسف ، وعين معه لهذه الخدمة أبا الهياج عميرة بن حسان الأسدى وكان له أمانة وحسن رأي وسيرة حسنة .

فحملا الأموال وأتيا الحج فوصلا مكة فى موسم حج سنة ٢٨١ وكان قد حمل معه ذهبا خاصا لباب الكعبة ، فحج وتخلف بعد الحج بمكة أبو

الهياج ومعه العمال والاعوان، وعاد عبدالله بن القاضي يوسف مع الحجاج الى بغداد ليرسل اليه مايحتاج اليه من بغداد لتكميل ماأمر به من العمارة المذكورة ، فشرع أبو الهياج فى حفر الوادى وماحول المسجد الحرام حتى أظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادي اثنتا عشرة درجة حيث كان ظاهر منها خمس درجات ، فحفر الارض ورمى بترابها خارج مكة ونظف دار الندوة من القمائم والاتربة ، وهدمت وحفر أساسها ، وجعلت مسجداً وأدخل فيها من أبواب المسجد الكبير ستة ابواب كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاع كل باب من الأرض شارعة الى جهة الشمال أحد عشر ذراعا ، وجعل بين الابواب الكبار ستة أبواب صغار ارتفاع كل باب بطاق واحد فى جانبها الغربى، واقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الأربعة ، وركبت سقوفها على أساطين وطاقات بخشب الساج المزخرف ، وجعل في هذه الزيادة ثلاثة أبواب ، بابان طاقان وهما (باب الزيادة) وباب طاق واحد وهو (باب القطبي) شارعة الى الطريق التي حولها ، وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير ، وبنى فيها منارة وشرفا ، وفرغ منها فى ثلاث سنين انتهى .

هذا ماذكره قطب الدين فى (الاعلام) ووافقه الفاسى ، وابن ظهيرة وقد توفى قطب الدين الحنفى فى نهاية القرن العاشر فلوكان موضع دار الندوة مقام الحنفي أو الرحبة التي خلفه أو غيرذلك مما أدرج فى عمارة المهدي

العباسي المسائغ له ولغيره أن يخص بدار الندوة رحبة (باب الزيادة) وما حولها من الاروقة ، ولنوه عنها كما نوه عن غيرها ، أو كان يذكر أن الذى عمر فى الزيادة المذكورة هو بعض دار الندوة أو ما فى معنى ذلك. قال الفاسي: ولم يبين اسحاق الخزاعى السنة التى فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة ولعل ذلك كان فى سنة ٢٨٤ على مقتضى ما ذكره ابن اسحاق الفاكهى أن الكتابة الى المعتضد بسبب انشائها كانت فى سنة ٢٨١ . انتهى وقد ذكر على بن عبد القادر الطبري فى (الارج المسكى) تاريخ الفراغ من تلك العمارة بقوله وفرغ من عمارتها فى سنة ٢٨٤ . اه .

ثم تغير ذلك الوضع بما هو خير منه ، فروي قطب الدين فى (الاعلام) عن محمد بن اسحاق الفاكهى فى تاريخ مكة ان ابا الحسن محمد بن نافع الخزاعى ذكر فى تعليق له ان قاضى مكة محمد بن موسى القاضى لما كان اليه أمر البلد جدد بناء زيادة دار الندوه وغير الطاقات التى كانت فتحت فى جدار المسجد الكبير وجعلها متساوية واسعة بحيث صار من فى زيادة الندوه مشاهد البيت الشريف ، وجعل أساطينها حجراً مدوراً منحوتاً وركب عليها سقوفا من الخشب الساج منقوشاً مزخرفا ، وعقوداً مبنية بالآجر والجص ، ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا أحسن من الاول ، وجدد شرفاتها وبيضها . وانه عمل ذلك فى سنة ٣٠٦ اه

وروى ذلك أيضاً التقي الفاسي في شفاء الغرام ، وابن ظهيرة ، بعبارة أوجز. فعلم مما تقدم ان ما عمله القاضي محمد بن موسى هو ادماج دار الندوه بالمسجد الحرام ، حيث كانت في العمارة الاولى عبارة عن مسجد مستقل وأصبحت دار الندوه بعد هذا الادماج جزء من المسجد الحرام وهي لا تزال كذلك الى العصر الحاضر .

وبلغت مساحة زيادة دار الندوة كما حررها التقي الفاسي وغيره طولا من سمت جدار المسجد الحرام الواقع بالنسبة الى دار الندوة جنوبا الى باب الزيادة المذكورة شمالا أربعة وسبعون ذراعا الاربع ذراع ، بذراع الحديد ، عافيها من الاروقة التابعة لها. وعرضا من جدار مدارس القاتي الأربعة — التي صار بعضها الآن مركزا للمحكمة الشرعية — شرقا الى جدار مدرسة القطبي غربا سبعون ذراعا ونصف ذراع بالذراع الحديد وقد تقدم ان الذراع الحديد ٥٦ ½ سنتم . وبقيت دار الندوة على هذه الصفة من الصلة بالمسجد الحرام والاندماج فيه الى العمارة الاخيرة التي اجريت من السلطان سليم بن سليمان وابنه السلطان مراد لعموم المسجد الحرام بما فيه زيادة دار الندوة ، وزيادة باب ابراهيم فأصبحت بعد العمارة الاخيرة المذكوره على الصفة التي عليها في العصر الحاضر . وهذه المساحة التي ذكرها التقي الفاسي تنطبق تمام الانطباق على رحبة باب الزيادة وما حولها من الاروقة فلو كانت هذه

المساحة اوسع من تلك الزيادة" قلنا ان رحبة باب الزيادة هي بعض دار الندوه ، كما يقول ذلك بعض المعاصرين بدون ان يكون له مستند فى هذا القول ، حيث ان دار الندوه معلوم عند عموم مؤرخي مكة ممن ذكرنا أسماءهم والله أعلم .

الزيادة الثامنة

زيادة باب أبراهيم

﴿ سنة ٣٠٦ هجرية ، توافق سنة ٩١٨ ميلادية ﴾

وأما زيادة باب ابراهيم فقد ذكرها قطب الدين فى (الاعلام) موضحة واليك ما قاله : ومن جملة محاسن المقتدر بالله انه زاد فى المسجد الحرام زيادة (باب ابراهيم) وكان قبل هذه الزيادة باب متصل بأروقة المسجد الحرام بقرب (باب الحزورة) ويقال له (باب الخياطين) وبقربه باب ثان يقال له (باب بنى جمح) وخارج هذين البابين ساحة بين دارين لزبيدة أم الامين بنيتا فى سنة ثمان ومائتين وما بقى لتينك الدارين أثر الآن ، والذى يظهر أن دارى زبيدة كانت احداهما فى الجانب الشامى فى مكان رباط (الخوزى) الآن ، وكانت الأخرى تقابلها من الجانب اليمانى من تلك الزيادة وهى رباط (رامشت) الذى يعرف الآن برباط (ناظر الخاص) فادخلت هذه الساحة التى بين الدارين فى المسجد الحرام

وأبطل البابان، يعني (باب الخياطين، وباب بني جمح) بحيث دخلا في المسجد الحرام، وجعل عوض البابين باب كبير هو المسمى (باب ابراهيم) في غربي هذه الزيادة.

ثم قال قطب الدين: قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى في حوادث سنة ٣٠٦ في كتابه (اتحاف الورى بأخبار أم القري) وفيها زاد قاضي مكة يومئذ محمد بن موسى في الجانب الغربي قطعة عند (باب الخياطين، وباب بني جمح) وهي السوح التي كانت بين داري زبيدة أم الامين وعمل ذلك مسجداً أوصله بالمسجد الكبير، وطول هذه الزيادة من الاساطين التي في ازاء جدار المسجد الكبير الى العتبة التي عليها (باب ابراهيم) سبعة وخمسون ذراعا الاسدس ذراع، وعرض هذه الزياده من جانبها الشمالي الى جانبها اليماني وذلك من جدار رباط (الخوزى) الى جدار رباط (رامشت) اثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع، وفي هذه الزيادة في الجانب الشرقي المتصل بالسجد الكبير صفان من الرواق على أساطين منحوتة من الحجارة، وكذلك في جانبها الشمالي، ولم يكن في جانبها الغربي رواق، وفي جانبها اليماني سبيل ماء وسط رواقيه. اه.

ولم يذكر ابن فهد اسم الخليفة الذي عملت الزيادة في عصره وقد ذكر اسمه قطب الدين كما تقدم، وذكره السنجاري بقوله وفي سنة ٣٠٦ زاد المقتدر (باب ابراهيم) وكان المباشر لعمارتها القاضي محمد بن موسى اه

وقد ذكر الفاسي في (شفاء الغرام) صفة هذه الزيادة انه ليس لها رواق غربي ، وانما لها رواق شرقي ،وشمالي ،وجنوبي ،وموضع البابين وما بينهما(باب الزياده)[1] وكل رواق منها سعته واحدة، وغالب الجنوبي مما يلي الجهة الشرقية محوط بيتا فيـه شبابيك من خشب : وهو السبيل المنسوب للملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاون الصالحي وكانت عمارة السبيل سنة ٧٩٠ ، اه .

وقد تخالف الفاسي وابن فهد في الرواق المحاط بتلك الزيادة فقال ابن فهد انه صفين ، والفاسي قال رواق ، والذي عليه تلك الزيادة في العصر الحاضر هي كما وصفها الفاسي برواق واحد من جهاتها الثلاثة . وقد تغيرت عمارتها بعد ذلك وآخر عمارة فيها هي عمارة السلطان مراد التي شملت عموم المسجد الحرام بما فيه تلك الجهة عند ما أكمل عمارة عموم المسجد الحرام بعد وفاة أبيه السلطان سليم بن سليمان كما سيأتي ذكرها . وكانت بهذه الزياده منارة ذكرها الفاسي . وقال قطب الدين : أما المنارة فلا أدري من بناها ولا متى هدمت ، وأما السبيل فكان موجوداً الى سنة ٩٨٣ فهدم عند وصول العمارة السلطانية اليه وأعيد بناؤه كما كان اه .

هذا منتهى ما بلغت اليه زيادة المسجد الحرام من يوم ابتدأ بزيادته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى زيادة المقتدر بالله العباسي

(١) أي باب زيادة باب ابراهيم

التي تقدم ذكرها . وكل ماسيقع بعد ذلك في المسجد الحرام هو تعمير واصلاح وترميم ، وبناء المقامات الأربعة ، وانشاء المدارس التي حول المسجد الحرام ، وانشاء منائر ، وماشابه ذلك كما سيأتي ان شاء الله تعالى ذكره مفصلا في محله ، ولم يزد فيه شيء لافي طوله ولافي عرضه من ذلك التاريخ الى العصر الحاضر الذي صدر فيه هذا الكتاب .

والى هنا قد انتهى عمل الخلفاء العباسيين في عمارة المسجد الحرام من زيادة وانشاء ، فجزاهم الله تعالى عن حسن أعمالهم خير الجزاء . ولنكمل هذا القسم بما ذكره ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد ، في وصف المسجد الحرام على ما كان عليه من العمارات المتقدمة لأنه قد توفى سنة ٣٢٨ ولم يدرك ما جرى من العمائر في المسجد الحرام غير ما تقدم ذكره ، فقال : صفة المسجد الحرام صحنه كبير واسع ذرعه طولا من باب بني جمح الى باب بني هاشم الذي يقابل دار العباس بن عبد المطلب ٤٠٤ أذرع[1] وذرعه عرضا من باب الصفا الى دار الندوة لاصقا بوجه الكعبة الشرقي ٣٠٤ أذرع ، وله ثلاث بلاطات به محدقة من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض وهي داخلة في الذرع الذي ذكرت ، فوقها سماواتها ، مذهبة وحافاتها على عمد رخام بيض عددها في طوله من الشرق الى الغرب مع وجه الصحن خمسون عمودا ، وفي عرضه ثلاثون عمودا ، بين كل عمودين مثل عشرة

(١) هذا الذرع يوافق ماذكره الازرقي من ذرع المسجد الحرام بذراع اليد والله اعلم

أذرع ، وجملة عمد المسجد ٤٣٤ عمودا ، طول كل عمود منها عشرة أذرع ، ودورته ثلاثة أذرع ، والمذهب من رؤس العمد ٣٢٠ رأسا ، وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء وأبوابه على عمد رخام ما بين الاربعة الى ثلاثة ، الى اثنين ، وهى ثلاثة وعشرون بابا . لا غلق عليها ، يصعد عليها فى عدة من درج .

هذا ما قاله ابن عبد ربه فى وصف المسجد الحرام وكله معلوم غير قوله : وله ثلاث بلاطات به محدقة من جهاته كلها متنظم بعضها ببعض والذى ظهر لى من وصفه البلاطات ، أنها الثلاثة الاروقة المحاطة بجهات المسجد الحرام الاربعة ، وتأيد ذلك عندي بقوله : وهى داخلة فى الذرع الذى ذكرت. وقد وصف سقوف الاروقة بقوله: فوقها سماواتها مذهبة ومعلوم ان السماء هو ما على سمت الرأس ، وهذا يدل على أن السقف الذى سقف به المهدى المسجد الحرام بخشب الساج كان مذهبا ، ووافقه على ذلك العمرى فى مسالك الابصار كما تقدم كما أنه ذكر من الاعمدة ٣٢٠ عمودا مذهب رأسها ، ولم نُقدِّر قيمة الذهب المذكور فيما قدرناه من نفقة أمير المؤمنين المهدى على عمارة المسجد الحرام ولاشك أنه يبلغ على أقل تقدير نصف مليون دينار ، واذا أضفنا ذلك الى ماقد قدر للعمارة المذكورة فيما سبق وهو مبلغ ٣،٦٦٣٠٠٠ فيكون مجموع ما أنفقه المهدي على عمارة المسجد الحرام أربع ملايين ومائة وثلاثة وستين ألف دينار ٤،١٦٣٠٠٠

فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء. هذا ما ادخره الخليفة محمد المهدي من هذا العمل العظيم، والذكر التليد، والأثر الخالد، الذى قد سجله التاريخ باقلام من نور، على صفحات الدهر، ليوم تجازى فيه الحسنة بعشر أمثالها، يوم لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، وبمثل ذلك فليعمل العاملون، والله ولي التوفيق.

وقد ذكر العمرى فى مسالك الابصار ارتفاع جدار المسجد الحرام ولم يذكره أحد ممن وقفت على تواريخهم، وانما للفائدة نذكرها فقال: وارتفاع جداره فى السماء مما يلي المسعى ثمانية عشر ذراعا، ومما يلي الوادى والصفا اثنان وعشرون ذراعا، ومما يلي باب بني جمح اثنان وعشرون ذراعا، ومما يلي دار الندوة سبعة عشر ذراعا ونصف انتهى. وهذا يدل على ان أرض المسجد الحرام لم تكن متساوية حيث أنه ظهر من عبارته ان الجانب الشرقي والشمالي أعلى من الجانب الجنوبى والغربى، وهو فى العصر الحاضر قريب من ذلك حيث انه شوهد عند دخول السيل المسجد الحرام يتكور فى الجهة الغربية أكثر من سائر الجهات الثلاثة وأما ارتفاع السقف فهو واحد في عموم جهات المسجد الحرام الاربعة والله أعلم.

عمارة ملوك الجراكسة فى المسجد الحرام

﴿ سنة ٨٠٣ هجرية، يوافق سنة ١٤٠٠ ميلادية ﴾

مضى على عمارة الخليفة المهدى للمسجد الحرام ستمائة وثمان ثلاثون سنة ٦٣٨ وهو عروس زمانه، ومفخرة المسلمين يمثل عظمة العصر الذى تشيد فيه، وضخامة الدولة التى انشأته على تلك الصفة فى متانة بنيانه، وبهجة منظره وجمال رونقه وبديع زخرفه، لم يعتره خراب طيلة هذه المدة الا ما كان من حدوث شىء بسيط ناجم عن انهيال دار زبيدة زوج الرشيد عليه، فنتج من سقوطها سقوط عمودين من الجهة الغربية كما تقدم، حتى كان ليلة السبت الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ٨٠٢ ظهرت نار من رباط (رامشت) الواقع بين باب ابراهيم، وباب الوداع، فى الجهة الغربية من المسجد الحرام — ورامشت هو الشيخ أبو القاسم ابراهيم ابن الحسين الفارسى قد وقف هذا الرباط على رجال الصوفية فى سنة ٥٢٩ — وسبب ذلك انه ترك بعض سكان الخلاوى سراجا موقدا فى خلوته وبرزعنها فسحبت الفارة الفويسقة فتيلة السراج منه الى خارجه فاحترقت الخلوة واشتعل اللهيب فى سقف الخلوة وخرج من شباكها المشرف على المسجد الحرام واتصل بسقفه والتهب به وعجز الناس عن طفئه لعلوه وعدم وصول

اليداليه ، فعم الحريق الجانب الغربى من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ، ولم يتمكن الناس من اطفائها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه ، الى ان وصل الحريق الى الجانب الشمالى واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالى الى ان انتهي الى باب العجلة (باب الباسطية) وكان من لطف الله تعالى باخماد تلك النار المؤججة أنه كانت هناك اسطوانتين هدمهما السيل العظيم المهول الذى دخل المسجد الحرام فى اليوم الثامن من جمادى الأولى من تلك السنة بما عليها من عقود وسقوف عند باب العجلة. فكان ذلك هو السبب الوحيد لوقوف الحريق عند ذلك الحد ، حيث ذلك السقوط كان فصل النار من الاتصال بباقي سقف المسجد الحرام ، وبذلك سلم باقى السقف ، فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواما عظاما تمنع من وراءها من رؤية الكعبة الشريفة ، ومن الصلاة أيضا في ذلك الجانب من المسجد الحرام . هذا حاصل ماذكره مؤرخوا مكة من حادثة الحريق المذكور ، وجاء فى (الاعلام) نقلا عن ذيل دول الاسلام للحافظ السخاوى خلاصة ما تقدم ذكره ، وزاد عليه بقوله : واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا صارت كلها كلسا ولم يتفق فيما مضى مثله . قال الفاسى : ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الامير بيسق الظاهرى ، وكان قدومه الى مكة لذلك فى موسم سنة ٨٠٣ وكان هو أمير الحاج المصرى وتخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد الحرام، فلما

رحل الحجاج من مكة شرع فى تنظيف المسجد الشريف من تلك الاكوام التراب ، وحفر الأرض وكشف عن أساس المسجد الحرام ، وعن اساس الاسطوانات في الجانب الغربي من المسجد وبعض الجانب الشامي منه الى باب العجلة فظهر أساس الأسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل اسطوانة ، فبناها وأحكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض وبناها حتى رفعها الى وجه الأرض على اشكال زوايا قدعة وقطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل الى مكة —وهذا الجبل يسمى فى العصر الحاضر (جبل الكعبة) حيث كانت حارة الباب والشبيكة حارة واحدة قبل انفصالهما — أحجاراً صوانا صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة يصير على آخر منحوت مثله دائرة تامة فى سمك ثلثى ذراع ،وصففت على قاعدة مربعة منحوتة على محل التقاطع الصليبي على وجه الاساس المرتفع على الأرض ووضع عليها دائرة أخرى مثل الاولى ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بين الحجرين المدورين وسبك على جميع ذلك بالرصاص الى ان انتهى طوله الى طول أساطين المسجد فيوضع عليه حجر منحوت من المرمر هو قاعدة ذينك العمودين من فوق طاق يعقد الى العامود الآخر ،وبنى ما بين ذلك بالآجر والجص الى ان يصل الى السقف ، وصار على ذلك المنوال الى أن تم الجانب الغربي من المسجد الحرام على هذا الحكم . وبقيت من عمد الرخام التى تحطمت من الحريق والهدم فأوصلوها بالصفائح من الحديد

الى ان تم الجانب الشامى واتصل بالجانب الغربى ، وذلك لعدم القدرة على ايجاد الاعمد الرخام ، فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام باعمد الرخام والجانب الغربى وحده بالاعمد المعمولة بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام وكملت عمارة هذه العمد فى أواخر شعبان سنة ٨٠٤ ، ولم يبق غير عمل السقف فأخر عمله لعدم وجود خشب بمكة يصلح لذلك حيث لا يوجد غير خشب الدوم ، وخشب العرعر ، وليس لذلك الخشب طول ولا قوة ، ويحتاج الامر الى خشب الساج وهو لا يوجد الا بالهند ، أوخشب الصنوبر وهو لا يوجد الا فى بلاد الروم ، فأضطر الامر الى تأخير السقف لحينما يجلب الخشب اللازم لذلك من أى القطرين.

وشكر الناس الامير بيسق على سرعة تمام هذا القدر من العمل فى هذه المدة اليسيرة ومبادرته الى تنظيف المسجد الحرام وجعله صالحا للصلاة فيه ، وكان ذاهمة عاليـة وحسن توجه ، وكان كثير الصدقة والاحسان . ثم حج الامير بيسق فى ذلك العام وعاد الى مصر لتجهيز مايحتاج اليه من الخشب لاكمال سقف المسجد الحرام فوصل الى مصر فى أوائل سنة ٨٠٥ هـ .

ثم فى سنة ٨٠٧ قدم الى مكة الامير بيسق لعمارة سقف الجانب الغربى من المسجد الحرام مما تشعب من سقف المسجد الحرام من بقية الجوانب الأخرى ، فنهض الى هذه الخدمة الشريفـة والمنقبة الـكبيرة

التي خلدها التاريخ له طيلة هـذه القرون ، وذلك بعـد ان أحضر الاخشـاب المناسبـة لذلك وجلبها من بلاد الروم وهيأها للسقف ونقشها بالالوان وزوقها ، واستعان أيضا بكثير من خشب العرعر الذي يؤتى به من جبال الطائف من جهة الحجاز لعدم كفاية الخشب الذي اتى به ، وبذل همته واجتهاده الى ان أسقف جميع الجانب الغربى من المسجد الحرام ، والجانب الشامى الى باب العجلة ، فتم عمارة المسجد الحرام على تلك الصورة ، وعلق فى تلك الاسقف سلاسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل في الرواق الوسطانى من الاروقة الثلاثة على حكم سائر المسجد الحرام . غير ان الجانب الشرقى ، واليمانى ، وا كثر الشامى الى باب العجلة كان فى كل عقد من العقود التي على صحن المسجد الشريف ثلاث سلاسل أحدها فى وسط كل عقد ، والثانى من يمينه ، والثالث عن شماله ، لتعليق القناديل ، كما أنه كان بالجانب الغربى قبل احتراقه مثلها ، فلما عمر لم تعلق فيه السلاسل على حسب ما كان فيه سابقا بل علق فيه حسبما تقدم ذكره وعمر مع ذلك في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر أعوادها وأتقن عملها . وعمر ما فى صحن المسجد من المقامات الاربعة على الهيئة القديمة ، وبذل في ذلك الأموال العظيمة وتم ذلك فى سنة ٨٠٧ فى أيام النـاصر زين الدين أبى السـعادات فرج برقوق بن قانصوه الجركسى ثانى مـلوك الجراكسه . وأما رباط

(رامشت) الذي صدر منه الحريق فقدعمره أمير مكة يومئذ الشريف حسن بن عجلان ، وجعله رباطاً للفقراء كما كان وصرف عليه من ماله الى أن عاد أحسن من الاول .

هذا حاصل ما ذكره التقي الفاسي ، والقاضي ابن ظهيرة ، وقطب الدين الحنفي في (الاعلام) وغيرهم . فظهر لنا مما تقدم ان ملوك الجراكسة الذين هم ملوك مصر في ذلك العصر لم يكن في استطاعتهم نقل الاساطين المرمر الرخام من مصر الى مكة المكرمه لأجل أن يضعوها في موضع التي احترقت بالمسجد الحرام كما فعل ذلك الوليد بن عبدالملك ، وابو جعفر المنصور ، ومحمد المهدي العباسي ، ولو كان في استطاعتهم لما تأخروا عن نقلها وهذا أعظم دليل على قوة عزم الخلفاء الأمويين والعباسيين أولئك الذين هم غرة جبين ملوك الاسلام ؛ حيث من اتى بعدهم من الملوك سواء كانوا عرباً أو عجماً لم يصلوا من القوة والعزم الى ما وصل اليه الأمويون والعباسيون وسيأتي مايؤيد ذلك من خبر عمارة سلاطين آل عثمان للمسجد الحرام وهي العمارة التي لا تزال الى العصر الحاضر ، فانهم رغما عن ان عمارتهم للمسجد الحرام كانت على غاية من المتانة والاتقان الا انهم لم يأتوا بالاساطين الرخام من مصر أو الشام لاكمال ما نقص من الأساطين الرخام ، فقد عملوا عوضاعنها الاعمدة الثخينة المثمنة والمسدسة والمربعة وبنوها بالحجر المنحوت من الصوان والشميسي مع ان مصر والشام في ذلك العصر كانتا

من ضمن ممالكهم ، وربما كانت ادوات النقل فى عصرهم أرقى وأعظم مما كانت فى العصرين الأموى والعباسي والله أعلم .

عمارة السلطان قايتباى

﴿ سنة ٨٨٢ هجرية ، يوافق سنة ١٤٧٧ ميلادية ﴾

أمر السلطان قايتباى الجرسكى أحد سلاطين مصر وكيله التاجر الخواجا شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن سنة ٨٨٢ ﻫ أن يشيد عمائر سنقر الجمالى ، وأن يتحصل له على موضع مشرف على المسجد الحرام ويبنى له فيه مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الأربعة ؛ ورباطا يسكنه الفقراء ، ويعمر له ربوعا ومسقفات يحصل منها ريع كثير يصرف منه على المدارس والمدرسين والفقراء من الطلبة ؛ وان يعمل مكتبا للايتام وغير ذلك .

فاستبدل رباط السدرة ، ورباط المراغى وكانا متصلين ، وكان الى جانب رباط المراغى دار للشريفة شمسية من شرائف بنى حسن اشتراها منها وكان ذلك الموضع من ضمن الدور التى اشتراها الخليفة المهدى العباسى لتوسعة المسجد الحرام وجعلها رحبة بين المسجد الحرام وشارع المسعى ، ثم طلبها جعفر البرمكى من أمير المؤمنين هارون الرشيد وبنى بها داراً عظيمة ، ثم تداولت عليها الايدي الى ان صارت للسلطان قايتباى

فهدم الخواجا شمس الدين ذلك كله وبنى فيه اثنتين وسبعين خلوة ومجمعا كبيرا مشرفا على المسجد الحرام، وعلى المسعى، ومكتبا ومنارة، وصير المجمع المذكور مدرسة، وقد بناها بالرخام المكوف، وسقفها بسقف مذهب، وقرر فيه اربعة مدرسين على المذاهب الاربعة، وأربعين طالبا. وارسل السلطان قايتباى خزانة كتب وقفها على طلبة العلم وجعل مقرها المدرسة، وبنى عدة ربوع ودور تغل فى كل عام نحو ألفى ذهبة ووقف عليهم بمصر قرى وضياعا كثيرة تغل حبوبا كثيرة تحمل فى كل عام الى مكة.

قال قطب الدين الحنفى بعد ذكر ما تقدم: وذلك باق الى الآن، الا ان الأكلة قد استولت على تلك الاوقاف فضعفت جداً وهى آيلة الى الخراب. وصارت المدرسة سكنا لأمراء الحاج أيام الموسم، وسكنا لغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة فى وسط السنة، وصارت أوقافها مأكلة، وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين اللذين أحدهما من ناحية باب السلام، والثانى من ناحية باب الحريرى — باب النبي — فى سنة ٨٨٤. اهـ.

ولهذه المدرسة باب نافذ من المسجد الحرام الى شارع المسعى ولا يزال هذا الباب والمنارة على حكمها موجودين الى العصر الحاضر. ومن خيرات السلطان قايتباي عمارة مسجد الخيف بمنى فبناه سنة ٨٧٤ بناء

محكما وجعل فى وسط المسجد قبة عظيمة هى حد مسجد رسول الله ﷺ فى خيف منى ، وبنيت جدرانه المحيطة به ، وبنى أربع بوائك من جهة القبلة ، وبنى على عقد الباب منارة بثلاثة ادوار ، وبنى دارا ملاصقة للباب وكانت مسكن أمراء الحاج ، وسبيلا يملا من صهريج كبير فى صحن المسجد وعمر مسجد نمرة بعرفة وغير ذلك ، كما أنه عمر المسجد النبوى عمارة فخمة عظيمة فى غاية الابداع .

هذا حاصل ماذكره مؤرخوا مكة من عمارة السلطان قايتباى ذلك الذى قد خلد لنفسه ذكرا حسنا طيلة هذه العصور المنصرمة وكان من الذين يعمرون مساجد الله تعالى وسيجزيه المولى سبحانه وتعالى بالحسنة عشرة أمثالها . وقد ذكرت ماللسلطان قايتباي من الاعمال الجليلة بالحرمين الشريفين لاجل ان أخلد له هذا العمل المجيد كما خلده له مؤرخوا مكة فى تواريخهم من جهة ، ولمناسبة انه عمر بالمسجد الحرام الباب والمنارة المسميان باسمه الى العصر الحاضر وهما على عمارته أيضا لم يجددا ، وانما ترمما عدت مرات كما سيأتى ذلك فى محله .

ولا أدرى ماذا جرى على تلك الاوقاف التى أوقفها السلطان قايتباى بمصر من قري وضياع كثيرة والتى كانت تغل في كل عام حبوبا كثيرة تحمل فى كل عام الى مكة ، هل أدخلها خديوى مصر محمد على باشا المالية . كما ادخل الضياع والقرى التى اوقفها سلاطين آل عثمان على كسوة الكعبة .

المعظمة كما تقدم تفصيل ذلك فى تاريخ الكعبة ؟ ام هي باقيــة على حكمها ؟ او تداولتها الايدى كما تداولت على اوقافه التى بمكة ؟ ام كيف كان الحال ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله اللهم الهم المسلمين رشدهم لانهم هم البلاء على انفسهم.

عمارة سلاطين آل عثمان

عمارة السلطان سليمان

﴿ سنة ٩٧٢ هجرية ، يوافق سنة ١٥٦٤ ميلادية ﴾

كان السلطان سليمان اول من عمر من سلاطين آل عثمان بالمسجد الحرام عمائر ذات شأن ، منهـا عمارة تجـديد سطح الكعبة المعظمة ، وتجديد فرش المطاف ، واصلاح بعض ابواب المسجد الحرام ، وفرشه جميعه بالجص ، وصفح باب الكعبة واصلح الميزاب وصفحه بالفضة المموهة بالذهب ، وهو الذي اتى بالمنبر الرخام المرمر الذي لا نظير له وهو موجود الى العصر الحاضر ، وكان الذي قبله معمول من الخشب ، وعمر مقام الحنفى وانشأ المدارس الأربعة ذات القباب الأربعة الواقعة فى الجهة الشماليـة بين باب السلام شرقا وبين دار الندوة غربا ، والمنارة العظيمة التى أنشأها بين تلك المدارس التى هى أعلى منائر المسجد الحرام ، وعمر منارة باب على بعد ان سقطت وهى باقية على عمارته ، وانشأ رباطا خلف المدارس

المذكورة . فاما المدارس الأربعة فقد ذكر قطب الدين فى (الاعلام) ماحاصله أنه انهى الامير ابراهيم المسند اليه عمارة عين عرفة الى السلطان سليمان يستحثه على عمارة مدارس أربع على المذاهب الأربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ، فأجاب السلطان سليمان الى ذلك وعين للعمارة المذكورة الامير قاسم أمير جدة ، وان يختار لذلك أحسن المواقع ، فأختار لذلك الجانب الشمالى للمسجد الحرام من ركن المسجد شرقا الى باب الزيادة غربا ، وكان فى ذلك الموضع (البيمارستان) الذى هو وقف المستنصر بالله الخليفة العباسى ، وبنى المستنصر المشار اليه مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام وقف فيها كتبا كثيرة فى سنة ٦٤١ ومن عماراته أيضا حاشية المطاف وكتب بذلك على حجر ألصقه بالكعبة فى وسط مقام جبريل عليه السلام من الرخام الازرق الصافى منقوش فيه بالمنبت ماصورته .

بسم الله الرحمن الرحيم

(أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك فى شهور سنة أحدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم) قال قطب الدين وهذا اللوح باق الى زماننا ، وأما الكتب التى أوقفها المستنصر

فقدذهبت شذراً مذراً والمدرسة باقية الى الآن وقدصارت رباطا وفيه محل التدريس وبه كتب وقفها أهل الخير ممن أدركناه، وكانت وفاة المستنصر بالله فى ٢٠ جمادي الآخرة سنة ٦٤٠ اه.

قال قطب الدين بعدان ذكر البيمارستان المتقدم ذكره، ومدرسة لصاحب (كنبايت) السلطان أحمدشاه سلطان كجرات من أقاليم الهند، وأوقافا للملك المؤيد أحدملوك الجراكسة على مصر، وعدة دور تتعلق بأمير مكة الشريف حسن، ورباطا يقال له رباط الظاهر. فاستبدل البيمارستان بموضع آخر، والظاهر انه (مستشفى القبان) والمدرسة برباط القرمانى حيث كماقال القطب لم تصح وقفيته فباعه ورثته، واستبدل رباط الظاهر برباط آخر فى سويقة وأمادور الشريف حسن فقدمها بلامقابل وأما أوقاف الملك المؤيد فابدلها بضياع وقرى فى الشام اختارها ذرية المؤيد. هذه جملة الاماكن التى بنى فى مواضعها المدارس الاربعة.

وشرع الامير قاسم فى هدمها ودعا العلماء، والصلحاء، والاشراف لوضع حجر الاساس فتقدم قاضى مكة يومئذ أحمد بن أحمد بن محمد بك النشانجى ووضع بيده حجر الاساس، وتبعه الحاضرون ووضع كل واحد منهم حجرا فى ذلك الاساس، وذلك لليلتين خلتامن رجب سنة ٩٧٢ وكان عمق الاساس عشرة اذرع، وعرضه أربعة أذرع بذراع العمل (وهو الذراع للمعمارى الذى هو ثلاث أرباع المتر ٧٥ سنتم) ووضع

صخاراً كباراً جداً ، واحكموا الاساس احكاما قويا ، واستمر قاسم بك يعمل بالجد والاجتهاد الى ان أتم المدارس الأربع فى غاية الاحكام .

وعين السلطان سليمان وظائف المدرسين والطلبة — أي المرتبات — وغير ذلك من أوقافه بالشام وعين لكل مدرسة خمسين عثمانيا فى كل يوم ، وعين للمعيد أربعة عثامنة فى كل يوم ، ولكل مدرس خمسة عشر طالبا ، لكل طالب عثمانيين ، وللفراش كذلك ، وللبواب نصف ذلك يجهزها فى كل عام ناظر الأوقاف السليمانية بالشام مع الركب الشامي الى مكة ، ولم تكمل المدارس الاربعة الا فى زمان ابنه السلطان سليم ابن سليمان ، وخصص لكل واحد من المفتى الاربعة خمسين عثمانيا . اهـ والظاهر ان النقود العثمانية المذكورة هى عبارة عن الاقسام الفضية ، وأما المدارس المذكورة فهى باقية على حكمها بناء وشكلا الى هذا العصر ، وأما حالتها الحاضرة فصارت أحدها مركزاً لرآسة القضاء ، وأخرى مركزا للقضاء الشرعى ، وأخرى دارا للكتب الموقوفة لعموم القراء ، والرابعة بجناحيها تصرف فيها أحمد باشا عامل محمد على باشا خديوى مصر منذ مائة سنة من صدور هذا المؤلف بالبيع وأصبحت ممتلكة : وأما عمارة مقام الحنفى فسيأتى تفصيلها فيما بعد وكذلك المنبر المرمر ، وعموم الاصلاحات التى عملها ، كل شيء منها فى محله فجزاه الله على حسن عمله أفضل الجزاء يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

عمارة السلطان سليم
لعموم المسجد الحرام

﴿ سنة ٩٨٤ هجرية ، يوافق سنة ١٥٧٦ ميلادية ﴾

دام المسجد الحرام على عمارة أمير المؤمنين المهدى العباسى من عام ١٦٩ الى عام ٩٧٩ ثمانمائة وعشر سنين وهو على أعظم زى عرف فى تلك العصور ، بل وفى هذه العصور ، لم يعتره وهن في بنائه ، أو تغيير فى شكله ، اوزعزعة فى أركانه غير ما تقدم من الحريق الذى وقع فى الجانب الغربى منه سنة ٨٠٢ وبعض الاصلاحات والمرمات التى سيأتى تفصيلها ، دام هذا المسجد الحرام ثمانمائة وعشر سنين يكافح صدمات السيول العظيمة ، ويوق المصلين من حرارة الشمس ، وهطول المطر ، واشتداد العواصف ، حتى كانت سنة ٩٧٩ ظهر أن الرواق الشرقي مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقوف الثالثة منه عن محل تركيبها فى جدار المسجد ، وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباي ، وجداره مدرسة الافضلية التى هى بين باب العباسى ، وباب النبي ، ﷺ من أوقاف ابن عباد الله فى شرق المسجد الحرام ، وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى الجدار المذكورة اكثر من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد

الحرام ميلا ظاهر بيناً ، وصار كل علاج لمرمته لايجدى نفعا ، وغاية ما أمكن نظار المسجد الحرام ان يعملوه فى الرواق الذى ظهر ميله الى صحن المسجد أنهم ترسوه باخشاب كبار تمسكه عن السقوط ورفعوا الامر الى السلطان سليم بن سليمان خان العثمانى سنة ٩٧٩ : فاذا نظرنا الى سبب الخراب المذكور وجدناه صادرا من جدار مدرسة السلطان قايتباى ولم يكن من عمارة المهدى ، وكان المنتظر ان الخراب يعترى الجانب الجنوبى لأنه مضرب سيل وادي ابراهيم ، ولكن متانة عمارة المهدى جعلته فوق قوة مضارب السيول ، وعلى ذلك فصح أن الخراب وقع فى غير عمارة أمير المؤمنين المهدي وانما تعدى الخراب من جدار المدرسة المذكورة عليه ، ولولا ذلك لأمست عمارة الخليفة المهدى للمسجد الحرام باقية على حكمها الى العصر الحاضر ومابعده .

فصدر أمر السلطان سليم خان بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه بغاية الاتقان والاحكام ، وان يجعل بدل السقف الخشبي قبادائرة بأروقة المسجد الحرام ، وذلك لانه كان المسجد الحرام سقفين بين كل سقف نحو ذراعين بذوام العمل المعمارى وقدتآكل أطراف الخشب من الجانبين وصار مابين السقفين مأوى للحياة ، والطيور ، والحشرات ، ولم يكن وضع السقفين الالأجل تبريد أروقة المسجد الحرام من شدة الحرارة فى الصيف ولاشك أن استبدال الخشب بالقبب فى سقف المسجد الحرام من أعظم

الفوائد من ناحية التبريد، ومن ناحية المتانة . وكان أمر السلطان سليم، صدر على الوزير سنان باشا والى مصر ، بأن يعين لهذه الخدمة من أمراء السناجق المستحفظين بمصر ممن يكون فى غاية الديانة ، والامانة ، والمعرفة، والخبر، والصلاح. فتقدم لهذه الخدمة الشريفة أحمد بك كتخداى المرحوم اسكندر باشا الجركسي والى مصر سابقا ، وأضيف اليه عمل بقبة (دبل عين عرفات) من الابطح الى آخر المسفلة بمكة المشرفة، وأسندت اليه أيضا ولاية (جدة) فتوجه من مصر عن طريق البحر الى بندر جدة ثم وصل مكة فى أواخر سنة ٩٧٩ وكانت تصدر الاوامر على ناظر المسجد الحرام، ومدرس المدرسة السلطانية بدر الدين حسن الحسينى وهو يبلغها الى الامير أحمد المشار اليه، وقد حصل الاتفاق والملاءمة بينهما على التكاتف فى القيام بهذه الخدمة الشريفة الخالدة الذكر التى تخلد ذكرهما بسبب هذه الخدمة على صفحات التاريخ منذ قاما بهذا العمل الى اليوم والى يوم الدين ثم فى اثناء ذلك وصل المهندس المعمارى محمد جاويش الديوان العالى ، وبوصوله شرع فى الهدم من جهة باب السلام فى منتصف ربيع الاول سنه ٩٨٠ وأخذت المعاول تعمل فى رأس شرفات المسجد الحرام التى هى من أعمال الخليفة محمد المهدى العباسى، وطبطاب سقفه الى أن كشف السقف فانزلوا الاخشاب وجمعوها فى صحن المسجد الشريف، ثم نظفوا الارض من الانقاض والاتربة ورمى مالا يصلح فى أسفل مكة وأنزلت الاعمدة

الرخام بوفق الى الارض . واستمروا على ذلك الى أن نظفوا الجانب الشرقي من باب السلام الى باب على ، ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا ، فاخرجوا الاساس جميعه ، وكان جدارا عريضا نازلا فى الارض على هيئة بيوت رقعة الشطرنج ، وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاسطوانة على تلك القاعدة .

فشرعوا أولا فى موضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام فى ٦ جمادى الاولى سنة ٩٨٠ واجتمع الاشراف ، والكبراء والأمراء ، والفقراء ، والمشايخ والصلحاء ، مشتركين فى هذا الخير العميم وذبحت الابقار ، والانعام ، والاغنام ، وتصدق بها على الفقراء والخدام ، ووضع حجر الاساس باعانة الله تعالى ، وكان يوما عظيما ميمونا مشهودا مباركا مسعودا . وكانت الاساطين موضوعة فيما سبق على نسق واحد فى جميع الاروقة وظهر لهم ان ذلك الوضع لا يتوافق مع تركيب القبب عليها مثل ما كان السقف الخشبي ، حيث أن نظم الانشا والتعمير تختلف أحكامها باختلاف الاوضاع ، فالتسقيف بالخشب له حكمه ، والتسقيف بالقبب له حكمه ، فالقبب يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها من جوانبها الأربع ، وبما أن الاساطين الرخام قد احترق منها قسم عظيم فى حريق سنة ٨٠٢ وأبدل عنها باعمدة منحوتة من حجر الصوان رأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الابيض دعامات أخر تبني من الحجر الشميسي

الاصفر يكون سمكها مقدار سمك أربع اسطوانات من الرخام ليكون من المتانة بحيث تقوي على تركيب القبب عليها من جهة ، ويكون بها سد ما احترق من الاساطين الرخام سنة ٨٠٢ من جهة أخرى، ويكون كل صف من أساطين الاروقة الثلاثة فى غاية المتانة ، والحسن، والزينة ، والاتقان .

فشرع القائمون بالعمل على هذا المنوال ، وأنشأوا في أول ركن من الرواق الاول دعامة قوية بنيت بالحجر الشميسي، ثم أسطوانة من الرخام المرمر كذلك، ثم دعامة من الحجر الشميسى الملون الى آخر هذا الصف من الرواق الاول مما يلى جدار المسجد الحرام من الجهة الشرقية . ثم شرعوا فى الصف الثانى من الرواق فجعلوا بين كل ثلاثة اسطوانات من الرخام المرمر دعامة من الحجر الشميسى الملون على شكل مثمن الاركان ثم الصف الثالث من الرواق الثالث والرابع أيضا على هـذا المنوال . ثم بنيت القباب على تلك الاسطوانات والدعائم فى سائر المسجد الحرام جميعه. وساقوا تلك الصفوف على خط مستقيم وأزالوا ما كان من ازورار واعوجاج هذا ما قاله قطب الدين الحنفى ، ولا أدرى هل كان فى عمارة الخليفة ازورار وأعوجاج ؟ أو حدث ذلك بعد خراب السقف ؟ فلم يصرح بذلك قطب الدين والظاهر انه حدث بعد الخراب والله أعلم .

أما نوع الحجر الشميسى وشكله فهو حجر ذو ألوان متعددة من الحمرة والصفرة ، والسواد ،ولون الرماد ، والبياض، وفيه رخاوة ولين من نوع

حجر الماء ، بحيث تعمل فيه آلة النحت بسرعة . والشميسى نسبة الى الجبل الواقع بقرب بئر شمس عند الحديبية ، وهى حد الحرم من الجهة الغربية بين مكة وجدة ، وهناك جبيلات صفر تشبه الشمس فى صفرتها تكسر منها هذه الاحجار وتحمل الى مكة والمسافة التى بينها وبين مكة نحو ثلاثة عشر ميلا .

ويوجد فى بعض جهات المسجد الحرام بين كل اسطوانتين من الرخام دعامة من الحجر الشميسى ، وبعضها يكون الصف كله من الدعائم المقامة بالحجر الشميسى ، وبعض الصفوف يوجد فيها من الاسطوانات المنحوتة المعمولة من الحجر الصوان على شكل مثمن والظاهر انها من بقية الاساطين التى عملت بدل الاساطين الرخام التى احترقت سنة ٨٠٢ فكملوا بها النواقص من الاسطوانات وهى واقعة فى الجهة الجنوبية من المسجد الحرام بين باب بنى تميم ، وباب البغلة ، واما الدعائم المربعة والمسدسة المبنية بالحجر الصوان ، والحجر الشميسى الملون فاغلبها واقع فى الصف الرابع من الجهات الاربعة من رواق المسجد الحرام مما يلى جدار المسجد المحاطة به التى بها الابواب ، وأما الثلاثة الصفوف التى بعد هذا الصف الرابع فعمدها على نسق واحد بين كل ثلاثة اسطوانات من الرخام دعامة من الحجر الشميسى مثمنه الاركان .

وقد عملوا العقود على رؤس الاسطوانات والدعائم فجعلوا على رأس كل أسطوانة طرف دوائر اربعة عقود وفوق كل اربعة عقود قبة ، أو طاجن ،

واستمرت العمارة بجد، واجتهاد، ونشاط، تسير سيرها، وذلك بهمة من لا يعرف الكسل الأمير أحمد بك. فلما كمل عمل جانبين من المسجد الحرام، وهما الجانب الشرقي، والجانب الشمالي، أي من باب علي، الى باب السلام من الجهة الشرقية، ومن باب الدريبة الى باب العمرة من الجهة الشمالية، توفي حضرة السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان رحمه الله تعالى وأثابه على حسن عمله، فقد خلد له بهذا العمل الجليل ذكراً خالدا، ومجداً مؤبداً ومفخرة عظمى، طيلة هذه العصور المنصرمة، والى يوم البعث والنشور حيث أدرج في سلك من عمر المسجد الحرام، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وهذه الآية عامة لكل من عمر مسجداً لله تعالى، فما بالك بمن عمر المسجد الحرام وقام بعمل جليل عظيم مثل هذا فلا شك انه ان شاء الله تعالى من الناجين يوم الفزع الاكبر.

عمارة السلطان مراد خان لتكملة المسجد الحرام

فاستمر الأمير أحمد بك المشار اليه في عمارة المسجد الحرام ولم يثن عزمه وفاة ولي أمره السلطان سليم خان المشار اليه، بل أخذ في سير العمل كما هو عليه من العزم والنشاط. ثم لما تولى السلطان مراد خان وتبوء عرش

أسلافه آل عثمان صدر أمره الى أمير العمارة الأمير أحمد بك بأن يبذل جده وجهده ويسرع فى انجاز عمله وهو اكمال عمارة المسجد الحرام، فقام الأمير أحمد بك فى اكمال عمارة المسجد الحرام على ماتقدم وصفه الى ان تم بناء الجانب الجنوبى الذى هو على مجرى سيل وادى ابراهيم الخليل ﷺ بغاية القوة والمتانة، واتم بناء الجانب الغربى، كما أتم جميع شرفاته، وابوابه ودرجه، من داخل المسجد الحرام وخارجه فى عصر السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان، وكان ذلك فى آخر سنة ٩٨٤ هـ وكان العمل قد استغرق بين الهدم والعمارة نحو أربع سنين ولاشك انه جرى بغاية السرعة كما عمر بغاية المتانة، اذان مساحة المسجد الحرام واسعة وعظيمة وسيأتى قريبا عدد القبب والطواجن والاعمدة وغير ذلك ومن ذلك يظهر عظمة الهمة التى أبذلها احمد بك المعمار فجزاه الله عن حسن عمله خير الجزاء وبهذه العمارة صار المسجد الحرام نزهة للناظرين، ومفخرة فى الدنيا، ومعزة للدين وتسجل لكل من عمل فيه من دول الاسلام خلفاء كانوا أوملوكا أوسلاطين وعمالهم اجره عند الله تعالى.

ثم كتب على بعض ابواب المسجد الحرام وبعض صدور الأروقة آيات من القرآن الحكيم، بعض الملوك والسلاطين الذين قاموا بعمارة المسجد الحرام بخط كنظم الدر على كل موضع ما يناسبه من الآيات الشريفة.

وكتب تاريخ هذه العمارة الذى حرره وأنشاه قاضى المدينة السيد حسين الحسيني بداخل المسجد الحرام ، فكتب نصفه فى الوسط الاعلى من صدر الرواق الشرقى المقابل لجهة الكعبة الشرقية التى بها الباب بخط بارز جميل تقرا على الجدار ، والنصف الآخر كتب في صدر الرواق الأمامي الغربى المطل على جهة الكعبة الغربية بعلو الرواق ، وهذا نص ما كتب فى الجهة الشرقيـة (باسمه سبحانه ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتـدين) شرع فى عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من أختاره الله من خلفائه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين المستضيء بفضل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الأعظم السلطان سليم نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه ، بناه وأكمله وأتقنه وحسنه وجمله وارث الملك الأعظم الامام الافخم والخليفة الأكبر المطمطم والملك القاهر العرمرم من ملكه الله شرق البلاد وغربها ، وجعل طوع يده بلاد عجم الرعايا وعربها ، وأطلعه سراجا منيرا فى المشارق والمغارب ، وملكا مرفوعا على هام الكواكب .

هذا ما كتب على الجهة الشرقية من هذا التاريخ ، وكتب الباقي منه على الجهة الغربية وهو بنصه (وصير للاسلام حصنا محيطا ، وجعل

ظله المديد على كافة الناس بسيطا ، وعدله الفريد فى جميع الوجود مبسوطا وقمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والفساد ، وجمع له بين الملك فى الدنيا والفوز فى المعاد ، خليفة الله على كافة العباد ، ورحمة الله الشاملة لجميع البلاد ، سلطان سلاطين الزمان ، خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان السلطان الخنكار الأعظم مراد، لازال الجود بدوام خلافته عامرا، ولا برح الايمان فى أيام سلطنته قويا ظاهرا ، زاده الله قوة ونصرا ، وشيد علائكته الكرام أزرا ، فتاريخ تمامه قد جاء « اطال الله لمن أتمه عمرا » اه.

قال قطب الدين الحنفى في (الاعلام) بعد ان ذكر كل ماتقدم من العمارة والتاريخ : ثم ورد من القسطنطينيه تاريخ عمارة المسجد الحرام ، وكتب هذا التاريخ على علو باب العباس، وباب على ، فى الجانب الشرقى من المسجد الحرام ونقرله في الحجر الشميسي وطلى محله بالذهب — ولازال هذا التاريخ على حالته الى هذا العصر — وهو (الحمد لله الذى أسس بنيان هذا الدين المتين بنبي الرحمة والارشاد ،وخصه بمزيد الفضل والكرامة والاسعاد ، ووفق عبده المعتاد بأحكام الاحكام الشريفة وتشييد أركانها على وجه المراد ، المفتخر ذخر الآخرة المزيد من زاد المعاد ، ادام الله ظله الممدود على مفارق الباد، السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان مراد ، جعل الله الخلافة فيه وفى أعقابه الى يوم التناد ، لتجديد معالم المسجد الحرام الذي سواء العاكف فيه والباد ، فتم

في افتتاح سلطنته العظمى، لا زال للحرمين المحترمين خادما ، ولأساس الجور والاعتساف هادما ، بتجديد حرم بيت الله عز وجل بأمر المعزز المبجل وعمر عامر جوده ما تضعضع من أركانه بعد ما كان ينقض عوالى جدرانه فجدد جدران البيت العتيق وسوره باكمل زينة وصورة بعد ما أبلاه الجديدان ، وأكل عيدان أرضها الأرضة والديدان ، فرفع القباب موضع السطوح المبنية بالاخشاب، وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ وشاب ، فاذعنوا له بالشرف الباهر ، والمجد الفاخر ، تالين قوله تعالى ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ وداعين له من الله بالجميل والذخر الذاخر ، قائلين ألهم أدمه فى سرير الخلافة محروسا مجددا لكل خير منهدم ودارس ، واجعل بابه للراجين حرما آمنا وجنابه للمحتاجين كعفيلاضامنا يأتون اليه من كل فج عميق لحرمة البيت العتيق تقبل الله معطى السؤال بجاه الرسول هذا الدعاء الحرى بالقبول ، فلما أسس بنيانه على تقوي من الله ورضوان، جاء مشيد الاركان، حاكيا روضات الجنان ، وصار عنوان خلافته وبراعة استهلاله لمنشور سعادته في أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة هجرية، وكان الابتداء بذلك التحديد بأمر والده المدرج الى مدراج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، السلطان سليم بن السلطان سليمان ابن السلطان سليم بن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد

ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان مكنهم الله على سرر فى دار الجنان، وانال أخلافهم فى مسند الخلافة الى انقراض الزمان ، وكان الشروع فى الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة ، فلما سلم السلطان سليم وديعته بأحسن تسليم ، وارتحـل من دار القصور ، الى ما هيأ الله له فى الجنة من القصور، قبل تمام مارام من تجديد المسجد الحرام وأجلس الله على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن اجلاس، وجعل حرمه مثابة للناس ، يسر الله له الاتمام بطلعة اقباله وجوده الليالى والايام ، وأنام الانام فى مهد عدله الى قيام ساعة القيامة ، ونظم راقم هذه الارقام تاريخا يليق ان يكتب فى هذا المقام وهو هذا .

جدد السلطان مراد بن سليم	مسجد البيت العتيق المحترم
سر منـه المسلمون كلهم	دار منشور اللواء والعـلم
قال روح القدس فى تاريخه	عمر سلطان مراد الحـرم

هذا حاصل ماذكره قطب الدين الحنفى فى كتابه (الاعلام) وقد اخترنا أخذ خبر هذه العمارة من تاريخه دون غيره من مؤرخى مكة لكون العمارتين اللتين جرتا فى عصر السلطان سليم بن سليمان ، وفى عصر ولده السلطان مراد كانتا فى زمانه وجرى كل ذلك بمشاهدته ووقوفه واطلاعه وهو من الثقاة الذين قد تصدوا لتتبع هذه الحوادث وليس الخبر كالعيان ، حيث لم أقف على قول يخالف ما ذكره من أقوال المتأخرين عنه من مؤرخى

مكة المكرمة بل انهم ذكروا هذه العمارة بايجاز ولم يأت منهم أحد عما اتى به من خبر هذه العمارة ، وذلك لانها وقعت فى عصره وتصدى لتحريرها واعتنى بتسطيرها بغاية التفصيل كما ستعلمه فيما بعد مما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى .

ثم قال قطب الدين بعدما ذكر العمارة المتقدمة : ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبى الذى هو مجري السيل الآن ، فان الارض علت وامتلأ المسيل كله الى أسفل مكة بالتراب الى انه لم يبق للدخول الى المسجد الحرام من الابواب التى فى تلك الجهة الاثلاث درجات ، بعد أن كانت نحو خمس عشرة درجة يصعد منها الى أن يدخل من الباب الى المسجد ، وكان هذا المسيل يقطع ويحمل ترابه الى خارج البلد من جهة المسفلة فى كل عشرة أعوام مرة ، فغفل عنه نحو ثلاثين عاما فعلت الارض فجاءت سيول طافحة ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى سنة ٩٨٣ فدخلت من ابواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء الى حول الكعبة الشريفة وعلا الى أن غطى الحجر الأسود وجدار حجر اسماعيل ووصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى ان قرب من قفل الباب الشريف ، ووقف الماء فى المسجد الحرام يوما وليلة ، وما أمكن اداء الصلوات الخمس . فعطلت الجماعة سبعة أوقات . وبادر شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف . والامير

أحمد بك أمير العمارة الشريفة ، بخدامهم وعبيدهم ،وسائرالمشدين وخدام الحرم الشريف ، والفقهاء ، والاعيان ، والتجار ، الى فتح طريق الماء من أسفل مكة ، ثم نظف وغسل داخل البيت الشريف ، ثم نظف وغسل المطاف الشريف ،ومقام الحنفى، ثم أخرجت الاوساخ من المسجد الحرم وكوم الطين، ثم أخرج ، ثم فرش المسجد الحرام بالحصبا الجديدة ،وبذل فى ذلك أحمد بك من ماله مبلغا كبيرا، شرع فى قطع المسيل وتهبيط أرضه الى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبى من المسجدالحرام الى آخر المسفلة ، فصار السيل اذا سال درج بسرعة ولم يتمكن الدخول الى المسجد الحرام ، وفصل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة فى الجانب الشمالى وهو ممر السيل الذى يهبط من جبل قعيقعان وحواليه فينحدر الى باب الزيادة فلم يصعد الى باب المسجدالحرام بل يدخل فى سرداب واسع يسمى (العنبة) ويجري فيه الى أن يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى أسفل مكة — وهذا السرداب يسمى فى العصر الحاضر (مير ياخور) وذلك لأن الذي قام بعمارته كان أمير اصطبل يقال له ياخور — وبهذه القطعة للأرض صان الله تعالى المسجد الحرام من دخول السيل فيه .

ثم قال قطب الدين : وأخبرنى الامير أحمد بك أن الذي صرفه فى عمارة المسجد الحرام هـدما وبناء وقطع أرض المسيل من خاصة أموال السلطنة مائة ألف دينار ذهب جديد سلطانى (جنيه عثمانى) وذلك غير

ثمن الاخشاب المحمولة من مصر الى مكة المشرفة ، وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحى ، المجارف، والسامير ، والحديد المحدد رأسه بطول الرواقين وبين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس الحمام عليه وغير أهلة القبب التى عملت بمصر من النحاس وطليت بالذهب وجهزت الى الحرم وركبت على أعلا القبب . اه

عمارة المدارس التى بالجهة الجنوبية

كانت العمارة المتقدم ذكرها منحصرة فى المسجد الحرام فقط ، واما المدارس التى هى على نمط واحد وشكل واحد ، وتشبه عمارتها عمارة المسجد الحرام داخلا وخارجا ، الواقعة فى الجهة الجنوبية على مجرى سيل وادى ابراهيم ﷺ فقد عمرها السلطان مراد خان بن السلطان سليم بن سليمان خان سنة ٩٩٥ ﻫ بعد عمارة المسجد الحرام باحدى عشرة سنة ، وقد روى السنجارى عمارتها فى تاريخه مفصلة واليك ماذكره السنجارى قال : ومن خيرات السلطان الأعظم مراد خان ان الجانب الجنوبى كان فيه بيوت ومدارس من أوله الى آخره وكانت تضيق المسيل، فأمر بهدمها وبعث لعمارتها من خدمه مصطفى جاويش فوصل مكة سنة ٩٩٤ ﻫ وهدم تلك الدور ، والمدارس ، وبنى فى محلها طواجن وجعلها مأوى للفقراء حتى لا يبيتون في المسجد ، وعمل على يسار الخارج الى الصفا سبيلا

يشرب منه الصادر والوارد ، وعمل تحته حنفية للوضوء . وجعل حنفية أخري فى نصف جدار مدرسة السلطان قايتباى بالقرب من باب السلام وكانت عمارة هذه الطواجن والسبيل سنة ٩٩٥ ﻫ وأصرف عليها نحو عشرين ألف دينار ، وعمل لذلك تاريخا الشيخ على بن عمر بن عبد الكبير الحضرمى انتهي .

اما الحنفية التى كانت بالصفا وغيرها من الحنفيات الأخرى التى كانت خلف هذه المدارس على مسيل وادى ابراهيم فقد هدمت وأزيلت سنة ١٣١٥ ﻫ وذلك بسبب كون الذين كانوا يتضؤون منها يلوثون أبواب المسجد الحرام بالوحل الذى يترا كم من فضلات المياه المترا كمة من الوضوء . واما الحنفية التى كانت بجوار مدرسة السلطان قايتباي فلاتزال آثارها باقية فى ذلك الموضع لحد الآن على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب مدرسة السلطان قايتباى ، ولم أقف على تاريخ هدمها ولا أسم الهادم لها والله أعلم .

بيان احصاء ما صرف على عمارة المسجد الحرام

قد ذكر قطب الدين فى كتابه (الاعلام) ان الذى صرفه أحمد بك في عمارة المسجد الحرام التقدم ذكرها التي جرت سنة ٩٨٤ هـ مائة ألف جنيه عثمانى ، وذلك خلاف قيمة عموم المؤن ، والآلات ، والأدوات التى أرسلت من مصر فلاشك ان قيمتها مع مصاريف نقلها الى مكة تقدر بخمسين ألف جنيه ، واذا أضفنا الى ذلك ماصرفه السلطان مراد خان فى عمارة المدارس والطواجن التى على جانب المسجد الحرام من الجهة الجنوبية البالغ قدره عشرون ألف دينار عثمانى ، واضفنا أيضا ماصرفه السلطان سليمان بن سليم خان فى عماراته بالمسجد الحرام مثل المدارس الأربعة الواقعة فى الجهة الشمالية ، والمنارة التى في وسطها ، وبلاط عموم المسجد الحرام والمنبر المرمر الذى هو لحد الآن آية في حسنه وجماله ، وعمارة مقام الحنفى وعموم الانشاآت التى بداخل المسجد الحرام ، وتجديد عمارة منارة باب على وغير ذلك كما تقدم بيانه ، وكذلك ماصرفه السلطان قايتباي فى عمارة المدارس الملاصقة للمسجد الحرام من جهته الشرقية ، والمنارة التى فى وسطها التى لاتزال على حالها الى اليوم . وكذلك ماصرفه الخليفة المتضد العباسى على

عمارة دار الندوة التي هي زيادة باب الزيادة، وماصرفه المقتدر بالله العباسي على زيادة باب ابراهيم وعافيهما من المنار. وماصرفه الخليفة محمد المهدي في عمارتيه الأولى والثانيه للمسجد الحرام مع قيمة الدور التي هدمها وأدخل أرضها توسعة فيه، وما صرفه على حمل الاسطوانات الرخام من مصر والشام، وخشب الساج قيمة وحملا من الهند الى مكة، وما وضعه من الذهب في سقف المسجد الحرام وبعض جداره البالغ قدره على أقل تقدير (٤٥٧٨٧٥٠) دينار كما تقدم تفصيله. وكذلك ما صرفه الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي في قيمة الدور التي اشتراها وهدمها وأدخل أرضها توسعة المسجد الحرام وقيمة ماجلبه من الاساطين الرخام والخشب الساج وغير ذلك من مواد البناء والزينة كما تقدم تفصيله فلو قدر لعموم ماصرفه أبو جعفر المنصور ربع القدر الذي صرفه محمد المهدى لبلغ مليون دينار، واذا أضفنا الى كل ما تقدم ذكره ما صرفه الخليفة الوليد بن عبد الملك الاموى في عمارة وزيادته من قيمة الدور التي هدمها وأدخلها توسعة للمسجد الحرام، وجلب الاسطوانات الرخام من مصر والشام، وما وضعه من الذهب على رأس كل أسطوانة. لبلغ على أقل تقدير مليون دينار. واذا أضفنا اليه أيضا ما صرفه عبد الملك بن مروان الخليفة الاموى في عمارته للمسجد الحرام وتزيينه بالذهب، وما صرفه الخليفة عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما في زيادته وعمارته مع قيمة الدور التي هدمها ووسع بأرضها المسجد الحرام

ومن ضمنها بعض دار الازرقي التي بلغ قيمتها بضعة عشر ألف دينار . وكذلك ما أنفقه الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنـه فى زيادة المسجد الحرام ومادفعه لأصحاب تلك الدور التى هدمها وأدخل ارضها توسعة للمسجد الحرام . وقيمة مازاده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك الذى سن هذه السنة الحسنة حيث أول من سن توسعة المسجد الحرام ولو فرضنا لـكل ذلك قدرا من المال لبلغ على أقل تقدير قيمة ماصرف على المسجد الحرام من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى آخر عمارة وقعت للمسجدالحرام زمن السلطان مراد فلاشك انه يبلغ عشرة ملايين دينار ، وذلك خلاف ما صرف على عمارته التى جرت سنة ٨٠٣ وعلى المرمات والاصلاحات التى جرت فى المسجد الحرام على حسب ما تقدم وما سيأتى بيانه . ولم يسعنا والحالة هذه الا أن نقول : جزى الله سبحانه وتعالى أولئك الذين بذلوا عنايتهم فى عمارة المسجد الحرام ومن اقتدى بهم ممن أتى بعدهم الى اليوم والى يوم القيامـة خيرا وضاعف أجرهم وجعلهم من الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

عدد أساطين المسجد الحرام

قد تقدم شيء عن الاسطوانات الرخام التي كانت بالمسجد الحرام من اليوم الذي أتى بها عبد الله بن الزبير في عمارته ، وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد في عمارتهما ، وأبو جعفر المنصور في توسعته ، الى نهاية ماجلبه محمد المهدي من مصر والشام ، وذكرنا اجماليا كل ذلك حيث لم يحدثنا التاريخ عن عدد ما أتى به كل واحد من اولئك الخلفاء في عمارته من الاسطوانات بمفرده غير انا ذكرنا عددها عموما ، وما التهمته النار في الحريق الذي وقع في المسجد الحرام سنة ٨٠٢ .

وهنا أذكر للقراء ما كان موجوداً منها الى عمارة السلطان سليم ابن سليمان خان ، وابنه السلطان مراد خان حتى يظهر للقاريء مانقص من الاسطوانات الرخام ، وماعوض عنها في عمارة سنة ٨٠٣ من الاساطين الحجر الصوان ، والاعمدة أو الدعائم التي عملت من الحجر الشميسي الملون في العمارة الاخيرة التي وقعت سنة ٩٨٤ هـ .

كان عدد الأسطوانات الرخام التي وجدت بالمسجد الحرام قبل عمارة سنة ٩٨٤ في جوانبه الاربعة غير الزيادتين التي هي زيادة باب الزيادة (دار الندوة) وزيادة باب ابراهيم أربعمائة وتسعة وستين أسطوانة ، وماكان على الابواب سبع وعشرون أسطوانة ، فيكون مجموع ذلك (٤٩٦) كلها

من الاساطين الرخام . فكان منها فى الجانب الشرقى (٨٨) أسطوانةرخام ماعدا أسطوانة واحدة فى الصف الاوسط عندباب على فانها بنيت بالآجر والنورة على شكل الأساطين الرخام . وكان منها في الجانب الشمالى (١٠٤) من الاساطين الرخام . ماعدا (١٤) أسطوانة فى آخر الصف الأوسط مما يلى باب الباسطية ، وباب العتيق فانها كانت من الحجر الصوان المنحوتة . وكان منها فى الجانب الجنوبى (١٤٠) أسطوانه من الرخام ماعدا (٢٥) أسطوانة فى مؤخر هذا الرواق عند باب أم هانى فانها كانت من الحجر الصوان المنحوت . وكان فى الجانب الغربى (٨٧) أسطوانة كلها من الحجر الصوان المنحوت ، وكل هذه الاساطين المعمولة من الحجر الصوان المنحوت عملت بعد الحريق الذى وقع فى المسجد الحرام سنة ٨٠٢ هـ الذي قد تقدم ذكره مفصلا حيث ذهب الحريق المذكور بمائة وثلاثين أسطوانه من الرخام .

واما الاساطين التى كانت فى زيادة دار الندوة فمجموعها (٦٦) أسطوانة بنيت كلها بالحجر والنورة فى جوانب تلك الزيادة الأربعة وأما الاساطين التي كانت فى زيادة باب ابراهيم فكان مجموعها (٢٧) أسطوانة منها فى الرواق القبلى الذى يلى المسجد الحرام (١٧) أسطوانة من الحجر المنحوت صفين متصلين بالمسجد الكبير ، واثنتان منها لاصقتان برباط (رامشت) على يمين المستقبل للقبلة من الباب المذكور ،

واثنتان لاصقتان برباط (الخوزى) على يسار المستقبل للقبلة، وفى الجانب الشمالى ستة أساطين واحدة منها لاصقة بجدر الايوان الغربى ، وفى الجانب الجنوبى ستة أساطين وواحدة منها لاصقة بالمنارة التى كانت بهذه الزيادة ، وليس فى الجانب الغربى من هذه الزيادة أسطوانة واحدة ولم يوجد به غير الباب فقط .

هذا ماذكره التقي الفاسى ، وقطب الدين الحنفى وغيرهما من المؤرخين . وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته عدد الأسطوانات الرخام التى بالمسجد الحرام فقال : وعدد سواريه الرخامية أربعمائة واحدى وتسعون سارية ماعدا الجصية التى فى دار الندوة للزيدة فى الحرم اهـ .

فكان الفرق بين احصاء الفاسى وقطب الدين، وبين احصاء ابن بطوطه خمس أسطوانات لاغير ، وهذا الفرق يحدث عادة اذا كان الاحصاء غير دقيق ، وكذلك يحصل هذا الفرق من غلط الناقل ، أو الناسخ ، أو المطبعة ، وعلى كل فالفرق وجيز بل ولا يعد فرقا وانما الفرق وقع فى احصاء العمري فى مسالك الابصار حيث قال : وعدد أساطينه وذلك من الرخام والحجر الابيض سوى ما جدد فى دار الندوة ، وسوق الخنطة (فسحة باب ابراهيم) أربعمائة وأربع وثمانون اسطوانة ، بين كل اسطوانتين ستة أذرع ،منها فى الجانب الشرقى الذي يلى المسعى مائة اسطوانة وثلاث أساطين (١٠٣)

وفي الجانب الشمالي مما يلي الصفا مائة اسطوانة واحدى وأربعون اسطوانة (١٤١) وفي الجانب الغربي مائة اسطوانة وخمس أساطين (١٠٥) وفي الجانب الشامي الذي فيه دار الندوة مائة وخمس وثلاثون اسطوانة (١٣٥) ومجموع ذلك كما قال (٤٨٤) فيكون الفرق اثنتا عشر اسطوانة بينه وبين احصاء التقي الفاسي وقطب الدين الحنفي . ثم قال العمري : وفي دار الندوة سوى ما ذكرناه (٦٧) اسطوانة بالحجارة البيضة ، وطول كل اسطوانة منها عشرة أذرع ، وتدويرها ثلاثة أذرع ، وذرع ما بين كل اسطوانة ستة اذرع ونصف . انتهى . والفرق بين احصائه أساطين دار الندوة وبين احصاء الفاسي وقطب الدين أسطوانة واحدة لا غير والله أعلم .

وأما ما أنشيء في عمارة السلطان سليم بن سليمان خان وابنه السلطان مراد خان في العمارة الاخيرة التي وقعت سنة ٩٨٤ والتي عليها المسجد الحرام الى هذا العصر الحاضر ، من الاعمدة المبنية بالحجر الشميسي والحجر الصوان ، وما بقي من تلك الاسطوانات الرخام الباقية التي كل التي مضى على ايجادها بمكة المكرمة نحو ألف ومائتي سنة وهي على حكمها كيوم أتى بها عروسة في حسنها وجمالها واستقامتها ، فاليك بيان كل ذلك .

أما ما هو موجود بالمسجد الحرام من الاسطوانات الرخام بعد عمارة سنة ٩٨٤ فهي ثلاثمائة واحدى عشر اسطوانة نصب منها في الجانب الشرقي (٦٢) أسطوانة . وفي الجانب الشمالي (٨١) أسطوانة . وفي الجانب

الغربى (٥٨) اسطوانة من الرخام. وكمل ذلك الصف بستة عمد من الحجر الصوان المنحوت وفى الجانب الجنوبى (٩٠) اسطوانة من الرخام. وكمل ذلك الصف بتسعة عمد من الحجر الصوان المنحوت. وفى زيادة دار الندوة (١٤) اسطوانة من الرخام، وواحدة من الحجر الصوان المنحوت وفى زيادة باب ابراهيم (٦) أسطوانات من الرخام. ومجموع ذلك (٣١١) اسطوانة من الرخام، و(١٦) اسطوانة من الحجر الصوان المنحوت.

وأما ما أنشىء فى العمارة من الاعمدة أو الدعائم المعمولة من الحجر الشميسى او الحجر الصوان فمجموعها مائتان وثمانية وسبعون عمودا، وهى قد عملت على ثلاثة أشكال معظمها على شكل مثمن الاضلاع، وقليل منها على شكل مسدس، ومربع. أما وضعية البناء فقد بنى ثلث العمود السفلى بالحجر الصوان المنحوت، وبنى الثلثان العلويان بالحجر الشميسى المنحوت على أربعة ألوان أسود، وأحمر عنابى، وأصفر برتقانى، ورمادى وهذه الدعائم ثخينة جسيمة يبلغ قطر الواحد منها ذراع وربع معمارى.

أما تقسيم هذه الدعائم بالمسجد الحرام، فمنها فى القسم الشرقى (٣٠) عموداً. ومنها فى القسم الغربى (٣٦) عمودا. ومنها فى القسم الجنوبى (٧٦) عمودا. ومنها فى القسم الشمالى (٨٠) عمودا. وفى أركان المسجد الحرام (٤) عواميد. وفى زيادة باب ابراهيم (١٨) عمودا، وفى زيادة دار الندوة (٣٤) عموداً.

وقد ذكر قطب الدين فى (الاعلام) ما كان من هذه الاسطوانات والعمد فى الجهة الشرقية ، والغربية ،والشمالية ، وزيادة باب ابراهيم ولم يذكر ما كان فى الجهة الجنوبية ودار الندوة من الاسطوانات والعمد ، والظاهر انه سقط ذلك على الناسخ أو المطبعة ، حيث ان مثله لا يغفل عن ذكر ذلك لأنه قد ذكر ماهو أقل أهمية منها . وقد أحصيتها كما أوضحته فيما تقدم كى يتم للقارىء ما يتوخاه من الوقوف على ذلك .

عقود المسجد
التي كانت على عهد المهدى

كانت عموم أروقة المسجد الحرام فى عصر أمير المؤمنين الخليفة محمد المهدى ذات عقود مطوية على رؤس الاسطوانات الرخام قريبة من الشكل الحالى غير أن السقف كان من خشب الساج كما تقدم بيانه قال التقي الفاسى فى شفاء الغرام : اما الطاقات (أى العقود) التي بجوانب المسجد الحرام الأربعة غير الزيادتين فأربعمائة وأربعة وثمانون طاقا (٤٨٤) من ذلك في الجانب الشرقي (٩٩) طاقـا فى ثلاثة صفوف . ومن ذلك فى الجانب الشمالى (١٥٦) طاقا في ثلاثة صفوف . ومن ذلك في الجانب الغربى (٨٨) فى ثلاثة صفوف . وفى الجانب الجنوبى (١٤١) فى ثلاثة

صفوف . وذكر الازرقي ان عدد الطاقات المذكورة (٤٩٨) بزيادة (١٤) طاقا ووافقه العمري في مسالك الابصار حيث قال : وعدد طاقاته ، وهي الحنايا المعقودة على الاساطين اربعمائة طاق وثمان وتسعون طاقا ، سوى ما في دار الندوة اه .

فقال الفاسي بعدما ذكر قول الازرقي : ما ذكره الازرقي مخالف لما ذكرنا : ثم قال الفاسي وعدد طاقات زيادة دار الندوة في جوانبها الاربعة (٦٨) طاقا منها في الجهة الشرقية (١٤) في صفين ، وفي الجهة الشامية (٢٤)، في صفين ، ومنها في الجهة الغربية (١٤) ومنها في الجهة الجنوبية (٢٤) في صفين وذلك غير الطاقات (المعقود) التي في جدار المسجد الكبير وهي أحد عشر طاقا ، وغير ما على الابواب من الطاقات المذكورة ، ثم قال وأما عدد الطاقات التي في زيادة باب ابراهيم فهي ستة وثلاثون طاقا ، منها خمسة على جدار رباط (رامشت) والباقي على الاساطين ، من ذلك (١٦)، على الاساطين التي بالجانب الشرقي ثمانية في كل صف ، ومنها خمسة على الاساطين التي في الجانب الشمالي ، ومنهـا خمسة على الاساطين التي في الجانب الجنوبي اه .

هذا ما كان من العقود في عمارة الخليفـة المهدي العباسي وما تجدد بعد ذلك في عمارة سنة ٨٠٣ في الجهة الغربية وبعض الجهة الشمالية .

وأما ما أنشىء من العقود فى العمارة التى جرت سنة ٩٨٤ فهى ما يضاهى ضعف ما كان فى العماير السابقة ، وقد راجعت ما وقع فى يدى من تواريخ مكة التى قد نوهت عن أسمائها فى مواضع كثيرة مما تقدم فلم أجد أحداً منهم تعرض لاحصاء العقود المذكورة حتى ولا قطب الدين الحنفي فى كتابه (الاعلام) مع انه قد أحصى شرفات المسجد الحرام التى هى اكثر تكلفا من احصاء العقود ، ثم راجعت مرآة الحرمين تأليف ابراهيم رفعت باشا على أمل أن اجد فيه احصاء العقود المذكورة فلم يتعرض لاحصائها رغما عن كونه عنى فى كتابه باحصاء أشياء أبسط من العقود فاضطررت الى عدها واحصائها فوجدتها كما يأتى أولا ان مجموع العقود التى أنشأها السلطان سليم وابنه مراد سنة ٩٨٤ والتى لاتزال على شكلها الى العصر الحاضر ثمانمائة واحد وثمانون عقدا ، منها فى الجانب الشرقي (١٣٦) عقدا ، ومنها فى الجانب الغربى (١٤٠) عقدا . ومنها فى الجانب الشمالى (٢٤٤) عقدا ، ومنها فى الجانب الجنوبى (٢٠٢) عقدا . وذلك خلاف العقود الصغار التى فوقها فى مؤخر المسجد مما يلى الجدار فى جهاته الاربع فقسم منها واقع فى الجانب الشرقى من باب العباس الى باب السلام ، ومنها قسم فى الجانب الجنوبى من باب الزيادة ، الى باب مدرسة الشريف عجلان الذى هو امام التكية المصرية ، ومنها قسم فى الجانب الغربى من باب ابراهيم الى باب الداودية ، وقسم منها فى الجانب

الشمالي من باب الباسطية الى الركن المحاذي لزيادة دار الندوة، فهذه العقود الصغار تزيد على مائة عقد. واما ما كان من العقود الكبار في زيادة دار الندوة فهي (٨١) عقدا، وفي زيادة باب ابراهيم (٣٤) عقداً. وأما ما هو في الجهة الامامية من هذه العقود على حصوة المسجد الحرام فمن الجهة الشمالية (٣٦) عقداً، ومن الجهة الجنوبية (٣٦) عقدا، ومن الجهة الشرقية (٢٤) عقداً، ومن الجهة الغربية (٢٤) عقداً، وهذه العقود مطوية على رؤس الاساطين الرخام والعمد المثمنة المبنية بالحجر اللائي المسمى (بالشميسي)، وقد كتب بالخط الجميل البارز نقرا على رأس كل اسطوانة رخام بين كل طارتين من العقود لفظة الجلالة (الله) وكتب في صدر كل عمود من العمد الثخينة المثمنة (محمد ﷺ) على عمود واحد، وعلى آخر (أبو بكر) وعلى آخر (عمر) وعلى آخر (عثمان) وعلى آخر (علي) وهكذا على سائر العمد الثخينة المثمنة المطلة على حصوة المسجد الحرام من جهاته الأربع، وذلك كان وضعه في العمارة الاخيرة التي جرت سنة ٩٨٤ هجرية وجعلوا بين كل عمودين بستلاً أومدادة من الخشب القوي المربع لأجل اسنادا العماود من الميلان بأصول فنية هندسية، وقد تآكل بعض تلك البساتل في العصر الحاضر وأبدلت بيساتل من الحديد وكل ذلك جرى بغاية الاتقان.

القبب والطواجن

يحتوى المسجد الحرام بعد عمارته الاخيرة التى جرت فى سنة ٩٨٤ على (١٥٢) قبة ، منها فى شرق المسجد الحرام (٢٤) قبة ، وفى الجانب الشمالى (٣٦) قبة وواحدة فى ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة ، وفى زيادة دار الندوه (١٦) قبه . هذا ما ذكره قطب الدين فى (الاعلام) ولم يذكر ما كان منها فى الجانب الغربى والجنوبى وزيادة باب ابراهيم ولعله وقع سقط على الناسخ أو المطبعة ، وقد احصيتها فوجدتها كما يأتى فى الجانب الغربى (٢٤) قبة . وفى زيادة باب ابراهيم (١٥) قبة . وفى الجانب الجنوبى (٣٦) قبه .

وأما الطواجن فجملتها (٢٣٢) طاجنا منها فى الجانب الشمالى (٩٥) طاجنا وفى الجانب الغربى (٤٣) طاجنا ، وفى الجانب الجنوبى (٦٤) طاجنا ولم يذكر قطب الدين في (الاعلام) ما كان من الطواجن فى الجانب الشرقي وهى (٣٩) طاجنا ، وفى زيادة دار الندوة (٢٤) طاجنا ، وبقرب منارة باب السلام اثنان ، وفى ركن المسجد مما يلى باب العمرة طاجن واحد . هذا ماهو موجود من القبب والطواجن بالمسجد الحرام من يوم عمر سنة ٩٨٤ الى العصر الحاضر . وقد خصصت بالذكر قطب الدين الحنفى فى (الاعلام) دون غيره من مؤرخي مكة لأنه هو الذى تصدى لاحصاء ذلك دون سائر مؤرخى مكة والله أعلم .

شرفات المسجد الحرام

أما الشرفات الواقعه في أطراف سطح المسجد الحرام من داخله وخارجه في عمارة الخليفة محمد المهدي فقد ذكرها العمري في مسالك الابصار ، واليك ما قاله : وعدد شرفاته من داخله وخارجه فمجموعها ألف شرفة الا سبع شرافات (٩٩٣) من خارجه (٤٩٥) شرافه ومن داخله (٤٩٨) ولم أحد من المؤرخين تصدي لعد شرافاته غير العمري ، وأما ما كان منها في العمارة الاخيرة التي وقعت سنه ٩٨٤ فمجموعها ألف وثلثمائه وثمانون شرفه (١٣٨٠) فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام (١٦٢) شرفه منها (١٣٥) شرفه صنعت من الحجارة الشميسى ، و(٢٧) شرفه في وسطهن من المرمر الرخام ، وفي وسط ذلك شرفة واحدة طويلة من الرخام المرمر الابيض.

ومن ذلك في الجهة الشمالية (٣٤١) شرفه منها (٢٦٣) شرفة صنعت من الحجارة الشميسى ، و(٧٨) شرفه من المرمر الرخام في وسط الجهة المذكورة ، منها ثلاث طوال في وسط ذلك في غاية الحسن والجمال .

ومن ذلك في الجهة الغربيه (٢٠٤) شرفه منهـا (٢٢) شرفه من المرمر الرخام ، وواحدة منها طويلة في وسط الجميع .

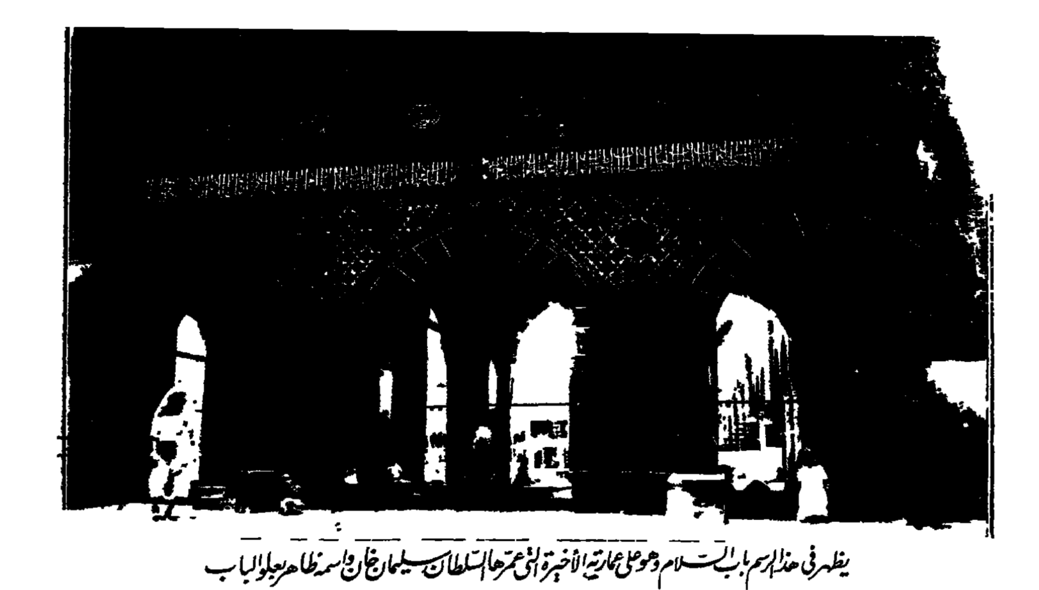
ومن ذلك في الجهه الجنوبيه (٢٤١) شرفه منها (٧٨) شرفه من المرمر الرخام فيها ثلاث طوال في وسط الجهه المذكورة .

وفي زيادة دار الندوة (٩١) شرفة من الحجر الشميسى . وفي زيادة باب إبراهيم (١٤٦) شرفة من الحجر الشميسى . و (٩٥) شرفة مقسمة على أبواب المسجد الحرام . هذا ماذكره قطب الدين فى (الاعلام) ولم أجد فى مرآة الحرمين عدد الشرفات والظاهر أنه لم يبحث عنها فى (الاعلام) وتعذر عليه أحصاءها كما تعذر عليه ذكر كثير من محتويات المسجد الحرام مع أنه يشكر على عنايته بايجاد أشياء كثيرة فى مرآة الحرمين أغفلها من سبقه من المؤلفين ، ولكل مجتهد نصيب .

ابواب المسجد الحرام

كان للمسجد الحرام فى عصر الخليفة المهدي (١٩) بابا على (٣٨) نافذة أحدث معظمها المهدي علاوة على الأبواب التى أحدثت في عمارة من سبقه من الخلفاء وكان من ضمن تلك الابواب بابان بثلاث نوافذ مشرعة على دار الندوة ومنها متصلة بشارع سويقة . ثم لما زيد فى المسجد الحرام بعد عمارة المهدى زيادة دار الندوة أبطل البابين المذكورين وأحدث بدلهما فى زيادة دار الندوة بابين سمى أحدهما (بباب الزياده) على ثلاث نوافذ وسمى الثانى (بباب القطبي) بنافذة واحدة كما تقدم تفصيل ذلك . ثم زيد فى المسجد الحرام بعد ذلك سبعة أبواب المدارس التى انشئت حول المسجد الحرام بعد عمارة الخليفة المهدى وجعلت هذه الأبواب نافذة من





يظهر في هذا الرسم باب السلام وهو على عمارته الأخيرة التي عمرها السلطان سليمان خان واسمه ظاهر بعلو الباب

المسجد الحرام الى الشوارع العمومية وقد ذكرها العلامة محمد بن علي بن فضل بن عبدالله الطبري في تاريخه ماعدا الباب الذي في ركن زيادة باب ابراهيم من الجانب الشمالي . وقد أحصيت عموم أبواب المسجد الحرام وراجعتها في تواريخ مكة بابا ، باباومنفـذا ، منفـذا ، واليك بيان ذلك مفصلا لـكل باب بمفرده .

يحتوي المسجد الحرام في العصر الحاضر على (٢٦) بابا بعضها يفتح على نافذة واحدة ، وبعضها على نافذتين ، وبعضها على ثلاثة نوافذ ، وواحد من عمومها يفتح على خمس نوافذ ، ومجموع هذه النوافذ (٤٧) نافذة ، وهي مقسمة على جهات المسجد الحرام الأربع .

منها في الجانب الشرقي خمسة ابواب باثني عشر منفذا ، واليك بيانها على الترتيب الآتي من الشمال الى الجنوب الأول منها (باب السلام) ويعرف قديما بباب بني شيبة ، قال ابن فهد القرشي : وكان يقال له باب بني عبدشمس ويعرف اليوم بباب بني شيبة الـكبير وهو ثلاث طاقات وفيه اسطوانتان وبين يديه البلاط مفروش من حجارة وفي عتبة الباب حجارة طوال مفروش بها العتبة وهي حجارة كانت فضلت مما قلع القسري — وهو خالد بن عبدالله القسري أمير مكة من قبل عبد الملك بن مروان — لبركته التي يقال لها بركة البردية بفم الثقبة واصل ثبير — وهو اعلا جبال مكة وموضعه بأعلا مكة على يسار الصاعد من الأبطح الى (منى) — كانت الحجارة مطرحة

حول البركة حتى نقلت حين بنى المهدى المسجد فوضعت هناك ومن قال ان هذه الاحجار الطوال كانت أوثانا تعبد فى الجاهلية فهذا لا علم له اه .

ولا تزال هذه الاشاعة عن تلك الاحجار من كونها أصناما باقية الى العصر الحاضر ، فيقال عن الحجر الأوسط القائم على جنبه بين الحجرين المفروشين أحدهما من جهة مدخل باب السلام والثانى من جهة خارجه انه (هبل) الذى كان منصوبا على الكعبة فى زمن الجاهلية ، والظاهر أن هذه الرواية نقلها ابن فهد عن الازرقى وكلاهما قد أبان فى تاريخه عن حقيقة هذه الحجارة ، ولم أرى أحدا من المؤرخين عارضهما فى ذلك لا صراحة ولا تلميحا بأن الحجارة المذكورة كانت من ضمن الاصنام التى كانت تعبد فى الزمن الجاهلى . وهذا باب السلام من الابواب التى أحدثها الخليفة المهدي فى عمارته للمسجد الحرام حيث كان فى موضعه قبل توسعة المسجد الحرام زمن المهدي دور أهل مكة . ثم جددت عمارته بأمر السلطان سليمان خان بن سليم خان العثمانى وهو لا يزال على عمارته تلك الى العصر الحاضر ولم يعمر فيه شيء فى عمارة السلطان سليم الأخيرة بل بقى على حكمه لحد الآن لانه كان محكم البناء . وليس له درج بل هو مسامت لارض المسجد الحرام ، وانما عملت له درج عند مدخله من جهة شارع المسعى ، وله ثلاث منافذ ولكل منفذ باب خشبي قوي سميك على مصراعين ، وفى المنفذ الاوسط خوخة تفتح ايلا لمن يريد دخول المسجد الحرام أو الخروج منه ، وقد

فرش خارجه على سعة المنافذ الثلاثة بالحجر الرخام وكان ذلك سنة ١٢٦٦ في
بأمر السلطان عبدالمجيد خان أحد سلاطين آل عثمان في امارة الشريف
محمد بن عون على مكة وشيخ الحرم حسيب باشا . وقد كتب على عقود
باب السلام الثلاثة نقرا على الحجارة بالخط البارز (أمر بانشاء هذا الباب
الشريف ، السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن
السلطان بايزيد خان بن السلطان محمود خان بن السلطان مراد خان بن السلطان
محمد خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أرخان
ابن السلطان عثمان خان ، وكتب ذلك في سنة (٩٣١) وكتب ايضا بعلو
هذه الكتابة في وسط دوائر نقرا على الحجارة بالحرف البارز (الله) (محمد)
(ابو بكر) (عمر) (عثمان) (علي) (سعد) (سعيد) (عبد الرحمن بن عوف)
(ابو عبيدة) (طلحة) (الزبير) (حسن) (حسين) (رضوان الله عليهم
أجمعين) هذا ما كان من تاريخ انشاء وعمارة باب السلام من يوم أحدث
الى العصر الحاضر والله أعلم .

الباب الثاني (باب مدرسة السلطان قايتباى) فتحه وعمره السلطان
المذكور حينما عمر المدرسة التي تقدم ذكر عمارتها ، وهذا الباب نافذ من
المسجد الحرام الى شارع المسعى ، وقد كتب على هذا الباب من خارجه
مما يلي شارع المسعى بالخط البارز نقرا على الحجارة (لمولانا السلطان الملك
الأشرف أبو النصر قايتباى) وكتب أيضا بأسفل هذه الكتابة في

جوف دائرتين أحداهما على يمين الداخل ، والأخرى على يساره ، فكتب داخل الدائرة اليمنى (اللهم أنصره نصرا وأعزه)وكتب داخل الدائرة اليسري (وأفتح له فتحا مبينا) وكتب على الجدار القائم عليه الباب المذكور من الجهة اليمنى (... ولم يخشى الا الله فعسى أولئك) ومن الجهة اليسرى (أن يكونوا من المهتدين صدق الله العظيم ، أمر بانشاء هـذه المدرسة مولانا السلطان الملك المظفر أبو النصر قايتباى) وكل ذلك بالخط البارز نقرا على الحجارة . ويظهر أن الكتابة المذكورة أول كان مكتوبا على جدر الباب الايمن وطمس عمداً وهى .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآت الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ حيث وجود كلمة ولم يخش إلا الله يدله على أنه أول الآية كان مكتوبا حسبما تقدم والله أعلم .

الباب الثالث (باب النبي) ﷺ وعرفه الازرقي بهذا الاسم وقال لأنه كان يخرج منه النبي ﷺ الى منزله دار خديجة زوجته رضى الله عنها ويدخل منه . مع ان هذا الباب قد أحدثه الخليفة المهدى فى عمارته ولم يكن قبل ذلك فى هذا الموضع باب للمسجد الحرام فى العصر النبوى بل كان موضعه دور أهل مكة الى حد مدار المطاف والظاهر أن الداعى لتسمية هذا الباب بباب النبي لكون النبي ﷺ كان يدخل للمسجد الحرام ويخرج



اصطفاف الجند لتحية جلالة الملك عبد العزيز السعود المعظم حين دخوله المسجد الحرام لأداء صلاة الجمعة



[illegible] خارج المدرسة [illegible] المسجد الحرام

من نحو تلك الجهة حيث أن دار خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها كان فى الموضع المعروف فى العصر الحاضر بمولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها فى زقاق الصوغ والله أعلم ويقال لهذا الباب أيضا (باب الجنائز) والظاهر من تسميته بهذا الاسم ان الجنائز كانت تخرج منه فى ذلك العصر، حيث انها تخرج الآن من باب السلام غالبا. ويقال له أيضا (باب الحريريين) لأنه كان يباع الحرير فى الدكاكين التى بجواره من الخارج، ويقال له أيضا (باب القفص) لأن الصاغة كانوا يقطنون قديما تلك الجهة ويضعون الحلى فى أقفاص بقرب الباب المذكور، ولا يزالون لحد الآن نحو الباب المشار اليه حيث ان زقاق الصوغ يبتدء من أمام باب النبي ﷺ وهذا الباب يعلو عن أرض رواق المسجد الحرام بثمان درجات، ولم يجدد بناءه في العمارة الأخيرة التى وقعت سنة ٩٨٤ حيث أنه كان قويا محكم البناء، وانما جددت الشرفات التى عليه وعددها (٢٤) شرفة، وقد عمره الملك الأشرف برسباى أحد سلاطين مصر وهو لا يزال على تلك العمارة الى الآن، وقد كتب نقرا على الحجارة داخل دائرة مستطيلة على علو الباب المذكور بالخط البارز.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآت الزكاة ﴾ أمر بتجديد الباب الشريف للنبي ﷺ سيدنا ومولانا

المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي خادم الحرم الشريف وأمير المؤمنين أللهم أعز نصره ، على يد الفقير الى الله تعالى الوزير المقدم مقبل القديدى السكى الأشرفى ، بتاريخ ذى القعده الحرام أحد شهور سنة خمس وعشرون وثمانمائة) وهذه الكتابة قديمة من عهد عمارة الباب المذكور. ثم فى سنه ١٣١٤ جرت عمارة عمومية في المسجد الحرام ومرمات وكتب تاريخها على هذا الباب وكتب اسم السلطان عبد الحميد خان الثانى ابن السلطان عبد المجيد خان ضمن (طرة) سلطانية بالذهب وكتب بأسفلها تاريخ تلك العماره بالرقم وهى سنة ١٣١٤ حيث جرت بأمر السلطان عبد الحميد خان العثمانى المذكور . وهذا الباب يفتح على منفذين ولكل منفذ باب خشبي قوى بمصراعين .

الباب الرابع (باب العباس) بن عبدالمطلب رضى الله عنه سمى بذلك لأنه يقابل داره التى بالمسعى الشهيرة باسمه الى العصر الحاضر، ويعرف هذا الباب أيضا بباب الجنائز ، قال التقي الفاسى لأنها تخرج منه فى الغالب وقد أحدثه وأنشأه امير المؤمنين محمد المهدي العباسى فى عمارته وله ثلاثة منافذ ولكل منفذ باب خشبي بمصراعين ،وهو يعلو عن رصيف الرواق باحدى عشر درجة ، وقد جددت عمارته فى سنة ٩٨٤ . من قبل السلطان سليم بن سليمان خان ، وفيه العلم الاخضر .

الباب الخامس (باب على) رضى الله عنه وعرفه الازرقي (بباب بنى هاشم) وبباب (البطحاء) أيضا ، وله ثلاثة منافذ ولكل منفذ باب خشبي بمصراعين، كان أول من احدثه وأنشأه الخليفة محمد المهدي فى عمارته الاخيرة سنة ١٦٤ وقد جددت عمارته فى سنة ٩٨٤ فى عمارة السلطان سليم خان وهو يعلو عن فرش الرواق بعشر درجات ، وعليه وعلى باب العباس من الشرفات (١١٥) شرفة ومكتوب عليهما بالنقر فى الحجارة التى على عقود البابين المذكورين تاريخ عمارة المسجد الحرام الاخيرة التى صارت سنة ٩٨٤ كما سبق تفصيل ذلك فى محله ، وكتب ذلك من خارج الباب على شارع المسعى ، وكتب أيضا من داخل المسجد الحرام بين البابين المذكورين على حائط المسجد الحرام بالخط البارز الكبير الثلث الجميل (الله . محمد . أبو بكر . عمر . عثمان . على . رضوان الله عليهم أجمعين سنة ١٢٩٩) وكتب فوق ذلك بالخط الثلث الدقيق (قد وقع هذا الانشاء الشريف باشارة السلطان الأعظم السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان أيد الله ملكه سنة ٩٨٨) هذا ما كان الابواب التى بالجهة الشرقية من يوم أحدثت الى العصر الحاضر .

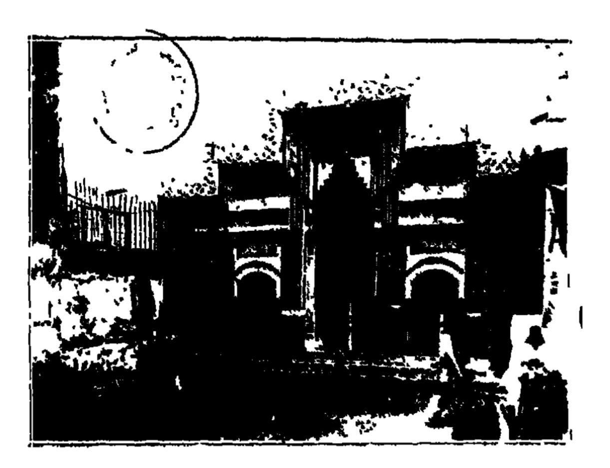
وأما ما كان من أبواب المسجد الحرام فى الجهة الجنوبية فهى سبعة أبواب تفتح على سبعة عشر منفذاً، وبيانها على التتابع من الشرق الى الغرب.

الاول منها (باب بازان) سماه بذلك التقي الفاسي ، حيث كان أمامه بازان عين حنين ، وموضعه مركز شرطة الصفا ، وهو لا يزال خلفه خوزة يستقي منها الى العصر الحاضر ، وعرفه الازرقي بباب بني عائذ ، ويسمى فى العصر الحاضر بباب النعوش ، والظاهر من تسميته بهذا الاسم ان النعوش كانت تخرج منه الى شارع القشاشيه ومنه الى المعلى . ولهذا الباب منفذان وعلى كل منفذ باب خشبي قوى ، ولكل باب مصراعان أحدثه وأنشأه الخليفة محمد المهدى العباسى في عمارته الثانية التى جرت سنة ١٦٤ وقد جدد بناؤه فى عمارة سنة ٩٨٤ التى أجريت من قبل السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان العثمانى ويعلو من أرض الرواق باحدى عشرة درجة ، وعليه من الشرفات (١٦) شرفة . وكتب على عقده من الخارج بالخط البارز نقراً على الحجارة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَيناً يَشرَبُ بِها عِبادَ اللهِ يُفجِرُونَها تَفجِيراً ، يُوفُونَ بِالنَّذرِ وَيَخافونَ يَوماً كانَ شَرُّهُ مستطيراً ، وَيُطعمونَ الطعامَ على حُبِّهِ مِسكيناً وَيَتيماً وَأَسيراً ﴾ سنة ٩٨٤ للسلطان مراد بن السلطان سليم خان.

الثانى منها (باب البغلة) عرفه بذلك التقى الفاسى ، وعرفه الازرقى بباب بنى سفيان قد أحدثه وأنشأه أمير المؤمنين محمد المهدى فى عمارته الثانية سنة ١٦٤ ، وقد جددت عمارته عند بناء المسجد الحرام فى المرة



(باب الصفا) وهو ذو خمس نوافذ



الاخيرة سنة ٩٨٤ التى أجراها السلطان مرادخان وله منفذان ولكل منفذ منهما باب خشبي ذو مصراعين ، ولم يكتب على هذا الباب المذكور شيء لا من داخله ولا من خارجه كما كتب على غيره من الابواب . وقد ذكر إبراهيم رفعت باشا فى مرآت الحرمين أنه كتب على هذا الباب بعد البسملة (فانظر الى آثار رحمة الله ، الآية) مع ان هذه الآية كتبت على باب مدرسة الشريف عجلان كما سيأتى بيانه ، والظاهر أنه اعتمد على شخص غير ذى ثقة أن ينقل له ما كتب على أبواب المسجد الحرام فنقل له ذلك بالغلط حيث سيأتى كثير من أشباه ذلك ، لان ابراهيم رفعت باشا المصرى قد اعتنى وتحرى فى تأليفه مرآة الحرمين أحسن من غيره مثل البتنونى ومن على شاكلته . وهذا الباب يعلو عن أرض المسجد الحرام من داخل الرواق بست درج .

الباب الثالث منها (باب الصفا) وعرفه الفقهاء فى المناسك كما عرفه الازرقى بباب بنى مخزوم ، قال القاضى ابن ظهيرة : وسبب تعريف هذه الابواب — يعنى هذا الباب وما يليه — ببنى مخزوم كونهم كانوا ساكنين تلك الجهة . وقال قطب الدين فى (الاعلام) وسمي باب الصفا لانه يليه . وذلك لان الخارج من هذا الباب يستقبل الصفا ، وهو ذو خمسة منافذ ولم يكن غيره من أبواب المسجد الحرام يحتوى على خمسة منافذ وقد أحدثه وأنشأه الخليفة محمد المهدى العباسي فى عمارته الثانية سنة ١٦٤ وقد

جددت عمارته مع المسجد الحرام سنة ٩٨٤ التي أجريت من قبل السلطان مراد خان بن السلطان سليمان خان ويعلو عن أرض الرواق بعشر درجات ويعلوه (٢٩) شرفة ، وعلى كل نافذة من نوافذه باب من الخشب الجيد على مصراعين . وقد كتب على المنفذ الاول والثانى اللذين هما على يمين الداخل الى المسجد الحرام :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إنَّ الصفا وَالمروةَ من شعائرِ الله فمن حجَّ البيتَ أو اعتمرَ فلا جناحَ عليهِ أنْ يطوَّفَ بهما ومنْ تطوَّعَ خيراً فإنَّ الله شاكرٌ عليمٌ ﴾ وكتب على المنفذ الاوسط والذين بعده من الجهة الغربية ﴿ وسارعوا الى مغفرةٍ من ربكمْ وجنةٍ عرضها السماواتِ والأرضِ أُعِدَّتْ للمتقين الذينَ ينفقون فى السرَّاءِ والضرَّاءِ والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن الناس واللهُ يحبُّ المحسنين ﴾ ولم يذكر ابراهيم رفعت باشا فى مرآت الحرمين كل ماتقدم من الكتابة بل اقتصر على الآية الاولى ﴿ ان الصفا ﴾ ولم يستوعب ما كتب على الخمسة المنافذ كما استوعبتها هنا .

الرابع منها (باب اجياد الصغير) كذا ذكره بهذا الاسم ابن ظهيرة، وقطب الدين فى (الاعلام) ، وابن جبير فى رحلته وسماه ابن جبير أيضا (باب الخلفيين) وعرفه الازرقي بباب بنى مخزوم أحدثه وأنشأه امير المؤمنين محمد المهدى فى عمارته الثانية سنة ١٦٤ . وقد جددت عمارته سنة

٩٨٤ التي اجريت بامر السلطان مراد خان بن سليم خان وعليه (١٩) شرفة وهوذومنفذان وله باب خشبي قوى بمصراعين ويعلو عن ارض الرواق بتسع درجات، وقد كتب عليه نقر على الحجارة بالخط البارز .

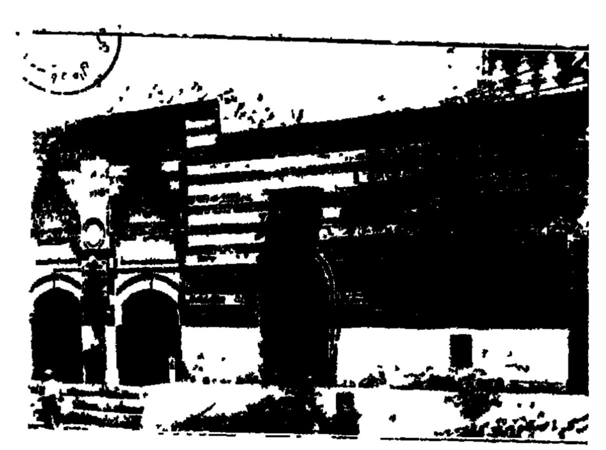
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَوَهبنا لِدَاودَ سليمانَ نِعمَ العبدُ إنهُ أوابٌ إذْعرضَ عليهِ بالعشيّ الصافِنات الجياد فقالَ إنى أحببتُ حبَّ الخير عن ذكرَ رَبيّ حتى توارت بالحجاب﴾

الخامس منها (باب المجاهدية) وسبب تسميته بذلك لكونه عند مدرسة الملك مجاهد صاحب اليمن، وعرفه بهذا الاسم التقي الفاسي، وابن ظهيرة وقطب الدين. ويقال له (باب الرحمة) أيضا، وذكر الازرقي انه من أبواب بني مخزوم أيضا. ويسمي الآن بباب اجياد لأنه أمام شارع اجياد. أحدثه وأنشأه الخليفة محمد المهدى في عمارته الثانية سنة ١٦٤ وقد جددت عمارته ٩٨٤ في عمارة السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان وعليه (٢٠) شرفه، وله منفذان ولكل منفذ باب خشبي قوى على مصراعين، ويعلو عن بلاط الرواق بعشر درجات. وكتب عليه نقرا على الحجارة بالخط البارز (فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعدالله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما)

السادس منها (باب مدرسة الشريف عجلان) عرفه بهذا الاسم التقي الفاسي لاتصاله بها ، وعرفه الازرقي بباب بني تيم ، وهو الآن واقع أمام باب التكية المصرية قد أحدثه وأنشأه الخليفة المهدي في عمارته الثانية سنة ١٦٤ وقد جدد بناؤه في سنة ٩٨٤ وذلك في عمارة السلطان مراد خان بن سليم خان وله منفذان ، ولكل منفذ باب خشبي قوي على مصراعين وعليه (٢٠) شرفة ويعلو عن أرض الرواق بعشر درجات، وقد كتب عليه بالخط البارز نقرا على الحجارة (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) وقد وقع في مرآة الحرمين غلط فيما كتب على هذا الباب فذكر انه كتب عليه بعد البسملة (ووهبنا لداود سليمان ،الآية) مع ان هذه الآية لم تكتب عليه بل كتبت على باب إجياد كما تقدم ، وقال ايضا أنه كتب على هذا الباب أيضا بعد البسملة (وسارعوا الى مغفرة) مع أن هذه الآية لم تكتب عليه بل كتبت على باب الصفا كما سبق تفصيله.

السابع منها (باب أم هانىء) رضي الله عنها بنت أبي طالب أخت أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه . عرفه الازرقي بهذا الاسم وقال التقي الفاسي انه يسمى بباب (اللاعبة) وعرفه الاقشهري بباب الفرج . قال القاضي ابن ظهيرة : ونسبته الى أم هانىء هو الأشهر الى يومنا هذا . وذلك لكونه واقع عند دار أم هانىء رضى الله عنها ، وجاء



(باب بازان) وفي منتهى الرسم على اليمين العلم الأخضر



(باب الوداع) وهو على نافذتين وأمامه عقد كبير

فى تحصيل المرام ان هذا الباب مما يلى دور بنى عبد شمس وبنى مخزوم وسماه صاحب النهاية (باب أبى جهل) قد أحدثه وأنشأه الخليفة المهدى فى عمارته الثانية سنة ١٦٤ . وقد جددت عمارته سنة ٩٨٤ وذلك فى عمارة السلطان مراد خان بن سليم خان وعليه (١٣) شرفة، وهو واقع أمام دار الحكومة ، ويعلو عن أرض رواق المسجد الحرام بعشر درجات ،وكتب عليه بالخط الثلث البارز نقرا على الحجارة ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ وله منفذان ولكل منفذ منهما باب خشبي قوي ذو مصراعين كغيره من عموم أبواب المسجد الحرام المتقدم ذكرها ، هذا ما كان من الابواب بالجهة الجنوبية أنشأ وتجديدا .

وأما ما كان من أبواب المسجد الحرام فى الجهة الغربية فهي ستة أبواب بثمانية منافذ وعلى كل منفذ باب خشبي قوى محكم ذو مصراعين.

الأول من هذه الأبواب (باب الحزورة) قال التقى الفاسى المصحف الآن بباب عزورة ، والحزورة اسم لسوق فى الجاهلية كانت فى هذا المكان ودخلت فى المسجد الحرام عند توسعته ، ويسمى أيضا بباب البقالية ، وعرفه الازرقى بباب بنى حكيم بن حزام ، وبباب بنى الزبير ابن العوام ، وبباب الحزامية ، قال ابن ظهيرة وهو الغالب عليه .ويعرف

الآن (باب الوداع) قد أحدثه وانشأه الخليفة المهدى في عمارته الثانية التى أتمها ابنه موسى الهادى سنة ١٦٩ وقد جددت عمارته من قبل السلطان فرج بن برقوق الجركسى سنة ٨٠٤ بعد ان انتهى من عمارة ما احترق من المسجد الحرام سنة ٨٠٢ كما تقدم تفصيله وهو باق على عمارته التى وقعت فى سنة ٨٠٤ ولم تجدد عمارته فى العمارة الأخيرة التى جرت سنة ٩٨٤ فهو على حكمه من ذلك التاريخ الى العصر الحاضر ، وله منفذان ولكل منفذ باب خشبي على مصراعين وهو يعلو عن بلاط رواق المسجد الحرام بست درجات . اما بيان الكتابة التى كتبت عليه من داخل المسجد الحرام ومن خارجه ، فهى قد كتب على (البترة) الفاصلة بين المنفذين من داخل المسجد الحرام نقرا فى حجر مربع بخط بارز .

بسم الله الرحمن الرحيم

امر بعمارة هذا الباب الشريف وثلث الحرم لما احترق سنة ٨٠٢ مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن السلطان الملك المالك ابو سعيد برقوق على يد المغفور له بيسق امير ياخور سنة ٨٠٤ . ومكتوب على المنفذ الايمن من خارج الباب المذكور (يامبدىء يامعيد) ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ . إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . وكتب على المنفذ الايسر من هذا الباب (أمر بعمارة هذا الباب الشريف ، وما خرب بالحرم الشريف مولانا السلطان الملك

الناصر فرج بن السلطان الشهيد الظاهر أبو سعيد برقوق فى سنة اربع وثمانمائة على يد الراجى عفو ربه يسق أمير ياخور فى سنة (٨٠٤). ويظهر من هذه الكتابة ان السلطان فرج برقوق الجركسى عمر هذا الباب فى تلك السنة وكانت عمارته هذه هى العمارة الثانية بعد عمارة الخليفة العباسى محمد المهدى حيث لم تقع بينهما عمارة غير هذه، ولا يزال هذا الباب على حاله الى العصر الحاضر بغاية المتانة، وهو لا يختلف فى الشكل عن العمارة الاخيرة.

الثانى من هذه الأبواب (باب ابراهيم) قال التقى الفاسي: وابراهيم المنسوب اليه هذا الباب كان خياطا عنده على ما قيل كما ذكره البكرى فى كتاب المسالك والممالك وأن العوام نسبوه اليه، ووقع للحافظ أبى القاسم ابن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى انه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له اه.

وقد نقل القاضى ابن ظهيرة ما تقدم وأقره على ما ذكره الفاسى، وهذا الباب كبير أوسع أبواب المسجد الحرام ذو منفذ واحد وله باب من الخشب القوى على مصراعين، ولم يجدد بناؤه فى العمارة الأخيرة لان الملك الغوري قد عمره وبنى عليه قصراً كما تقدم تفصيله، وهو لا يزال على ذلك البناء الى العصر الحاضر، وكتب بعلو هذا الباب من الجانب الأيمن داخل دائرة نقرا على الحجر بالخط البارز (ابو النصر مولانا السلطان الملك الاشرف الغوري) وكذلك على الجانب الايسر، ومكتوب على الجدار القائم عليه

عقد الباب على ارتفاع قامة من الجهة اليمنى (بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وعلى الجهـة اليسرى (أمر بعمارة هذا الباب المعظم المالك الممالك السلطانية) ولم يوضع عليه تاريخ ، وهو يعلو عن أرض المسجد بست درجات .

الثالث منها باب بجوار رباط (الخوزى) الذى صار فى موضعه الآن رباط اليمانية وهو واقع فى الجهة الغربية من زيادة باب ابراهيم فى الركن الشمالى والظاهر أن هذا البـاب كان تابعا لرباط الخوزى ، وهو نافذ من المسجد الى شارع السوق الصغير، وهو بمنفذ واحد . وفى زيادة باب ابراهيم غير ما تقدم من الابواب ثلاثة أبواب لثلاث مدارس لم أعدها من ضمن أبواب المسجد الحرام لانها خاصة بتلك المدارس .

الرابع من الأبواب المذكورة (باب مدرسة الشريف غالب)وهو على منفذين صغيرين موصل الى شارع السوق الصغير أيضا .

الخامس منها (باب مدرسة الداوودية) وهو بمنفذ واحد موصل الى السوق الصغير أيضا ولم . أجد على هذه الابواب كتابة أصلا .

السادس منها (باب العمرة) سمي بذلك لان المعتمرين من التنعيم تعودوا الدخول والخروج منه فى الغالب ، وذكره بهذا الاسم ابن جبير فى رحلته ، والمحب الطبرى فى كتابه القرى، وسماه الازرقى باب بنى سهم وهو بمنفذ واحد ، وله (١١) درجة قد أنشأه أبو جعفر المنصور فى عمارته

وجدده الخليفة المهدى فى عمارته الاولى التى جرت سنة ١٦٠ ، وقد جددت عمارته فى زمن السلطان سليم وابنه مراد خان سنة ٩٨٤ وعليه ثلاث شرفات ، ومكتوب عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَتِموا الحجَّ وَالعمرةَ لِلهِ فَإن أحصِرتُمْ فَمااستيسَرَ مِنَ الهدْي وَلا تحلقوا رُؤُسَكُمْ حَتىٰ يَبلغَ الهدىُ مَحلهُ ﴾

هذا ما كان من الابواب في الجهة الغربية انشاء وتجديدا منذ عمارة أبى جعفر المنصور الى العصر الحاضر . وأما ما كان من هذه الابواب فى الجانب الشمالى فهى ثمانية أبواب بعشرة منافذ . الأول منها (باب السدة) سماه بذلك ابن جبير فى رحلته ، وذكره الفاسى كذلك ، وقال القاضى ابن ظهيرة : سمى بذلك لكونه سد ثم فتح . وعرفه الازرقي بباب عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وقد أنشأه وجدده الخليفة المهدي بعد أبيه أبى جعفر المنصور حيث قد زاد فى عمارته الاولى التى جرت سنة ١٦٠ فى الجهة الشمالية على زيادة ابيه تقدر مساحة الاروقة الثلاثة فلذلك اعتبرت هذه الأبواب من إنشائه ثم جددت عمارته مع المسجد الحرام سنة ٩٨٤ وذلك فى عمارة السلطان سليم بن سليمان خان وعليه ست شرفات ، وهو يفتح على منفذ واحد ، وله باب خشبي بمصراعين ويعلو عن أرض الرواق باحدى عشرة درجة ، ويسمى الآن بباب (العتيق) وسبب تسميته بذلك

لكونه قريبا من دار ابن عتيق وكان ابن عتيق من الاعيان، وجاء ذلك صريحا في كتاب (الارج المسكي) بقوله: ان باب السدة المعروف في زماننا بباب ابن عتيق لكونه قريبا من داره انتهى. ومكتوب عليه (لا إله الا الله محمد رسول الله) تقرأ على عقد الباب المذكور كغيره من الابواب.

الثاني منها (باب مدرسة الزمامية) وهو بمنفذ واحد، ويعلو عن أرض الرواق بتسع درجات، ولم يكتب على عقد الباب المذكور ولا في جوانبه شيء، وهو تابع للمدرسة المذكورة وينفذ على الجادة الموصلة الى (قاعة الشفاء) ويعتبر من أبواب المدرسة.

الثالث منها (باب الباسطية) نسبة الى عبد الباسط ناظر الجيش في دولة الملك الاشرف برسباي لأنه عمر بجواره مدرسة للفقراء في غاية الاحكام والاتقان ولا تزال هذه المدرسة على حكمها الى العصر الحاضر وهي على شمال الداخل من هذا الباب الى المسجد الحرام، قال قطب الدين الحنفي في (الاعلام) يصف المدرسة المذكوره: للمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الى الآن بيد النجار بن أئمة مقام الحنفي يسكنها الاعيان الواردون الى الحج وكانت عليها أوقاف بمصر دثرت الآن ويسمى هذا الباب أيضا بباب (العجلة) قال القاضي ابن ظهيرة: وسمي بذلك لكونه عند دار كانت تسمى قديما (دار العجلة) ولم أدر ما هذه العجلة انتهى. وقد أحدثه وأنشأه الخليفة محمد المهدي في عمارته سنة ١٦٠ ثم جدد بناء

بهذا الباب في عمارة سنة ٩٨٤ التي أجراها السلطان سليم خان بن سليمان خان وعليه سبع شرفات ، ويفتح على منفذ واحد وله باب خشبي قوي كبير على مصراعين ويعلو عن أرض الرواق بتسع درجات ، وقد كتب عليه بالخط الثلث الواضح الجميل يقرأ على الحجارة كبيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾

الرابع من هذه الابواب (باب القطبي) وهو معروف في العصر الحاضر بهذا الاسم لكونه بجوار مدرسة قطب الدين الحنفي ويسمى ، قديما بباب زيادة دار الندوة ، وهو واقع غرب تلك الزيادة ، ولم يجدد بناؤه في العمارة التي وقعت سنة ٩٨٤ وله منفذ واحد ، ويعلو عن رواق الزيادة بثلاثة عشرة درجة ، ولم يكتب عليه شيء . وهو لا يزال على عمارته التي أنشئت في خلافة المعتضد بالله العباسي سنة ٢٨١ وهو الباب الاثري الذي باق على بنائه القديم نحو ألف ومائة سنة وهو لا يزال في العصر الحاضر قوى البناء لا فرق بينه في المتانة وبين سائر أبواب المسجد الحرام

الخامس من هذه الابواب (باب الزيادة) وهو مشهور في عصرنا الحالي بهذا الاسم ، وكان يسمى قديما بباب سويقة ، قال الازرقي : هو باب دار بني شيبة بن عثمان يسلك منه الى سويقة . ذكره القرشي . وهو

ذو ثلاثة منافذ، قال قطب الدين في (الاعلام): قد كان هذا الباب قديماً
طاقين الى أن أمر المرحوم الامير قاسم بك ببناء المدرسة السلطانية ففتح
طاقاً ثالثاً ثم هدمت الطاقات الثلاثة عند بناء المسجد الحرام وأعيدت كما
كانت وعدد شرفاته اثنتان وعشرون شرفة انتهى. وله ثلاثة أبواب خشبية
للثلاثة المنافذ وكل باب على مصراعين وللباب الاوسط خوخة لاجل
الدخول منها ليلا وهو يعلو عن أرض رواق زيادة دار الندوة بثلاث عشرة
درجة، وكتب على المنفذ الاول الذي هو على يمين الداخل الى المسجد
الحرام ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ وكتب على المنفذ الثاني الذي هو الاوسط ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وكتب على المنفذ الثالث ﴿وَقَالَ سُبْحَانَهُ
أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

السادس منها (باب المحكمة) وهذا الباب قد أسسه الامير قاسم
بك ممراً للمدرستين اللتين هما من المدارس الاربعة المتقدم ذكرها في
عمارة السلطان سليمان بن سليم خان، وهو ذو منفذ واحد مسامت لارض
رواق المسجد الحرام ولم يكن له درج، وله باب خشبي وسبب اشتهاره بهذا
الاسم هو لكونه قد خصصت احدى المدرستين مركزاً للمحكمة الشرعية

الكبرى من زمن بعيد ، وهذا البـاب نافذ من المسجد الحرام الى شارع شويقة .

السابع منها (باب السليمانية) وهذا الباب قد أسسه أيضا الامير قاسم بك مرآ . للمدرستين الأخيرتين من المدارس الأربعـة ، وممرآ ايضا للرباط السليمانية الذى هو خلف المدرستين المذكورتين،وسمى هذا الرباط برباط السليمانية نسبة الى السلطان سليمان خان منشىء المدارس الأربعـة والرباط المذكور ، وهو ذو منفذ واحد مسامت لأرض رواق المسجد الحرام وله باب خشبي وليس له درج ، وهذا الباب منفذ من المسجد الحرام الى شارع سويقة مما يلى باب الدريبة .

الثامن منها (باب الدريبة) ويعرف بهذا الاسم قديما ، وهو واقع فى ركن المسجد الحرام بالقرب من باب السلام ، وهو معدود من أبواب المسجد الشمالية ، وقد جدد بناءه الامير قاسم بك عند بناء المدارس الاربعة المتقدم ذكرها ، وهو منخفض عن أرض رواق المسجد الحرام بدرجة واحدة وهو ذو منفذ واحد ، وله باب خشبي ولم اقف على سبب تسميتـه بهذا الاسم . ولم يكتب على هذه الأبواب الثلاثة شيء . وهذا الباب منفذ من المسجد الحرام الى شارع سويقة .

هذا عدد أبواب المسجد الحرام من جهاته الاربعة مع أبواب المدارس التى حوله وهى تعتبر أبوابا عموميـة لأنها نافذة من المسجد الحرام الى

الشوارع العمومية وعموم هذه الأبواب عليها أبواب من الخشب القوي السميك ولكل باب مصراعان وغالب تلك الابواب لها خوخة والخوخة هي منفذ صغير في وسط أحد مصراعى الباب الخشبي وتستعمل هذه الخوخات ليلا عندما تقفل أبواب المسجد الحرام فيكون الدخول الى المسجد الحرام والخروج منها ، وخلف كل خوخة ثقالة من الحديد لأجل رد الباب الصغير الذي على الخوخة بعد الدخول أو الخروج منها . وقد ذكرت فيما تقدم ما لكل باب من أبواب المسجد الحرم من الدرج التى يصعد عليها من داخل المسجد الحرام الى حد الباب الخشبي ولم اذكر عدد الدرج التي هي خلف الباب الخشبي أو التى دفنت في الشوارع حيث أن ذلك لا يهم حصره .

الى هنا انتهت عمارة المسجد من توسعة ، وانشاء ، وزيادة ، ولم يقع بالمسجد الحرام بعد ذلك عمارة غير المرمات المتعددة التى سيأتى ذكرها قريبا بعد الانتهاء من عمارة مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وبئر زمزم وسقاية العباس ، وباب بنى شيبة ، والمنبر ، والمقامات الأربعة ، والمزولة ، والمنائر ، والقناديل التى كان يضاء بها المسجد الحرام فى القديم والحديث وما أشبه ذلك من متعلقات المسجد الحرام وبالله التوفيق .

مقام ابراهيم

مقام ابراهيم ﷺ هو الأثر الاسلامي العظيم الذي حفظه الله تعالى طيلة هذه الدهور، والعصور، والقرون الطوال من عهد ابراهيم الخليل ﷺ الى العصر الحاضر كما حفظ الحجر الاسود ذلك الأثر الاسلامي العظيم الذي يرجع عهده الى عهد مقام ابراهيم، والدليل على ذلك مارواه أبو عيسى الترمذي في سننه عن عبد بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب» قال الترمذي وهو يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفا اه.

وقد خص الله سبحانه وتعالى الأمة الاسلامية بهذين الاثرين فجعل الحجر الاسود مبدأ الطواف بالبيت ومنتهاه، وجعل مقام ابراهيم متخذاً للصلاة، ولم يوجد عند أي أمة من الأمم غير الامة الاسلامية من الآثار الخالدة القديمة العهد ما يضاهي هذين الاثرين العظيمين، وقد حفظهما الله تعالى طيلة هذه الدهور رغم كل ما اعتراهما من القلع والنقل كما وقع من القرامطة، وغيرهم كما سيأتي ذكره، بل هما لايزالان محفوظين،

بعناية الله تعالى بالمسجد الحرام الى اليوم والى يوم القيمة، وذلك من أعظم المعجزات.

وقد جاء ذكر مقام ابراهيم الخليل ﷺ فى القران المجيد بقوله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فذكر المفسرون، واصحاب السنن، وشراح الحديث، والمؤرخون، في معنى ذلك راويات كثيرة وأقوالا متعددة عن السلف الصالح عن المقصود من قوله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى ﴾ هل هو الحرم كله أو مشاعر الحج كعرفة، والمزدلفة، ومنى، ورمي الجمار، وسائر أماكن المناسك؟ أو هو حجر المقام الذى قام عليه ابراهيم الخليل ﷺ حال بنائه الكعبة المشرفة؟ فروي ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن مجاهد أنه قال الحرم كله، وروى أيضا عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ومجاهد، وعطاء بن ابى رباح، والشعبي أنهم قالوا سائر أماكن الحج. وروى عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم وقتادة، والسدى، أنهم قالوا ان المراد من قوله تعالى ﴿ واتخذوا من من مقام إبراهيم مصلى ﴾ هو حجر المقام قال ابن جرير بعد ذكر ما تقدم: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون أن مقام ابراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذى هو فى المسجد الحرام. ثم روي بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه قال استلم رسول الله ﷺ الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم تقدم الى مقام

ابراهيم فقرأ ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين . وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : قلت يارسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله تعالى ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ . قال ابن جرير: فهذان الخبران ينبآن أن الله تعالى ذكره انما عنى بمقام ابراهيم الذي أمرنا الله باتخاذه مصلى هو الذي وصفنا ولو لم يكن على صحة ما اخبرنا فى تأويل ذلك خبر عن رسول الله ﷺ لكان الواجب فيه من القول ماقلنا وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتى ما دل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له ، ولاشك أن المعروف فى الناس بمقام إبراهيم هو المصلى الذى قال الله تعالى ذكره ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾ . ثم استدل ابن جرير على ذلك بقول قتادة وهو (أمروا أن يصلوا عنده) وقول السدى (هو الصلاة عنده) ثم قال بعد ذلك : وهذا القول أولى بالصواب لماذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب وجابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ .

وروى الحافظ عمادالدين بن كثير فى تفسيره عن سعيد بن جبير انه قال : الحجر مقام ابراهيم ﷺ فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلفت رجلاه .

فقول سعيد بن جبير هنا (ولو غسل رأسه) هو جواب على قول من قال ان ابراهيم ﷺ انما استعمل حجر المقام لغسل رأسه فاجابه

بانه لو غسل رأسه لاختلفت رجلاه، وذلك لان الرواة اختلفوا في استعمال ابراهيم ﷺ لحجر المقام، فمنهم من روى انه استعمله لغسل رأسه، ومنهم من روى انه غسل عليه رجليه، ومنهم من روى انه رقى عليه حال بناء الكعبة، فرجح سعيد بن جبير القول الاخير.

قال الحافظ ابن كثير وروى ابن ابى حاتم عن جابر قال: لما طاف النبي ﷺ قال له عمر هذا مقام ابينا ؟ قال « نعم » قال أفلا نتخذه مصلى. فأنزل الله تعالى ﴿ وَٱتَّخِذُوا من مقام ابرهيم مصلى ﴾ وروى البخاري عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين. قال الحافظ ابن كثير فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام انما هو الحجر الذى كان ابراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به يقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل الى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ جدار نقله الى الناحية التى تليها وهكذا حتى تم جدران الكعبة وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب فى جاهليتها ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته المعروفة اللامية

وموطئ ابراهيم فى الصخر رطبة   على قدميه حافيا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضاً كما قال عبد الله بن وهب بسنده عن أنس بن مالك حدثهم قال: رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير انه أذهبه مسح الناس بأيديهم. وروى ابن جرير عن قتادة ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾ انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه وقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى أخلولق وانمحى

وقال الفخر الرازى فى تفسيره بعد ما ذكر بعض الروايات المتقدمة: واتفق المحققون على ان القول الاول — وهو ان المراد من قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ — هو حجر المقام أولى ويدل عليه وجوه (الاول) ما روى جابر أنه عليه السلام لما فرغ من الطواف أتى المقام وتلا قوله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾ فقراءة هذه اللفظة عند ذلك الموضع تدل على أن المراد من هذه اللفظة هو ذلك الموضع ظاهراً (الثانى) أن هذا الاسم فى العرف مختص بذلك الموضع والدليل أن سائلا لو سأل المكى بمكة عن مقام ابراهيم لم يجبه ولم يفهم منه الا هذا الموضع (الثالث) ما روى انه عليه السلام مر بالمقام ومعه عمر رضى الله عنه فقال: يارسول الله أليس هذا مقام أبينا ابراهيم؟ قال «بلى» قال: أفلا نتخذه مصلى؟ قال «لم أومر بذلك» فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت الآية (الرابع) أن الحجر صار تحت قدميه فى رطوبة الطين حتى غاصت فيه رجلا ابراهيم

عليه السلام وذلك من أظهر الدلائل على وحدانية الله ومعجزة ابراهيم عليه السلام فكان باختصاصه بابراهيم أولى من اختصاص غيره به ، فكان اطلاق هذا الاسم عليه أولى (الخامس) انه تعالى قال ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾ وليس للصلاة تعلق بالحرم ولا بسائر المواضع الا بهذا الموضع فوجب أن يكون مقام ابراهيم هو هذا الموضع (السادس) ان مقام ابراهيم هو موضع قيامه وثبت بالاخبار أنه قام على هذا الحجر عند المغتسل ولم يثبت قيامه على غيره فحمل هذا اللفظ أعني مقام ابراهيم عليه السلام على الحجر يكون أولى .

وقال البيضاوي في تفسيره : واتخذوا ، على ان الخطاب لأمة محمد ﷺ وهو أمر استحباب ، ومقام ابراهيم هو الحجر الذي فيه أثر قدمه أو الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم .

وقال الخازن في تفسيره بعد أن ذكر شيئا من الاحاديث المتقدمة الصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي عنده الائمة وذلك الحجر هو الذي قام ابراهيم صلى الله عليه وسلم عليه عند بناء البيت وقيل ، كان أثر أصابع رجلي ابراهيم صلى الله عليه وسلم فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدي وقيل انما أمروا بالصلاة ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله ، ثم قال : واختلفوا في قوله (مصلى) فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره

قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ، ومن فسر المقام بالحجر قال معناه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قبلة أمرنا بالصلاة عنده، وهذا القول هو الصحيح لأن لفظ الصلاة اذا أطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ، ولأن مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلى فيه .

فتحصل من عموم ما ذكره المفسرون أن القصد من قوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) هو حجر المقام الذي قام عليه ابراهيم الخليل ﷺ عند بناء الكعبة المعظمة ، واتخاذ الصلاة من المقام هي الصلاة خلفه بان يجعل بين المصلى والكعبة المعظمة بحيث يكون المقام أمام المصلى كما فعل رسول الله ﷺ حيث هو المشرع الأعظم ، وليس المراد باتخاذ المقام مصلى بأن يستقبله المصلى من أي جهة كانت بمعنى أنه يستدبر الكعبة في صلاته ويجعل المقام قبلته ، او يجعل الكعبة على يمينه أو شماله حال استقباله المقام ، وذلك لأن قبلة المصلى هي الكعبة المعظمة ، وليس غيرها قبلة لعموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فمن استقبل غير الكعبة في صلاته فصلاته غير صحيحة وهو آثم ، ومن تعمد ذلك فقد خرج من الاسلام لأن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه محمد ﷺ (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) وقال تعالى

﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ . فالقبلة المقصودة بالذات هي الكعبة المعظمة . وأما حجر المقام فهو موجود وباق في موضعه المعلوم الى العصر الحاضر وموضعه الآن هو أمام الكعبة من الجهة الشرقية بين المنبر وبيت بئر زمزم .

وقد وردت روايات كثيرة ، وأقوال متعددة ، وآراء مختلفة في الموضع الذي كان فيه مقام ابراهيم الخليل ﷺ من عهد ابراهيم الخليل ﷺ الى الزمن الذي وضعه فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي هو فيه لهذا الآن .

فروى الأزرقي في كتابه (أخبار مكة) من طريق سفيان بن عيينة عن حبيب بن الاشرس قال : كان سيل أم نهشل قبل ان يعمل عمر الردم بأعلى مكة فاحتمل المقام من مكانه فلم يدر أين موضعه ، فلما قدم عمر بن الخطاب سأل من يعلم موضعه ، فقال عبد المطلب بن ابي وداعة : أنا يا أمير المؤمنين قد كنت قدرته وذرعته بمقاط (وهو حبل شديد الفتل) وتخوفت عليه هذا ، من الحجر اليه ، ومن الركن اليه ، ومن وجه الكعبة . فقال — عمر — ائت به ، فجاء به فوضعه في موضعه هذا ، وعمل عمر الردم عند ذلك . قال سفيان : فذلك الذي حدثنا هشام بن عروة عن ابيه أن المقام كان عند سقع البيت ، فأما موضعه الذي هو موضعه فموضعه الآن ، واما ما يقول الناس أنه كان هنالك موضعه فلا .

وهذه رواية الازرقي هي غير الرواية الاولى التي ذكرتها في زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمسجد الحرام المتقدم ذكرها. واخرج ابن سعد عن مجاهد أنه قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لعلم بموضع المقام حيث كان ؟ فقال أبو وداعة بن صبيرة السهمي عندي يا أمير المؤمنين قدرته الى الباب ، وقدرته الى الركن الحجر وقدرته الى الركن الاسود ، وقدرته : فقال عمر هاته ، فأخذه عمر فرده الى موضعه اليوم للمقدار الذي جاء به أبو وداعة . انتهى وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة رضى الله عنها : ان المقام كان في زمن رسول الله ﷺ وزمان أبي بكر ملصقا بالبيت ، ثم أخره عمر بن الخطاب .

وروي الازرقي عن ابن أبي مليكة : أن موضع المقام الآن هو موضعه في الجاهلية ، وفي عهد النبي ﷺ ، والخليفتين بعده الى ان السيل — يعني سيل أم نهشل الذي دخل المسجد الحرام سنة ١٧ وذهب به الى أسفل مكة في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما تقدم — ذهب به في خلافة عمر رضى الله عنه فجعل في وجه الكعبة حتى قدم عمر فرده الى مكانه بمحضر من الصحابة .

ونقل المحب الطبري عن الامام مالك رضى الله عنه في المدونة أنه قال : كان المقام في عهد ابراهيم عليه السلام في مكانه اليوم ، وكان اهل

الجاهلية الصقوه بالبيت خيفة السيل فكان كذلك فى عهد النبي ﷺ وابى بكر فلما ولى عمر رده اه.

قال التقى الفاسي بعدما ذكر رواية مالك :وهذا يخالف قول الازرقى وحديث جابر الصحيح . ثم اورد الفاسي شيئا مما ذكر فى المقام من الاخبار المتعارضة فى الموضع الذى كان فيه زمن ابراهيم الخليل ﷺ هل هو هذا الذى فيه الى اليوم ، ام كان ملاصقا للكعبة المعظمة ، ثم قال : وموضع المقام الآن هو موضعه فى عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف اعلمه فى ذلك ،واما الخلاف فى موضعه اليوم هل هو موضعه فى زمن النبي ﷺ كما ذكره ابن ابى مليكة ، اولا كما قاله مالك .

وروى السنجارى فى كتابه منايح الكرم عن الامام النووى انه قال هذا الموضع الذى فيه المقام اليوم هو الموضع الذى كان فيه فى الجاهليه، وفى زمن رسول الله ﷺ وبعده الى عصرنا لم يتغير ، الا انه جاء السيل زمن عمر رضى الله عنه — وذكر القصة المتقدمة — ثم قال : وهو الآن فى موضعه الذى كان فيه .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى ، وكان المقام من عهد إبراهيم ﷺ لزق البيت الى أن أخره عمر رضي الله عنه الى المكان الذى هو فيه الآن ، أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن عطاء وغيره وعن مجاهد أيضا ، وقد أخرج ابن ابى حاتم بسند صحيح عن ابن عيينة قال :

كان المقام في سقع البيت في عهد رسول الله ﷺ فحوله عمر فجاء سيل فذهب بهِ فرده عمر اليه ، قال سفيان لا أدرى أ كان لاصقا بالبيت أم لا . قال الحافظ ابن حجر بعد ذكر ما تقدم : ولم ينكر الصحابة فعل عمر ، ولا من جاء بعدهم فصار اجماعا ، وكان عمر رأى ان بقاءه يلزم منه التضييق على الطائفين والمصلين فوضعه في مكان يرتفع به الحرج ، وتهيأ له ذلك لانه الذى كان أشار باتخاذه مصلى .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في تفسيره : وقد كان هذا المقام ملصقا بجدار الكعبة قديما ، ومكانه معروف اليوم الى جانب الباب مما يلى الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك ، وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه الى جدار الكعبة أو انه انتهى عنده البناء فتركه هناك ، ولهذا والله أعلم أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف ، وناسب أن يكون عند مقام ، ابراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه ، وانما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحد الائمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم وهو أحد الرجلين الذين قال فيهما رسول الله ﷺ «اقتدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر» وهو الذي نزل القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ، ولهذا لم ينكر ذلك أحد من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين انتهى .

وذكر العمري في مسالك الابصار أن موضع المقام كان في موضع الخلوق (أي الحفرة الملاصقة للكعبة المعظمة) ثم قال : وصلى النبي ﷺ عنده حين فرغ من طوافه ركعتين وأنزل الله تعالى عليه ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ ثم نقله ﷺ الى الموضع الذي هو فيه الآن وذلك على عشرين ذراعا، من الكعبة لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كثر الناس وليدور الصف حول الكعبة ويرى الامام من وجهه، ثم حمله السيل في أيام عمر وأخرجه من المسجد فأمر عمر برده الى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ .

هذا ماذكره الحافظ ابن حجر، والحافظ ابن كثير والعمري عن موضع مقام ابراهيم الخليل ﷺ انه كان لاصقا بجدار الكعبة، وذلك خلاف ماذكره السنجاري عن النووي وذكره التقي الفاسي في شفاء الغرام حيث قد جزم أن موضع المقام كان من عهد ابراهيم الخليل ﷺ هو الموضع الذي وضعه فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من غير خلاف يعلمه، وقد بين الحافظ ابن حجر أن الخلاف كان من عطاء، ومجاهد وابن عيينة، في عدة مواضع في فتح الباري، فأورد رواية الازرقي المتقدمة في توسيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسجد الحرام وصححها وهي صريحة بأن موضع المقام هو الموضع الذي فيه الى وقتنا الحالي من عهد ابراهيم الى اليوم، وذلك جريا على عادته في تصحيح الرواية،

وجرحها ، ثم بعد ذلك صرح برأيه المتقدم الذى هو مخالف لرأى التقى الفاسى ، وموافق لرأى الحافظ ابن كثير ، ومخالف أيضا لرأي الامام النووى . وكل ماتقدم مروى عن بعض الصحابة ، والتابعين ، ولم يرفع أحدمنهم شيئا من هذه الروايات الى النبي ﷺ بتعيين موضع المقام فى عهد ابراهيم الخليل ﷺ أو بعده الى العصر النبوي ، فهذا هو الذي أوجب الخلاف فى ذلك ، وكل من روى عنهم الخلاف هم من الائمة الاعلام الموثوقين وهذا الذى جعلنا نقف عن ترجيح أحدى الروايتين عن الاخرى

قال السنجاري : وحكى ابن عتبة مايوافق كلام مالك الا انه قال فأخره رسول الله ﷺ ، ووافقه ابن عروبة فى الاوائل ، وذكر الفاكهى خبراً يقتضى أن الولاة أخروه — يعنى المقام — وكان الى جانب الكعبة وذكر ابن سراقة مانصه : انما بين الباب يعنى باب الكعبة ، ومصلى آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة أرجح من تسعة أذرع ، وهناك كان موضع مقام ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وصلى (النبي) ﷺ عنده حين فرغ من طوافه ركعتين وأنزل عليه ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ثم نقله ﷺ الى الموضع الذى هو فيه الآن وذلك على عشرين ذراعا من الكعبة لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه ، ثم ذهب به السيل فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أسفل مكة فأتى به وأمر سيدنا عمر رضي الله عنه برده الى الموضع

الذى وضعه فيه رسول الله ﷺ ، فتحصل فيمن وضعه فى موضعه الآن ثلاثة أقوال والله أعلم .

ثم روى السنجارى أيضا عن التقي الفاسى أنه قال بعد كلام طويل :
وعلى مقتضى ما قيل من ان موضعه الآن محاذ موضعه عند الكعبة يكون موضعه عند الكعبة في مقدار نصف الحفرة التى تلى الحجر . ثم روى السنجار عن ابن جبير انه ذكر في رحلته ماية تضى انه الحفرة للرخمة التى عند باب الكعبة فى وجهها علامة موضع المقام فى عهد ابراهيم الى أن صرفه رسول الله ﷺ الى الموضع الذى هو فيه الآن .
قال الفاسى : وفى قول ابن جبير هذا نظر لأن موضع المقام الآن هو موضعه فى عهد الخليل عليه الصلاة والسلام بلا خلاف أعلمه فى ذلك وانما الخلاف فى موضعه الآن أهو موضعه زمن النبي ﷺ كما ذكره ابن أبى مليكة أولا ، كما قاله مالك . قال السنجارى : وفى موضع المقام فى محله خمسة أقوال ذكرها العلامة ابن الجزرى الشافعى فى مؤلف أفرده بذكر المقام ، الأول : أن عمر اول من أمر — يعنى بنقله الى هذا الموضع — الثانى : ان المقام كان فى زمن ابراهيم عليه السلام بمكانه اليوم ثم نقل فى الجاهلية فالصق بالبيت وبقى كذلك زمن النبي ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه الى زمن عمر رضى الله عنه حتى رده الى هذا الموضع . الثالث : أنه الناقل له النبي ﷺ من عند البيت الى هذا الموضع . لرابع : أن عمر

نقل المقام اولا الى موضعه فلما أخذه السيل اعاده بعد سؤاله عن موضعه
الخامس : أن المقام كان فى موضعه هذا زمن ابراهيم وهو على ذلك الى
سيل أم نهشل فأعاده عمر الى محله الذى كان فيه ، وأطال فى الاستدلال
لكل وجه .

هذا حاصل ما ذكره العلماء في موضع المقام ملخصا منذ عهد ابراهيم الخليل ﷺ الى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتحصل من عموم ما ورد فى ذلك خمسة اقوال ، وسبب ذلك هو كما ذكرنا فى هذا الباب لأجل انه لم يأت خبر مرفوع عن الصادق المصدوق الذى لاينطق عن الهوى ﷺ صريح فى ذلك يعلم منه موضع المقام من عهد ابراهيم الخليل ﷺ الى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، والذى لاخلاف فيه بين عموم الروايات المتقدمة هو أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وضع المقام فى هذا الموضع الذى هو فيه لحد الآن، والذي يترجح من عموم الروايات المتقدمة أيضا هى رواية الازرقى الواردة فى خبر زيادة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه المسجد الحرام سنة ١٧ التى فيها كان سبب مجيئه الى مكة هو إجتراف سيل أم نهشل المقام ، حيث ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقتفى أثر النبى ﷺ وأثر أبى بكر الصديق رضي الله عنه في كل شيء ، وكان يسأل اخوانه من الصحابة عن اعمال النبي ﷺ وافعاله ، وكان لايقدم على عمل حتى يستشير

فيه كبار الصحابة ، والادلة على ذلك كثيرة منها ما تقدم فى تاريخ الكعبة المعظمة انه دخل عمر الكعبة المعظمة مرة فى خلافته واراد ان يأخذ كنز الكعبة ويضعه فى بيت مال المسلمين ،او ينفقه فى سبيل الله ،فقال له شيبة ابن عثمان الحجبي رضى الله عنه : ان صاحباك لم يفعلا . يعنى رسول الله ﷺ وابا بكر الصديق رضى الله عنه، فقال عمر : هما المرآن اقتدى بهما. فترك كنز الكعبة ولم يقدم على اخذه ، وكان ذلك منه متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فما بالك بتحويل المقام عن موضعه الذى كان عليه زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل فيه قوله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾ وصلى خلفه رسول الله ﷺ وكان فى نزول الآية الشريفة موافقة لما قاله عمر رضى الله عنه للنبي ﷺ : لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى . وفيها كرامة لعمر رضى الله عنه ومنقبة له ، فهل والحالة هذه يعقل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يجرأ على تغيير موضع المقام ونقله من موضع الى آخر ويقدم على مخالفة أمر الله تعالى باتخاذ الصلاة فى مقام ابراهيم أى خلفه فى الموضع الذى هو فيه ، وينقله الى موضع لم ينزل فيه القرآن وقد صلى رسول الله ﷺ خلفه بعد نزول القرآن في موضعه الذى كان فيه ، وقد شاهد كل ذلك عمر رضى الله عنه ، وقد ناشد الناس بالله عن موضعه لما نقله السيل ليتثبت زيادة عما يعلم من موضعه الذي كان فيه فى عهد رسول الله ﷺ

كل ذلك حرصا على معرفة موضعه الذي نزل فيه القرآن وصلى فيه رسول الله ﷺ كما حدثنا الازرقي انه لما بلغ امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان سيل ام نهشل اخذ المقام والقاه في اسفل مكة واهتم لذلك وتوجه من المدينة مسرعا حتى اتى مكة وسأل عن موضع المقام فأخبر عن موضعه، فوضعه في محله، وكانت مكة يومئذ ملآنة بخيار المسلمين من الصحابة والتابعين وجلهم يعرف موضع المقام حق المعرفة ، ولم يحدثنا التأريخ بأن احداً منهم خالف عمر بن الخطاب في موضع المقام في كونه وضعه في غير موضعه الذي كان عليه زمن رسول الله ﷺ . فهذا الذي يجعلنا نرجح هذه الرواية عن غيرها ، وقد صححها امام الجرح والتعديل الحافظ الحجة خاتمة المحققين احمد بن حجر العسقلاني في الجزء الاول من كتابه فتح الباري واليك ما قاله حرفيا : وقد روي الازرقي في اخبار مكة باسناد صحيح ان المقام في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر في الموضع الذي هو فيه الآن حتى جاء سيل في خلافة عمر فاحتمله حتى وجد بأسفل مكة فاتى به فربط الى أستار الكعبة حتى قدم عمر فاستثبت في أمره حتى تحقق موضعه الاول فأعاده اليه وبنى حوله فاستقر ثَمَّ الى الآن انتهى.

وجزم بها الامام النووي والتقي الفاسي وغيرهم كما تقدم بيانه والله أعلم .

وأما صفة حجر المقام ، ومقاسه . فهو حجر رخو من نوع حجر الماء ولم يكن من الحجر الصوان ، وهو مربع على وجه الاجمال، ومساحته ذراع يد

في ذراع يد، طولا، وعرضا، وارتفاعا، أو نحو خمسين سنتمتر في مثلها طولا، وعرضا، وارتفاعا، وفي وسط أثر قدمى ابراهيم الخليل ﷺ وهي حفرتان على شكل بيضوي مستطيل قد حفرهما الناس بمسح الايدى ووضع ماء زمزم فيهما مرات عديدة، فنتج من كثرة مرور الايدى فى أثر القدمين واستبدل موضعهما حفرتان كما دل على ذلك الروايات المتقدمة في أول الباب. وقد رأيت حجر المقام بعيني سنة ١٣٣٢ بصحبة المرحوم صاحب الفضيلة رئيس السدنة في تلك السنة الشيخ محمد صالح بن احمد ابن محمد الشيبي فوجدته مصفحا بالفضة وهو موضوع على قاعدة، وشكله مربع كما وصفته، ولونه بين البياض، والسواد، والصفرة، ورأيت أثر القدمين. وهنا أذكر زيادة على ما تقدم ما ورد في أثر القدمين من الاخبار والروايات، فروى الحافظ ابن حجر العسقلاني فى فتح البارى عن ابن الجوزى انه قال: وان أثر قدميه — يعني ابراهيم الخليل ﷺ — في المقام كرقم البانى، ولم تزل آثار قدمي ابراهيم حاضرة في المقام معروفة عند أهل مكة حتى قال أبو طالب في قصيدته المشهورة.

وموطىء ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وفي موطأ ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: رأيت المقام فيه أصابع ابراهيم وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم وأخرج الطبرى في تفسيره عن قتادة في هذه الآية ﴿ واتخذوا من مقام

لابراهيم مصلى) أنه قال : انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه قال : ولقد ذكرلنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيها فما زالوا يمسحونه حتى اخلولق وانمحى .

وقد وصفه ابن جبير الاندلسي في رحلته وكان قد حج سنة ٥٧٨ فقال : وهذا المقام الكريم الذي داخل هذا القبو هو مقام ابراهيم ﷺ وهو حجر مغشى بالفضة ، وارتفاعه مقدار ثلاثة اشبار ، وسعته مقدار شبرين ، وأعلاه أوسع من أسفله ، وأثر القدمين واثر الاصابع بين. ثم قال للموضع المقام قبة مصنوعة من حديد موضوعة الى جانب قبة زمزم ، فاذا كان في أشهر الحج وكثر الناس رفعت القبة الخشب ووضعت قبة الحديد.

وروى التقي الفاسي في شفاء الغرام عن القاضي عز الدين ابن جماعة انه قال : حررت لما كنت مجاورا بمكة سنة ٧٥٣ مقدار ارتفاع المقام عن الارض فكان سبعة اثمان الذراع ، وأعلى المقام مربع من كل جهة ثلاثة أرباع الذراع ، وموضع غوص القدمين ملبس بالفضة وعمقه من فوق الفضة سبعة قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش المستعمل في مصر .

والذراع المذكور هو عبارة عن (٥٦½) سنتم وذراع اليد يتراوح من ٤٦ الى ٥٠ سنتم ، وهذا القياس يطابق ماذكرته فيما تقدم عن قياس حجر المقام المذكور .

وأما بعد المسافة التي بين المقام وبين الكعبة المعظمة فقد ذكرها غير واحد من العلماء ، قال الازرقي في تاريخه : وذرع ما بين الركن الاسود الى مقام ابراهيم عليه السلام تسعة وعشرون ذراعا ، وتسعة أصابع ، وما بين شاذروان الكعبة الى المقام ستة وعشرون ذراعا ونصف ، ومن الركن الشامي الى المقام ثمانية وعشرون ذراعا وسبعة عشر اصبعا ، ومن المقام الى طرف بئر زمزم أربعة وعشرون ذراعا ، وعشرون اصبعا .

وروى التقي الفاسي عن القاضي عز الدين ابن جماعة أنه قال : ومن صدر الشباك الذي داخله المقام الى شاذروان الكعبة عشرون ذراعا وثلثا ذراع وثمن ذراع بالذراع الحديدي المتقدم ذكره انتهى .

قال التقي الفاسي : وقد حررنا بعض ما حرره الازرقي في هذا المعنى فكان ما بين ركن الكعبة الذي فيه الحجر الاسود وبين الركن اليماني من أركان الصندوق الذي فيه المقام من داخل الشباك الذي فيه الصندوق أربعة وعشرون ذراعا الا سدس ذراع ، وكان ذرع ما بين وسط جدر الكعبة المشرفة الشرقي الى وسط الصندوق المقابل له اثنين وعشرين ذراعا الا ربع ذراع ، وكان ما بين ركن الكعبة الشامي الذي يلي حجر اسماعيل وركن الصندوق الشامي ثلاثة وعشرين ذراعا ، وكان ما بين ركن الصندوق الشرقي الى ركن البيت الذي فيه بئر زمزم المقابل له خمسة عشر ذراعا الا ثلث ذراع ، وكل ذلك بالذراع الحديد المتقدم ذكره .

وقال ابن عبدربه الاندلسى فى كتابه العقد الفريد : والمقام بشرقى البيت على سبعة وعشرين ذراعا منه وجدر المصلى خلفه مستقبل البيت الى الغرب ، والركن العراقى على يمينه ، والباب والركن الاسود على يساره ، وهو فيما ذكر من رآه حجر مربوع يكون ذراعا فى ذراع ، وفيه أثر قدم ابراهيم عليه السلام ، وطول القدم مثل عظم الذراع ، والحجر موضوع على منبر لئلا يمر به السيل فاذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقب لئلا تناله الايدى انتهى .

هذا حاصل ماذكره الأعلام من مفسرين ، ومحدثين وشراح الحديث ومؤرخين ، وفقهاء ، وغيرهم فى صفة حجر المقام ومقاسه ، وبيان بعد ما بينه وبين الكعبة المعظمة بالذراع الحديد ، وذراع اليد ، ومابينه وبين بئر زمزم فكل واحد منهم ذرعه ، وذرع المسافة بحسب ماتيسر له من الاقيسة ، فكان الازرقي قد قاسه وقاس المسافة بذارع اليد ، والقاضى عز الدين بن جماعة ، والتقي الفاسي قاساه بذراع الحديد المستعمل فى مصر وقد ذكر هذا الذراع مرارا وأنه قدر بـ(٥٦½) سنتم ، وذرعه ابن عبدربه ولم يبين نوع الذراع الذى ذرع به ، غير انه علم أنه ذراع اليد . وكان هؤلاء الذين نقلت عنهم ماتقدم أحدهم مكى ، والثانى مصرى ، والآخر أندلسى ولكل اقليم من هذه الاقاليم ذراع مخصوص مصطلح عليه ، مع أنه اذا نظرنا الى عموم المقاسات فلم نجد هنا خلافا الا فى مبتدأ الذرع ومنتهاه ، لان بعضهم

ا المؤمنين المعتمدة العباسي ، وحمل المقام بعد لصقه وتركيب الحلية عليه وشده الى موضعه ، وكان ذلك فى يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ٢٥٦

قال الفاسي فى شفاء الغرام وهذا ملخص ماذكره الفاكهي .

قال الفاسي : المقام الآن تحت قبة عالية من خشب ثابتة قائمة على أربعة أعمدة دقيقة من حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد بين كل عمودين شباك ، ومن الجهة الشرقية يدخل الى المقام ، والقبة منقوشة مزخرفة من باطنها بالذهب . ومما يلى السماء مبيضة بالنورة ، واما المصلى الذى هو خلف المقام الآن فعليه ظلة قائمة على أربعة أعمدة منها عمودان عليها القبة اذ هى متصلة بالقبة ، والظلة مزخرف سقفها من الباطن بالذهب ومبيض من أعلاه بالنورة ، وأحدث وقت صنع فيه ذلك شهر رجب سنة ٨١٠ واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه بسبب هذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر مكتوب فى الشباك الشرقى بسبب عمارته له سنة ٧٢٨ — ثم قال التقي الفاسي: ومقام ابراهيم ﷺ بين الشبابيك الاربعة الحديدية فى قبة من حديد ثابتة فى الارض، ومحيط بالمقام قبة من حديد مثبتة أيضا فى الارض برصاص مصبوب بحيث لا يستطيع قلع القبة الحديد التى فوقه الا بالمعاول وشبهها ولعل هذه القبة الحديدية هى التى كانت توضع فوقه عند قدوم الحاج الى مكة صونا له لكونها اشد تحملا للازدحام والاستلام على ما ذكره

ابن جبير فى رحلته سنة ٥٧٩ وقد ذكر ما يدل على ان المقام غير ثابت وانه يوضع ويرفع يجعل تارة فى الكعبة فى البيت الذى فيه الدرجة التى يصعد منها الى سطح الكعبة ، ويجعل أيضا تارة فى موضعه الآن فى قبة من خشب ، فاذا كان الموسم قلعت قبة الخشب وجعلت عليه القبة الحديد. قال الفاسى وما عرفت متى جعل المقام ثابتا فى القبة على صفته التى هو عليها الآن ، واما القبة التى فوق القبة الحديدية التى فى جوفها المقام فاظن أن الملك المسعود صاحب اليمن ومكة أول من بناها .

وقد جددت قبة المقام فى سنة ٩٠٠ وفى سنة ٩١٥ قام بتعمير المقام الخواجة محمد بن عباد الله الرومى فكشف الدهان الذى بعلو المقام والساباط المتصل به وأعيد جديداً ، ثم جعل فى القبة ذهب كثير، وكذلك فى أساطين المقام وخشبه المؤخر وغير الاخشاب التى فى الدرابزين قال الشيخ عبد الكريم القطبى فى مختصر الاعلام انه ورد فى موسم سنة ألف الشيخ علي الخلوتى بأمر شريف سلطانى يتضمن أن سقف مقام ابراهيم الخليل قد اكلته الارضة ، وانه يحتاج الى إصلاح ، فلما كشف السقف المزبور شاهدوا أن الارضة قد أكلت غالبه ، وأن المتعين تغيير جميعه وانما لم يغير سقط ، فغير جميعه بخشب الساج بشكل يفوق حسناً من الاول ،فشرع فى العمل المذكور فى جمادى الآخرة سنة ١٠٠١ وتم العمل فى السنة المذكورة .

وروى السنجارى أن المقام عمر فى سنة ١٠٤٩ بأمر السلطان مراد بن أحمد خان ، ونقش قبة المقام بالذهب وأنواع الاصبغة سليمان بك والى جدة ومكة على نفقة الاغا محمد كزلار السلطان محمد بن ابراهيم خان وذلك سنة ١٠٧٢ وقال وجدد رفرف المقام محمد بك سنة ١٠٩٩ لخلل وقع فيه هذا ما رواه السنجارى . وجاء فى اتحاف فضلاء الزمن انه فى سنة ١١١٢ عمر ابراهيم بك المقام فغير جميع المقام نقضه وجدده وبنى حول حجر المقام بالحجر الرخام والنورة ، وجدد ما كان محتويا على موضع قدم ابراهيم ﷺ بالفضة المطلية بالذهب ، وصب الرصاص بين الفضة والحجر حتى احكموا الفضة وشدوا أحجار القدم ، وغيروا القبة بأخشاب الساج ورمموا الفضة التى كانت ملبسة على القبة وسدد بأنواع الدهان وأوراق الذهب ، وفى ١٥ ذى القعدة سنة ١١٤٣ غير المعمار محمد افندى صندوق حجر المقام وأبدله بخشب غير القديم وجلا صفائحه الأولى ثم أعاده . وذكر أيضا أن السلطان عبد العزيز العثمانى زاد فى ارتفاع قبة المقام نحو ذراع ونصف لأنه قبل هذه العمارة كان السقف على قدر الشبابيك التى بين الأعمدة فزادوا فوق الأعمدة قطعا من من خشب وركبوا عليها السقف لأنه قبل هذه العمارة كان بعض الطائفين اذا طاف وكان طويلا ربما اندق رأسه فى القناديل فى رفرف المقام فزادوا فى ارتفاع الرفوف اهـ :

ومكتوب على الجهة الشرقية من مقام ابراهيم ﷺ فوق باب القبة بين الشباك الحديد والرفرف الذى بينه وبين القبة ﴿ قال الله تبارك وتعالى وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم ﴾ وكتب على الجهة الجنوبية منه فوق الشباك ﴿وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ ﴿ وقال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً، صدق الله ﴾ وكتب من الجهة الغربية التي أمام الكعبة (أمر بتجديد هذا المقام العظيم سيدنا ومولانا السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان) وعلى الجهة الشمالية (ابن السلطان محمود خان بن السلطان مرادخان بن السلطان محمد خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أرخان بن السلطان عثمان خان) وقد كتب على الأربعة العمد التي على جوانبها الشبابيك الحديد وفوقها القبة تاريخ باسم السلطان الغورى سنة ٩٠٠ وغيره . وقد جاء فى مرآة الحرمين مايخالف ماذكرته من الكتابة فى الجهات الأربع لكونه لم يذكر أولا ماهو مكتوب على باب المقام من الجهة الشرقية ، كما انه ذكر أنه مكتوب على الجهة الجنوبية باعلى القبة (أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير الى الله تعالى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الاشرف أبو النصر قانصوه الغوري

عز نصره فى (١٥ شهر رجب الفرد سنة ٩٠٠) مع ان هذه العبارة مكتوبة على العمود الجنوبى الغربى من الاعمدة الاربعة المقام عليها بيت المقام، ولم تكن تلك العبارة مكتوبة على القبة، وأما ماذكره من الكتابات التي على الجهة الغربية والشمالية فهو صحيح الا انه اختصرها عن أصلها.

وقد جرت العادة من زمن سلاطين آل عثمان من حين قاموا بعمل كسوة الكعبة المعظمة يكسون مقام ابراهيم الخليل ﷺ بكسوة سوداء مطرزة باسلاك الفضـة المموهة بالذهب على شكل ستارة باب الكعبة والحزام، وتوضع هذه الكسوة على التابوت الخشبي الذى هو داخل الشباك الحديد فوق حجر المقام، ومكتوب عليها من الجهات الأربعـة بالتطريز مبتدءه من باب المقام فى السطر الاول.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإذْ جعلنا البيتَ مثابَةً للناسِ واتخذُوا من مقامِ ابراهيمَ مصلى وعهدنا إلى ابراهيمَ وإسماعيلَ أنْ طهرا بيتيَ للطائفين والعاكفينَ والركعِ السجودِ ﴾ * ومكتوب فى السطر الثانى *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وإذْ قالَ ابراهيمُ ربِ ارنِى كيفَ تحيِي الموتىَ قال أولمْ تؤمنُ قال بلىَ ولكن ليطمئنَّ قلبِي، قال فخذْ أربعةً مِنْ الطيرِ فصرهنَّ إليك ثُم اجعلْ على كل جبلٍ مِن هنَّ جزأً ثم ادعهنَّ يأتينكَ سعياً، واعلمْ أن الله عزيزٌ حكيمٌ، صدق الله ربنا وخالقنا العزيز الرحيم ﴾

* ومكتوب فى السطر الثالث *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن أولَ بيتٍ وضعَ للناس للذى ببكةَ مباركاً وهديً للعالمينَ فيهِ آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ ومنْ دخله كانَ آمناً ولله على الناسِ حجُ البيتِ من استطاعَ إليهِ سبيلاً ومن كفرَ فإن اللهَ غنيٌ عن العالمين ﴾

* ومكتوب فى السطر الرابع *

﴿ ألله جلَّ جلالُهُ . محمد ﷺ . ابو بكر رضى الله عنه . عمر رضى الله عنه . عثمان رضى الله عنه . على رضى الله عنه . حسن رضى الله عنه . حسين رضى الله عنه) * ومكتوب فى السطر الخامس *

بسم الله الرحمن الرحيم

قلْ كل يَعملُ علىَ شاكلته فربكمْ أعلمُ بمنْ هوأهدىَ سبيلاً .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * هوَ الَّذِي أرْسلَ رَسولهُ بِالْهُدَى ودِينِ الْحقْ ليظهرهُ على الدين كلهِ وكفى بالله شهيداً ﴾ ثم إسم الملك أو السلطان الذى أمر بعمل تلك الكسوة .

هذا ما كان من أمر كسوة مقام ابراهيم وكان فيما سبق زمن الدولة العثمانية تأتى هذه الكسوة سنويا مع كسوة الكعبة المعظمة من مصر وأحيانا فى كل خمس سنين مرة ، وقدمضى على هذه الكسوة الموجودة لآن ، نحو عشرين سنة لم تتغير لحد الآن ولم أقف على سبب ذلك .

وقد أتيت هنا بكل ما يتعلق بمقام إبراهيم الخليل ﷺ حسبما وقفت عليه مما ذكره المفسرون، وعلماء الحديث، والتاريخ، والفقهاء، وغيرهم من أصله، ووصفه، وشكله، ومقاسه، وقبته، وموضعه، والصلاة خلفه، وعموم ما طرأ عليه من نقل وارجاع وإصلاح وتضبيب وما قيل في أثر قدمي إبراهيم الخليل ﷺ وغير ذلك، كي يقف القارئ على كل ذلك مفصلا، ويعلم أنه في حالته الحاضرة مطابق لكل ما تقدم ذكره وقد عرفه كثير من العلماء المتقدمون والمتأخرون واطلعوا على شكله ووصفوه وصفا دقيقا، وأصبح معلوما عند أكثر الناس لأن مقام إبراهيم ﷺ مذكور في عموم كتب الاسلام وقل كتاب أن يخلو من ذكره فتجده في القرآن المجيد، وفي كتب السنة، والفقه، واللغة، والتاريخ، ومن المدهش المستغرب أن حضرة محمد لبيب بك البتنوني مؤلف الرحلة الحجازية للخديوي السابق عباس حلمي باشا في حجه سنة ١٣٢٧ هجرية قد خفي عليه تاريخ مقام إبراهيم كما خفي عليه حالة المقام الحاضرة، مع أنه قد تصدى في الرحلة الحجازية لذكر مكة المكرمة والمسجد الحرام وما احتويا عليه من آثار وفضائل وغير ذلك، واليك ما ذكره في مقام إبراهيم الخليل ﷺ في الرحلة الحجازية من الطبعة الثانية صحيفة ١٢٥ (هو قبة قامت على أربعة أعمدة وأحاطت بها مقصورة نحاسية مربعة يبلغ طول كل ضلع منها نحو متر وستين سنتمترا، وهي على آخر المطاف تجاه باب الكعبة، وفي داخلها الحجر الذي كان يقف

عليه ابراهيم حال بناء الكعبة ، وبه أثر يقال أنه أثر قدميه، وذكر أن أثر قدمى ابراهيم فى هذا الحجر انما كان باستناده عليه عند زيارته لمكة بعد بناء الكعبة ، وكان هذا الحجر قبل الاسلام موضوعا بالمعجن الى جوار الكعبة ثم أبعد عنها بعد الفتح حتى لا يكون هنا أثر للوثنية بالمرة ودفن بمكانه الحالى وبنى عليه فيما بعد القبة الحالية، ويقولون ان تحته آلة البناء التى كان يعمل بها ابراهيم فى الكعبة . ثم قال: وربما أخذ العرب قبل الاسلام هذا الاثر من أثر القدم الذى بقبة الصعود بجبل الزيتون بالقدس الشريف ويزعم النصارى أنه لعيسى عليه السلام ، وهم يقدسونه ويحترمونه ، ومن ذلك أتى احترام المسلمين لآثار تلك الاقدام . ثم ذكر الاقدام التى فى قبة السيد البدوى ، وفى جامع المؤيد ، وغيرهما ثم قال : وعليه فلابد أن تكون فكرة تلك الاقدام أخذتها العرب عن اليهود ، أو الهنود ، ان لم يكونوا أخذوها عن المسيحيين وبقى أثرها فى المسلمين الى الآن .

هذا ما قاله البتنونى فى الرحلة الحجازية عن مقام ابراهيم الخليل ﷺ ويتضح من كل ذلك أن البتنونى من أبعد الناس عن معرفة التاريخ الاسلامى والقاعدة الدينية الاسلامية ، فى المعتقدات حيث ان الدين الاسلامى فى عقائده وتشريعه لم يكن مقلداً للوثنية ، ولا لليهودية ، ولا للنصرانية ، وانما هو دين جاء بعقائد صحيحة معقولة تنطبق على الحالة الاجتماعية كل الانطباق كما أن الدين الاسلامى جاء هادماً لعموم الاديان من وثنية ويهودية ونصرانية

وكل ذلك موضح في كتبه ومعلوم عند كل من له اطلاع على كتب الاسلام وأما عدم معرفته بحقيقة مقام ابراهيم ﷺ من الوجهة التاريخية فهو لان المقام قد ذكره المفسرون ، وعلماء السنة ، والفقهاء ، والمؤرخون وغيرهم كما سبق تفصيله وقد تناقله الخلف عن السلف جيلا بعد جيل وعصراً بعد عصر الى العصر الحاضر ، وهو موجود بالذات نراه بالعين ونلمسه باليد . ولذلك قلنا انه لا يعلم شيئاً عن مقام ابراهيم ولا عن قواعد الدين الاسلامي والظاهر انه قد كتب عن المقام ما كتب وهو لم يره في حجه ، ولم يكترث لرؤيته ، وعدّه حديث خرافة ، وجزم ان هذا الأمر عمله المسلمون تقليداً للهنود ، واليهود ، والنصارى ، ولم يكن هو أثر ابراهيم ﷺ كما حققه جهابذة علماء الاسلام من عهد ابراهيم الخليل ﷺ الى العصر الحاضر ، وأنه يشبه الحجر الذي في القدس ، والحجر الذي في قبة السيد البدوي ، والحجر الذي في جامع الشيخ بمصر ، والحجر الذي في قبة الآثار النبوية في الاستانة ، وغيرها من الاحجار التي عدها ، وجزم ان مقام ابراهيم الخليل ﷺ من نوعها .

ومن أغرب ما ذكره البتنوني في ذلك (آلة البناء) التي كان يبني بها ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم الكعبة وانها دفنت تحت حجر المقام حين دفن معها ، ولا أدرى من أين نقل ذلك الخبر هل عن كتب الاسلام التي هي مصدر مقام ابراهيم ﷺ ؟ أو من كتب الاسرائيليين

أوانه استكشف ذلك بذاته ؟ أومن باب الحدس والتخمين ؟ حيث لم يعز هذا الخبر التاريخي المهم الى كتاب معلوم حتى يعلم ذلك الكتاب الذى نقل عنه تلك العبارة هل هو من الكتب المعتبرة التى يعول عليها فى نقل الاخبار ؛ أوهو من الكتب التى دونها القصاصون ؛ أومن الأخبار الاسرائيلية التى هى مما لا يعتمد عليها ؟ حيث أنه لا حقيقة ثابتة لوجود آلة البناء المذكورة فى كتب الاسلام لأن المقام قد نقل من موضعه عدة مرات واعيد الى موضعه ولم يذكر أحد ممن تصدى لاخبار المقام تلك العدة الذى ذكرها البتنونى ، ولم يدفن حجر المقام كما قاله البتنونى بل هو موجود وقد ذكره المرحوم ابراهيم رفعت باشا أمير الحج المصرى فى كتابه مرآت الحرمين ووصفه وصف عيان ، فقال فى الجزء الاول منه بصحيفة ٢٤٦ (وبداخل المقصورة من المطرف فوضع من ماء زمزم على أثر القدمين ربما منا فى حجتنا هذه سنة ١٣١٨ هجرية .

فكان من الواجب على البتنونى حين ما اقدم على تصنيف الرحلة الحجازية أن يثبت فيما ينقل ويدون ، لان المؤلف الثقة من دأبه تجنب الاخبار التى لاصحة لها ، وترك الظن والهواء والأخذ بالحقائق الهمنا الله الرشد فيما ننقل وندون ، وحفظنا من الخطأ والزلل .

-:-

بئر زمزم

جاء خبر بدء حفر بئر زمزم فى كثير من كتب الحديث والتاريخ وغيرهما واصحها ماجاء في صحيح البخارى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما انه قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ، ثم جاء بها ابراهيم وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر و سقاء فيه ماء ، ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت. يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولاشىء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت اليها فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا أني أسكنت من ذريتى بوادغير ذي زرع عند بيتك المحرم، حتى بلغ يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من الماء حتى اذا نفد مافى السقاء عطشت وعطش ابنها ، فجعلت تنظر اليه يتلوى ، أو قال يتلبط ، فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم

تر أحداً ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف ذرعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس قال النبي ﷺ « فذلك سعى الناس بينهما » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت (صه) تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث . فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ، أوقال بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا — أي تجمعه ؛ وفى حديث على فجعلت تحبس الماء فقال دعيه فانها رواء — وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ماتغرف . قال ابن عباس قال النبي ﷺ « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت ، أوقال لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا » قال فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فان هذا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه ، وان الله لا يضيع أهله .وكان البيت مرتفعاً من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم ، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً (وهو الذي يحوم على الماء) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء ، فأرسلوا جريا ، أوجريين — أي رسولا — فاذاهم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا ، قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل

عندك ؟ قالت: نعم ولكن لا حق لكم فى الماء : قالوا نعم . قال ابن عباس قال النبي ﷺ « فألفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس » فنزلوا انتهى حديث ابن عباس رضى الله عنهما من حديث زمزم . قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى صرح ابن عباس برفعه عن النبي ﷺ وفيه اشعار بأن جميع الحديث مرفوع انتهى .[1] يعنى أن جميع ما تقدم من الحديث هو من قول النبي ﷺ . وذكرنا كما يدل على ان ابراهيم ﷺ حفر بئر زمزم بعد أن نبعت العين . قال الفاسى فى شفاء الغرام : ولما أظهر الله ماء زمزم لاسماعيل حوضت عليه أمه هاجر خشية أن يفوتها قبل أن تملأ شنتها [illegible] ولو تركته لكان عينا تجرى على ما رويناه عن النبي ﷺ فى الصحيح ؛ وذكر خبراً عن [illegible] كما قال : كان بطن مكة ليس فيه ماء [illegible] فيه قرار حتى أنبط الله لاسماعيل زمزم فعمرت يومئذ مكة [illegible] جل [illegible] قبيلة من اليمن فقال لهاجرهم [illegible] الذى أنبطه الله تعالى لاسماعيل من غير [illegible] لم يكن [illegible] قال الفاسى : ولم يزل ماء زمزم ظاهراً ينتفع به سكان مكة الى أن استخفت جرهم بحرمة الكعبة والحرم فدرس موضعه ومرت عليه السنون [illegible] بعد عصر الى أن صار لا يعرف انتهى

(١) فتح البارى جزء ٦ صحيفة ٢٥٠

وذكر العمري في مسالك الأبصار شيأمما تقدم ثم قال : وقد ذكرنا طمْ الحارث بن مضاض إياها ، ولم تزل دارسة حتى أرى عبد المطلب أن احفر طيبة،فسميت طيبة لا نها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم وإسماعيل وقيل له احفر برة ، وقيل احفر المضمونة ضننت بها على الناس الا عليك ، وقيل لعبد المطلب في صفتها انها لا تنزف أبداً . وروى عن الحربي سميت زمزم بزمزمة الماء وهي صوته . وقال المسعودي سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها في الزمن الاول تزمزم عندها . والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء وقال البرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يسيح الماء يمينا وشمالا . ولو تركت لساحت على الارض حتى تملأ كل شيء . وقال السهيلي : كانت زمزم سقيا إسماعيل ابن ابراهيم فجرها له روح القدس بعقبه . وفي ذلك اشارة الى أنها لعقب إسماعيل وراثة وهو محمد ﷺ وأمته .

ثم الى كان زمن عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ حفر زمزم ولها قصة مشهورة وصارت بعد ذلك سقاية الحاج ، وهي واقعة شرق الكعبة ، محاذية للملتزم وبينها وبين الكعبة نحو أربعين ذراعا بذراع اليد ولا تزال تقل ... حتى كاد ينقطع وذلك لأن البئر أهملت وهدم كثير من جوانبها ، قال الفاكهي : فأخذ رجل من أهل الطائف يقال له محمد بن بشير يعمل فيها . قال الازرقي : انه خرب فيها تسعة أذرع

سحا فى الارض فى تقرير جوانبها ، وقد كان سالم بن الجراح قد ضرب فيها فى خلافة الرشيد أذرعا ، وكان قد ضرب فيها فى خلافة المهدي أيضا وكان عمر بن ماهان وهو على البريد والصوافي فى خلافة الامين محمد بن الرشيد قد ضرب فيها وكان ماؤها قد قل ، وقد صليت فى قعرها وفيه ثلاث عيون ، عين حذاء الركن الاسود ، وعين حذاء أبى قبيس والصفا وعين حذاء المروة ، قال وكان ذرع غورها من أعلاها الى أسفلها ٦٩ ذراعا منها ٤٠ ذراعاً مبنية و ٢٩ ذراعاً نقرا فى الجبل من اسفلها .

ومما يدل على وجود العيون الثلاثة التي ذكرها الازرقى فى قعر زمزم هو مارواه الدار قطني فى سننه عن ابن سيرين أن زنجيا وقع فى بئر زمزم فمات ، فأمر به ابن عباس فأخرج ، وأمر بها أن تنزح فغلبتهم عين جاءت من الركن ، فأمر بها فسدت بالقباطي والمطارف ونحوها حتى نزحوها فلما أن نزحوها انفجرت عليهم .

وأخرج الطحاوي فى شرح معانى الآثار ، وابن ابى شيبة باسناد صحيح عن عطاء : أن حبشيا وقع فى زمزم فمات ، فأمر عبدالله بن الزبير بنزح ماؤها فجعل الماء لا ينقطع ، فنظر فاذا عين تجرى من قبل الحجر الأسود ، فقال ابن الزبير حسبكم . وقال العمري فى مسالك الأبصار : وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاث أعين أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الاسود رواه الدار قطني .

فعلم مما تقدم أن بئر زمزم مستودع لثلاث عيون ، وهذه الرواية تدل على أن العين التي مجراها من قبل الحجر الأسود أقواها ، وقد اعتنى كثير من العلماء بذرع زمزم من علوها الى قاعها وسعتها وغير ذلك واليك ما جاء في ذلك .

قال الازرقي في تاريخه (أخبار مكة) : وذرع حنك زمزم في السماء ذراعان وشبر ، وذرع تدوير فم زمزم أحد عشر ذراعا ، وسعة فم زمزم ثلاثة أذرع وثلثا ذراع انتهى .

وروي ياقوت الحموي في معجم البلدان عن محمد بن أحمد الهمذاني انه قال : وكان ذرع زمزم من أعلاها الى أسفلها ستين ذراعا ، وفي قعرها ثلاث عيون ، عين حذاء الركن الاسود ، وأخرى حذاء أبي قبيس والصفا ، وأخرى حذاء المروة ؛ ثم قل ماؤها جداً حتى كانت تجم وذلك سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤ فحفر فيها محمد بن الضحاك ، وكان خليفة عمر بن فرج الرخجي على بريد مكة وأعمالها تسعة أذرع ، فزاد ماؤها واتسع ؛ ثم جاء الله بالأمطار والسيول في سنة ٢٢٥ فكثر ماؤها . ثم قال : وذرعها من رأسها الى الجبل المنقور فيه أحد عشر ذراعا ، وهو مطوى ؛ والباقي فهو منقور في الحجر وهو تسعة وعشرون ذراعا ، وذرع تدويرها أحد عشر ذراعا ، وسعة فمها ثلاثة أذرع وثلثا ذراع ؛ وعليها ميلا ساج مربع فيها اثنتا عشرة بكرة ليستقي عليها .

قال التقي الفاسي : وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضوري ارتفاع فم زمزم عن الارض وسعته ، وتدويره ، فكان ارتفاع فمها في السماء ذراعين الاربع ، وسعته أربعة أذرع ونصف ، وتدويره خمسة عشر ذراعا الا قيراطين ، كل ذلك بذراع الحديد المشار اليه .

وهنا يظهر للقارىء في ذرع زمزم وجود فرق بين الازرقي ، والهمذاني ، والتقي الفاسي ، وسبب ذلك أمران ، الأول اختلاف الاذرع التي قاسوا بها البئر ، والثاني بعد المسافة وطول الزمن الذي بينهم ، وهو عدة قرون ، وقد وقع في خلال تلك السنين حوادث وطوارق على البئر من طم ، وحفر ، وعمارة ، واصلاح ، وتغيير ، وتبديل ، وزيادة ، ونقصان فلذلك يقع الخلاف في ذرع زمزم حتما والله أعلم .

قال السيوطي في كتابه (الاوائل) : أول من عمل على زمزم شباكا ابو جعفر المنصور وهو الذي عمل الرخام على زمزم والشباك وفرش أرضها بالرخام . انتهى

وقال ياقوت الحموي في معجمه : أول من عمل الرخام عليها وفرش أرضها بالرخام المنصور ، ثم قال : وعلى زمزم قبة مبنية في وسط الحرم عند باب الطاف تجاه باب الكعبة .

وأما صفة الموضع الذي فيه بئر زمزم فقال ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد يصف بئر زمزم : وزمزم بشرق الركن الاسود

بينهما مثل الثلاثين ذراعا ، وهي بئر واسعة قتورهـا من حجر مطوق أعلاه بالخشب ، وسقفها قبو مزخرف بالفسيفساء على اربعة اركان تحت كل ركن منها عمودان من رخام متلاصقان قد سد مابين كل ركنين منها بشرحب خشب ورداى باب من جهة المشرق وحول القبو كله مثل البرطلة.

وقال التقي الفاسي : زمزم الآن داخل بيت مربع في جدرانه تسعة أحواض للماء تملأ من بئر زمزم ليتوضأ الناس منها ، الا واحداً منهامعطل وفي الحائط الذي يلي الكعبة شبابيك وهذا البيت مسقوف بالساج ماخلا الموضع الذي يحاذي بئرزمزم فانما عليه شباك خشب ، ولم أدر من عمل هذا الموضع على هذه الصفة وهي غير الصفة التي ذكرها الامام الازرقي.

فقد أوضح التقي الفاسي أن بناء بيت زمزم في عصره هو على غير الشكل الذي وصفه الازرقي ، ووصف الازرقي كان لعمارة أبي جعفر المنصور . فظهر من قول التقي الفاسي أنه قد جرت عمارة في بيت زمزم بعد عمارة أبي جعفر المنصور ولكنه صرح بأنه لا يعلم من الذي عملها وهذا ليس ببعيد فانه قد تولى الخلافة بعد أبي جعفر المنصور الى زمن التقي الفاسي كثير من الخلفاء ومعظمهم من العباسيين ، والعباسيون لهم ولع زائد ببئر زمزم لان السقاية كانت للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه جدهم وهي اعظم مفخرة لهم ، ولا بد والحالة ما وصفنا انه قام بعمارة بئر زمزم وبيت زمزم كثير منهم والله أعلم .

قال ابن جبير فى رحلته يصف قبة زمزم بالحالة التى كانت عليها فى عصره وذلك سنة ٥٧٨ هـ : وقبة زمزم تقابل الركن الأسود ومنها اليه أربعة وعشرين خطوة ، ومن ركنها الى مقام ابراهيم عشر خطوات ، وداخلها مفروش بالرخام الابيض الناصع البياض ، وتنور البئر فى وسطها مائل عن الوسط الى جهة الجدار الذي يقابل البيت المكرم ، وعمقها احدى عشرة قامة حسبما ذرعناه ، وعمق الماء سبع قامات ، وباب القبة ناظر الى الشرق ، وتنور بئر زمزم من الرخام قد ألصق بعضه ببعض الصاقا وأفرغ فى اثنائه الرصاص . وكذلك داخل التنور وحفت به من أعمدة الرصاص الملصقة اليه ابلاغا فى قوة لزه ورصه (٣٢) عمودا قد خرجت لها رؤس قابضة على حافة البئر دائرة بالتنور كله ، ودوره أربعون شبراً، وارتفاعه اربعة اشبار ونصف ، وغلظه شبر ونصف ، وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر وعمقها نحو شبرين ، وارتفاعها عن الارض خمسة أشبار ، تملأ ماء للوضوء ، وحولها مسطبة دائرة يرتفع الناس اليها ويتوضؤن عليها ، ولها أى القبة مطلع على درج من عود فى الجهة التى تقابل باب الصفا ، فى النصف الأعلى من قبة زمزم مسندقة من قريصة الخشبة عجيبة تأنق الصانع فيها واحدق بأعلاها شباك مشرجب من الخشب رائق الخلل والتفريج ، وداخل شباك قبة زمزم سطح شبه محل الصومعة وفى ذلك السطح يؤذن المؤذن الزمزمى .

وهذه الحالة التى ذكرها ابن جبير فى عصره لم يكن لها أثر في العصر الحالى وذلك لأجل ماوقع بعده من العمائر والتغيير والتبديل فى قبة زمزم ومظلة المؤذنين التى على زمزم . قال السنجارى : وفى سنة ٨١٨ عمرت مظلة المؤذنين التى فوق زمزم وكانت من خشب فبنيت بالحجر الصوان وفرغ منها فى رجب من العام المذكور . وقال التقي الفاسي : وكانت ظلة المؤذنين التى فوق البيت الذى فيه بئر زمزم قد خربت لأكل الأرضة لأساطينها الخشب فشدت الظلة المذكورة بأخشاب عنعها من السقوط وذلك سنة ٨٢١ فلما كان ٧ ربيع الأول سنة ٨٢٢ هدمت الظلة المذكورة وأزيل الخشب الذى كان تحتها والدرابزين الذى كان يطيف بها وبنى فوق الجدار الذى يلى الكعبة ومقام ابراهيم وباب الصفا أساطين بالآجر والنورة بعد أن زيد فى عرض الجدار المحاطة بالبئر من جهة الكعبة فراع بيد ، ومن جهة مقام ابراهيم كذلك ، وعمل فى الجدارين ثلاثة عقود وفيما بين كل عقد فى الجدار الذى يلى الكعبة أسطوانة دقيقة من رخام مشدودة بالرصاص وترك لها محلا خاليا من البنساء فى الجدر المذكور ، وأوسعوا فى الشبابيك التى فى هذين الجدرين ، وبنوا اعاليها بحجارة منحوتة كبار ، وزادوا فى عرض الجدر الشرقى من عتبة الباب الى أعلاه ، وبنوا فوق هذا الجدر أسطوانتين لشد الدرابزين الخشب المخروط ، وغيروا سقف البيت المذكور بخشب قوى ، وبنوا فوق الجدر الغربى ثلاثة أساطين

دقيقة بالآجر والنورة ، وبالجدر الشمالى اسطوانتين ، وكذلك بالجدر اليمانى ،ونصبوا أسطوانة من خشب بين الاسطوانتين تحاذى الاسطوانة الأولى الآجر ،وركبوا بين كل من الست الاساطين أخشابا ،وستروا جميع هذه الاخشاب بالواح من خشب مدهونا ، وجعلوا القسم الشرقي عاليامن السقف ، وجعلوا فوقه بدل السقف قبة من خشب مدهونة واتقنوا كل ذلك ، وجعلوا درابزين من الخشب يحيط بجميع بيت زمزم ماخلاالجانب اليماني، كماانهم جعلوا درابزين يطيف بظلة المؤذنين التي فوق بيت زمزم ،ولم يكن قبل ذلك درابزين ، وجعلوا شباكا من حديد فوق بئر زمزم ليمنع من السقوط فيها ولم يكن قبل ذلك ، وجعلوا درابزين من خشب مخروط يطيف بجوانب الشباك الحديد المذكور ، وزادوا حديدا فى بعض الشبابيك التى فى الجدر الغربى ، ووسعوا الدرجة التى يصعد منها الى ظلة المؤذنين المذكورة ، وكانت قبل ذلك ضيقة ، وكان الفراغ من هذه العمارة فى أثناء رجب سنة ٨٢٢ ، وكان القائم بأمر الصرف العلائى خواجه شيخ على بن محمد عبدالكريم الجيلانى نزيل مكة المشرفه .

ثم قال التقي الفاسي : وكان الى جانب بيت زمزم خلوة فيها بركة تملأ من زمزم ويشرب منها من داخل الخلوة ، وكان لها باب الى جهة الصفا ثم سد وجعل فى موضع الخلوة بركة مقبوة فى جدارها الذى يلى الصفا زبازيب (أى بزابيز) يتوضأ الناس منها على أحجار نصبت عند الزبازيب

وفوق البركة المقبوة خلوة فيها شباك الى الكعبة ، وشباك الى جهة الصفا وطابق صغير الى البركة ، وكان هذا العمل الأخير سنة ٨٠٧ ثم أزيل ذلك سنة ٨١٧ لأن بعض الجهلة كان يستنجي هناك ، وعمر عوض ذلك سبيل الملك المؤيد ، وصفة هذا السبيل بيت مربع مستطيل فيه ثلاثة شبابيك كبار من حديد فوق كل شباك لوح من الخشب بصفة حسنة ، منها واحد الى جهة الكعبة واثنان الى جهة الصفا ، وتحت كل شباك حوض من داخل البيت وفيه بركة لحاصل الماء وله سقف مدهون ، وبابه الى جهة الصفا ، وله رفرف خشب من الخارج مدهون ، وفوق ذلك شراريف من حجارة منحوتة ، وتمت عمارته في شهر رجب سنة ٨١٨ .

قال التقي الفاسي : وفي موضع هذه الخلوة كان مجلس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على مقتضى ماذكره الازرقي والفاكهي .

وقال ابن بطوطة في رحلته التي انتهت سنة ٧٥٦ يصف بئر زمزم وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الاسود وبينهما (٢٤) خطوة ، والمقام الكريم عن يمين القبة ومن ركنها اليه عشر خطا ، وداخل القبة مفروش بالرخام الأبيض. وتنور البئر المبارك في وسط القبة مائلا الى الجدار المقابل للكعبة الشريفة وهو من الرخام البديع لاصقا مفروغ بالرصاص . ودوره أربعون شبراً. وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبر . وعمق البئر احدي عشرة قامة . وباب القبة الى جهة الشرق . وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر وعمقها مثل

ذلك وارتفاعها عن الأرض نحو خمسة أشبار تملأ ماء للوضوء وحولها مسطبة يقعد الناس عليها للوضوء اهـ.

ويظهر من وصف ابن بطوطه انه لم يقع فيما بينه وبين ابن جبير تغيير ولا تبديل في بيت وقبة زمزم حيث قد اتحد الوصفان في كل ما احواه، والفرق بين عصريهما نحو مائتي سنة والله أعلم.

وجاء في مرآة الحرمين أنه في سنة ٩٣٢ عمل لدائر بيت زمزم طراز مذهب، وكتب فيه اسم مولانا السلطان الملك المظفر سليمان نخبة آل عثمان. وقال القاضي ابن ظهيرة المخزومي: وفي سنة ٩٤٨ جدد بيت زمزم على يد الامير خشقلدي فرخمت أرضه، وجعل عليه سقف فوقه مظللة مسقوفة بالخشب المزخرف عليه جملون في وسطه قبة مصفحة بالرصاص. وجاء في مرآة الحرمين: انه في سنة ١٠٢٠ وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من حديد بداخل البئر منخفضة عن سطح الماء بمتر، لان بعضا من الناس كانوا يلقون أنفسهم في البئر اهـ.

ولم يعز ابراهيم رفعت باشا الخبر من المتقدمين الى أصل قديم يعتمد عليه. والظاهر أنه أخذه عن مرآة مكة التركية. وجاء في منائح الكرم: أن سليمان بك صنجق جدة غير قبة زمزم وبناها على الصفة الباقية الى الآن وذلك سنة ١٠٧٢ اهـ.

هذا ما وقفت عليه فى عمارة بئر زمزم من يوم احتفرها جبريل عليه السلام الى العصر النبوى ، والى العصر الحاضر ، وما جرى من عمارة القبة التى عليها ومظلة المؤذنين وغير ذلك ، وانى أصف للقارئ حالة بئر زمزم فى العصر الحاضر . ليرجع اليه فى المستقبل كما رجعنا الى وصف من وصفه فى العصور المنصرمة واليك وصفه .

اما حالة بئر زمزم التى عليها اليوم ، فهو بئر مدور الفوهة عليه قطعة من الرخام المرمر على قدر سعة فمه ، ويبلغ ارتفاعها عن بلاط الأرض التى حول البئر من داخل القبة ذراعين ونصف ذراع اليد ، أو ١٢٠ سنتم تقريبا وأرض بيت زمزم أو داخل قبة زمزم مفروش بالرخام الابيض ، ويحيط بفم البئر من أعلاه درابزين معمول من الحديد الثخين ، وفوق الدرابزين شبكة من حديد وضعت فوق ذلك الدرابزان سنة ١٣٣٢ وكان السبب فى وضعها هو أن رجلا من الافغان ألقى بنفسه فى بئر زمزم ، فلما أخرج اهتمت الحكومة التركية لذلك الحادث وخشيت من تكراره فارتأت أن تعمل حائلا يمنع كل من أراد أن يلقى نفسه فى البئر فتقرر عمل الشبكة المذكورة وقاية لذلك ووضعت بسرعة ، وقد شاهدت ذلك بنفسى .

وأما البناء القائم على بئر زمزم ، فهو بناء مربع الشكل من الداخل طول كل ضلع منه احد عشر ذراعا بذراع اليد ، وسطح البئر مفروش بالحجر والنورة وفى الجهة الشرقية باب قبة زمزم وعلى جناح الباب الشمالى

طاقة عليها شباك نخين وكان في جدار الطاقة سبيل قديم ثم ابطل عمله .
وكذلك على جناح الباب الجنوبى طاقة عليها شباك ثخين وكان أيضا فيه
جدار الطاقة سبيل قديم قد ابطل عمله ، ومن الجهة الشمالية ثلاث منافذ
عليها ثلاثة شبابيك لكل منفذ شباك ، ومن الجهة الغربية مما يلي الكعبة
المعظمة ثلاث منافذ ولكل منفذ شباك ثخين وعلى نحو نصف سطح
البئر من الجهة الغربية القابلة للكعبة المعظمة مظلة قائمة على أربع بتر بنيت
فى النصف الامامى من سطح البئر ، وعلى أربع أساطين لطاف وضعت
اثنتان منها على جدار البئر الامامى مما يلى الكعبة المعظمة واثنتان على حد
منتصف سطح البئر من الجهة الشرقيه . وأما نصف السطح الشرقى فهو
شمسى ليس عليه ما يظله . وفوق هذه المظلة الامامية سقف معمول من
الخشب القوى ، وفوق السقف جملون مصفح بالواح من الرصاص على
شكل بديع ويحيط بالمظلة من جهاتها الثلاث الشمالى ، والغربى ، والجنوبى
خمسة شبابيك أحدها من جهة الشمال ، وثلاثة من الجهه الغربية ، وواحد
من الجهه الجنوبيه ، وذلك معمول من السلك الحديد الدقيق ، والمظلة
مد هونه بصباغ اخضر .

وهذه المظلة خاصه برئيس الموقتين الذى يبلغ المؤذنين الاذان فى
الاوقات الخمسه وهم على منابر المسجد الحرام السبعه المحاطه به ، وهو
أيضا يبلغ عموم المبلغين فى صلاة الجمعه والعيدين ، ويبلغ كل امام يؤم

الناس خلف مقام إبراهيم في بعض الصلوات الخمس ، وهذه العائلة يطلق عليها (آل الريس) ورئيسها الحالي الشيخ عبد العزيز بن علي ريس .

ومن ضمن بيت زمزم حجرة واقعة في الجهة الجنوبية تابعة لاغوات الحرم يضعون فيها أدوات تنظيف صحن المطاف والمدار المرصوف بالحجر الصوان الذي عليه المقامات الثلاثة وكذلك الشموع (الشماعدين) التي توضع كل ليلة على باب الكعبة من الغروب الى بعد صلاة العشاء ، ومن الفجر الى الاسفار ، وغير ذلك من لوازمهم . وبجانب حجرة الاغوات المذكورة باب الدرجة المصعدة الى المظلة التي بعلو بئر زمزم .

ومما هو جدير بالذكر أنه قد أمر جلالة ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود أن يعمل على حسابه الخاص سبيلان احدهما بالجهة الشرقية مما يلي باب قبة زمزم على الجناح الجنوبية والثاني بجوار حجرة الاغوات من الجهة الجنوبية لبيت زمزم بجانب السبيل القديم المعمول في زمن سلاطين آل عثمان وان تجدد عمارة السبيل القديم على نحو السبيلين اللذين سيعملان باسمه الخاص وقام بهذا العمل الشيخ عبيد الله الدهلوي ، فعمل السبيل الذي بجوار باب قبة زمزم بالحجر الرخام المرمر على شكل بديع الصنع وجعل له ستة فوهات ، وعمل السبيل الثاني بجوار حجرة الاغوات كذلك بشكل بديع ، وجعل له ثلاث فوهات ، وجدد عمارة السبيل القديم وعمله بشكل بديع مماثل الذي بجواره وقد كتب على السبيل الاول الذي

يلي باب زمزم (هذا السبيل — أنشأه الامام عبد العزيز بن عبدالرحمن السعود) وكتب على الذي يلي حجرة الاغوات (انشأ هذا السبيل الامام عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود) وكتب على الذي يليه (جدد هذا السبيل الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود) وكانت هذه الكتابة بخط عربي بديع بارز قدخطت بعلو كل سبيل من هذه الثلاث، وطلى ذلك بالذهب، والالوان البديعة وصارت هذه السبل الثلاث سقاية لمن يريد شرب ماء زمزم من الحجاج، والوطنيين، والمجاورين، أناء الليل وأطراف النهار. وقد صرف على انشائها مايربو على ثلاثمائة جنيه ذهب وتم انشاء السبيل الذي يلي حجرة الاغوات سنة ١٣٤٥ وتم عمل السبيل الذي يلي باب قبة زمزم سنة ١٣٤٦.

واما ما كتب قديما على قبة زمزم من الخارج فاليك بيانه، مكتوب على باب قبة زمزم الواقع فى الجهة الشرقية هذه الايات.

صرور لسلطان البسيطة والورى عبد الحميد البر بحر المكارم
ونصرله أيضا وفتح ورفعة بتعمير هذا المأثر المتقادم
حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم

ومكتوب على الشباك الشرقي ممايلي باب القبة من الجهة الشمالية (ماء زمزم شفاء من كل داء) هذا حديث اورده السيوطى فى الجامع الصغير عن صفية رضى الله عنها، واشار عليه (فر) يعني أخرجه الديلمى فى

مسند الفردوس ، وقال انه ضعيف . ومكتوب ايضا (آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم) وهذا الحديث رواه الحاكم ، وابن ماجة ، والبخارى فى تاريخه . ومكتوب تحت الحديثين المتقدمين (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هـ . ومكتوب على الشباك الجنوبى مما يلى باب قبة زمزم أيضاً (ماء زمزم لما شرب له — لا يجمع ماء زمزم ونار جهنم فى جوف عبد) الحديث الأول ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وقال أخرجه ابن ابى شيبة ، وأحمد ، وابن ماجه ، والبيهقي عن جابر ، وابن عمر ، والحديث الثانى ذكره المناوى فى كنوز الحقائق . ومكتوب فيه أيضا (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١ هجرية وتدل هذه الكتابة على أن السلطان عبد الحميد خان الاول عمر شيأ فى قبة زمزم . أما فى الشبابيك أو فى المظلة . وما شا كلها . حيث لم أعثر فى التواريخ التى وقعت بيدي على عمارة أجراها السلطان عبد الحميد خان المشار اليه فى قبة زمزم والله أعلم

ومكتوب على جدار قبة زمزم الشمالية مما يلى الجهة الغربية (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) وذلك بالخط الفارسى الجميل نقراً فى الحجر . وكتب أيضاً على حجر قديم ألصق على الجدار الشمالى لقبة زمزم بالخط البارز (أمر بترخيم المقام الشريف وهذا الحطيم المعظم السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور خان خادم الحرم الشريف فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة)

وأما فضل ماء زمزم فقد وردت فيه أحاديث مرفوعة . وموقوفه - وأخبار متعددة منها ماتقدم ذكره. ومنها ما رواه البخاري فى صحيحه من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : ما كان لى طعام الاماء زمزم اجتزى به ثلاثين ما بين يوم وليلة فسمنت حتى تكسرت على بطني وما أجد على كبدى سخفة جوع . وجاء في صحيح مسلم من حديث أبى ذر (انه طعام طعم) زاد أبو داود الطيالسى من الوجه الذى أخرجه مسلم (وشفاء سقم) قال القاضى ابو بكر العربى : وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمن صحت نيته وسلمت طريته. وفى المستدرك للحاكم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا (ماء زمزم لما شرب له) ورجاله موثوقون الا انه اختلف فى ارساله ووصله، وارساله أصح، كذا قاله ابن حجر فى الفتح . وقال الفاسى روينا فى معجم الطبرانى بسند رجاله ثقات ، وفى صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ «خير ماء على وجه الارض ماء زمزم» وروينا معنى ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى تاريخ الازرقى. قال: وروينا فى المعجم الكبير للطبرانى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا وبين المنافقين) وروينا من حديثه ان النبي ﷺ كان اذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم ، قال وأخرج هذا الحديث الحافظ الدمياطى وقال اسناده صحيح . قال وذكر شيخنا الحافظ العراقى أن حكمة غسله

صدر النبي ﷺ بماء زمزم ليقوى به ﷺ على رؤية ملكوت السموات والارض والجنة والنار ، لأن من خواص ماء زمزم أنه يقوى القلب ويسكن الروح . انتهى وقد استوعب التقي الفاسي كل ماورد في ماء زمزم من أحاديث ، وروايات ، وحكمة ، وطب ، في عدة صفحات اكتفينا في الاخذ عنه بما تقدم : وروى السيوطي في الجامع الصغير حديثا هذا نصه (ماء زمزم لما شرب له ، فان شربته تستشفي به شفاك الله ، وان شربته مستعيذا اعاذك الله، وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله ، وان شربته لشبعك أشبعك الله، وهي هزمة جبريل، وسقيا إسماعيل) ثم قال السيوطي أخرجه الدارقطني ، والحاكم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما وأشار اليه أنه صحيح.

قال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد يصف ماء زمزم : ماء زمزم سيد المياه وأشرفها، وأجلها قدرا ، وأحبها الى النفوس ، وأغلاها ثمنا ، وأنفسها عند الناس ، وهزمة جبرائيل ، وسقيا إسماعيل ، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لأبي ذر وقد قام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي ﷺ « انها طعام طعم » وزاد غير مسلم باسناده « وشفاء سقم » وفي سنن ابن ماجة من حديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « ماء زمزم لما شرب له » وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر وقد روينا عن عبد الله بن المبارك انه لما حج أتى زمزم فقال : اللهم ان ابن

الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه عن نبيك ﷺ انه قال « ماء زمزم لما شرب له » فانى أشربه لظمأ يوم القيامة ، وابن أبى الموالى ثقة فالحديث اذاً حسن وقد صححه بعضهم ، وجعله بعضهم موضوعا ، وكلا القولين فيه مجازفة ، وقد جربت انا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت باذن الله ، وشاهدت من يتغذى به الايام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرنى انه ربما بقي عليه أربعين يوما وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارا .

ولزمزم جملة أسماء ذكرها ياقوت في معجم البلدان قال : وهى زمزم ، وزَمَّم ، وزُمزُم ، وركضة جبرائيل ، وهزمة جبرائيل ، وهزمة الملك والهزمة ، والركضة بمعنى ، وهى سقيا الله لاسماعيل عليه السلام . والشباعة وشُباعةُ . وبرة . ومضنونة . وتكتم . وشفاء سقم . وطعام طعم . وشراب الابرار . وطيبة . ثم قال : ولها فضائل كثيرة روى عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال كانت زمزم من أطيب المياه فانبط الله فيها عينا من الصفا فافسدتها .

والاسماء التى ذكرها ياقوت لا تخرج عن الأحاديث التى تقدم ذكرها . ورواها أيضا الفاكهى وذكر ذلك عنه التقي الفاسى فى شفاء الغرام .

فعلم مما تقدم أن الأعلام من علماء الاسلام أثبتوا ما ورد في فضل ماء زمزم عن نبي الاسلام وسيد الأمم من عرب وعجم محمد ﷺ وعن كبار الصحابة، وفقهاء المسلمين، وأصبح فضل زمزم وفائدة الاكثار من شرب مائه لاشك فيه. وقد وقفت في الرحلة الحجازية على رأى خاص لحضرة مؤلفها محمد لبيب البتنوني في ماء زمزم في صحيفة ١٢٦ قوله: وللحجيج اعتقاد كبير في ماء زمزم ويتهادون به في آنية من الصفيح أو الدوارق المختومة ويزعم أهل مكة انه نافع لكل شيء بدليل حديث «ماء زمزم لماشرب له» ويدعى بعضهم انه يشربه اتقاء الجوع فيشبع، واظن ان خدمة العين يبالغون في فوائده مبالغة يتجسم معها الوهم عند شاربيه، ومن ذلك يقسم طعمه من أذواق الناس على نسبة اعتقادهم فيه، فنهم من يقول انه لا يعادله شيء في لذته، ومنهم من يرى أنه أحلى من العسل وألذ من اللبن ويرى غيرهم خلاف ذلك قال المعري.

تبارکت أنهار البلاد سوائح بعذب وخصت بالملوحة زمزم

والذى يفهم من ظاهر الحديث المذكور أن هذا الماء نافع لماشرب له من الأدواء التي من طبيعته شفاؤها، ويفسره بذلك حديث «انها شفاء سقم» وحقيقته فانه ماء قلوي تكثر فيه الصودا، والكلور، والجير، والحامض الكبريتيك، وحمض الاذوتيك، والبوتاسا، مما يجعله أشبه شيء بالمياه المعدنية الصحية في تأثيرها، ويفيد قليله. ولا تخلو الكثرة منه

من الضرر خصوصا فى غير موسم الحج حيث تكون بئرها مهجورة، لان أهل مكة لايشربون منها لملوحتها ، وفى هذه الحالة يزيد فيها الحامض الاذوتيك بدرجة تجعل ماءها غير صالح للشرب ، وربما كانت نصيحة بعضهم بالتضلع منها بعد طواف القدوم لتأثيرها على الجهاز الهضمى بما ينظفه من المواد التى تكون قد أفرزت اليه مدة هذا السفر الشاق مما يكون نتيجة رد فعل تنشط به الاعضاء وتصح الجسوم ، وقد قال الاطباء أن هذا الماء نافع للكلى ، والمعدة ، والأمعاء ، والكبد ، . ثم قال فى صحيفة ١٢٨ وليس الاعتقاد فى مثل ماء زمزم خاصا بالمسلمين فان للهنود اعتقادا عظيما فى نهر الكنج ، وبحيرة مادن ، والنصارى يعتقدون فى ماء الأردن الذى يبعد نحو عشرين كيلومتر الى شرق بيت المقدس ويسمونه نهر الشريعة لذلك ترى حجاجهم يذهبون اليه ويتبركون بالاستحمام به فى المكان الذي تعمد فيه المسيح اه .

هذا ماقاله صاحب الرحلة الحجازية ، لبيب البتنونى فى ماء زمزم ومن ذلك يظهر انه مضطرب فى رأيه وأبحاثه، فتراه تارة يقول ان ماء زمزم مفيد ويستدل على ذلك بالأبحاث الكيماوية والطبية ، وتارة يقول ان شرب القليل منها مفيد ولا تخلو الكثرة من الضرر فى غير موسم الحج ، وكأنه أثبت فائدة زمزم فى الموسم ونفاه فى غيره ، بقوله حيث تكون مهجورة لأن أهل مكة لايشربون منها لملوحتها . فكل ذلك يدل على اضطرابه

في أبحاثه ، وتردده في أقواله وآرائه ، فهو شاك محتار يقدم رجلا ويؤخر أخرى لا يستطيع التمشي مع السنة ، ولا التمشي مع الطب ، ولا الجزم في العقيدة ، ولا التمشي مع التجارب والعادات ، فاذا كان زعم أهل مكة (على قوله) ان ماء زمزم نافع لكل شيء بدليل الاحاديث الواردة في فضل ماء زمزم وشفاؤها من كل داء . فليس ذلك بزعم بل هو عين اليقين ، لان أساس اعتماد المسلمين في عقائدهم وتشريعهم مبناه على الكتاب والسنة الصحيحة. واذا كان هذا الزعم على قوله مبناه على التجارب والاختبار فليس هو بزعم أيضا حيث ان مبنى الطب في عموم أحواله وادواره على التجارب والاختبار ، وليس له أساس غيرهما قديما وحديثا ، والذي يوجب الدهشة والاستغراب قوله أن أهل مكة لا يشربون من ماء زمزم لملوحته، ويهجرونه في غير الموسم. ولا أدري كيف علم ذلك ؟ ومن الذي أخبره من أهل مكة بهذا الخبر ؟ وكل من سكن مكة يعلم ان الحقيقة غير ذلك :ولا اظنه الا واهما حيث من المستحيل أنه يوجد أحد بمكة سواء كان من الوطنيين او المجاورين يقول او يتفوه بهذا القول المجرد عن الحقيقة ولا اظن ايضا انه يوجد احد في العالم أجمع يستطيع أن يثبت على أي فرد ممن أقام بمكة هذا القول ، اللهم الا ان المخبر له من الاحدة الذين لا مبدأ لهم

غير الشك والحيرة والتردد في كل ماهو متعلق بالدين وذلك لأن بئر زمزم كما يعلمه الخاص والعام ممن سكن مكة أن بابه مفتوح على مصراعيه

أناء الليل وأطراف النهار ، شتاء وصيفا ، طيلة أيام السنة ، وفي عموم الاعوام والدهور ، جاهلية واسلاما ، يستقي منه اهل مكة وعموم الحجاج والمجاورين وكلهم يستعذب ذلك الماء المبارك ويتضلع منه ويستفيد منه سواء عن عقيدة أو عن تجربة ، ولم يقفل بابه قط ، ولم يهجر كما زعم البتنونى .

فمن عموم ما تقدم يظهر أن البتنونى بلك كتب ذلك عن جهل بحقيقة ماء زمزم ، وعن عدم خبرة بعوائد أهل مكة وعقائدهم وانما هو قد كتبه عما سولت له نفسه وأعلن عن عقيدته ، وما يكنه صدره ، وما انطوى عليه ضميره ، أو انه قد علم بما ورد من الاحاديث والاخبار المرفوعة والموقوفة في ماء زمزم ، وأراد ان يشوه الحقيقة ليرضى الملاحدة ومن على شاكلتهم من اهل الشك والريبة والتردد فى المسائل الاسلامية . ولم يكتف بذلك بل أنه ذهب فى بحثه الى تطبيق المسائل الاسلامية على الوثنية واليهودية والنصرانية حيث يقول : وليس الاعتقاد في مثل ماء زمزم خاص بالمسلمين فان الهنود والنصارى ، يعتقدون مثل ذلك . ويريد بالهنود المجوس منهم والظاهر أنه يريد ان يلتمس للمسلمين عذراً فى اعتقادهم بماء زمزم وأن لهم قدوة في ذلك من الاديان الاخرى ، أو لهم مثال فى ذلك ، وعلى كلتا الحالتين فقد اخطأ المرمى . حيث ان المسلمين لم يقلدوا أى دين من الاديان الاخرى فى أي شيء ، بل ان الدين الاسلامى كما يعلمه أهله قد نزل من رب العزة جل وعلا على نبي الرحمة محمد ﷺ وكله حكم ، ومنافع ، وفوائد

لا يأمر معتنقيه الا بما فيه مصلحة لهم في الدين، والدنيا، والآخرة وقد ظهرت فائدة ماء زمزم فنياً بعد تحليله وهو ممن اثبت ذلك كما تقدم بيانه، ولكنه كان مضطربا وشاكا. هذا ماظهر لي من امر البتنوني بك ولكل رأيه، والله المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

فعلم مما تقدم أن لماء زمزم فضلا وفائدة، وأنه طعام طعم، وشفاء سقم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، والاخبار المتعددة عن كثير من الصحابة، وعلماء الاسلام، وعن التجارب والخبرة، والتحليل الكيماوي، ولم يبق بعد ذلك شك، ولاتردد عند كل مسلم.

سقاية العباس

كان بداخل المسجد الحرام قبتان خلف بئر زمزم احداهما سقاية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، والاخرى لحفظ الاشياء الموقوفة على المسجد الحرام. قال التقي الفاسي يصف سقاية العباس: أنها بيت من الجهة الشرقية مربع في أعلاه قبة كبيرة وفي جهاتها الاربع عدا الجنوبي منها شبابيك من حديد، وفي جانبها الشمالي من الخارج حوضان بينهما الباب وفي وسط البيت بركة كبيرة تملأ بالماء من زمزم بواسطة قناة سماوية من زمزم الى جدر البيت ثم يسلك قناة أرضية ألى البركة فيخرج منها الماء

على شكل فوارة، ثم قال الفاسي : أنها عمرت في سنة ٨٠٧ وقد كان العباس ابن عبد المطلب يسقي فيها الحجيج . وذكر أن مقدار مابين هذه السقاية والحجر الاسود ثمانون ذراعا بذراع اليد .

والظاهر من قول التقي الفاسي أنها عمرت في سنة ٨٠٧ يقصد بذلك العماره التي وصفها بها في عصره ، وأما الذي أنشأها فيما سبق فهو الخليفة محمد المهدي العباسي. قال السيوطي في كتابه الأوائل : أول من عمل القبتي التي على الصحن التي بين زمزم وبيت الشراب المهدي في خلافته انتهى. وهذا قول السيوطي صريح في ان الخليفة المهدي العباسي هو الذي أنشأ القبتين اللتين أحداهما على سقاية العباس والاخرى التي هي خاصة بحفظ الاشياء الموقوفة على المسجد الحرام وهذا لا خلاف فيه وقال التقي الفاسي في شفاء الغرام : ومما صنع في المسجد الحرام لمصلحة قبة زمزم ، وسقاية العباس رضى الله عنه ، ولحفظ الاشياء الموقوفة لمصالح المسجد ومافيه من الربعات ، والمصاحف الشريفة منها مصحف عثمان رضى الله عنه على ما يقال ، وفيها ما يقتضى أنها عمرت في زمن الناصر العباسي وكانت موجودة قبل ذلك على ما ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد وقد توفى سنة ٣٢٨ .

والذي ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد هو : وشرقي زمزم بيت مقدر سقفه قبو مزخرف بالفسيفساء مقفل عليه ، وشرقي هذا البيت بيت كبير مربع له ثلاث أقباء وفي كل وجه منه باب .

وقال ابن جبير في رحلته : وفي قبة العباس المذكورة خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع وفيه مصحف أحد الخلفاء الأربعة أصحاب رسول الله ﷺ وبخط زيد بن ثابت رضي الله عنه منتسخ سنة ١٨ من وفاة رسول الله ﷺ وينقص منه ورقات كثيرة وهو بين دفتي عود مجا (كذا) بمغاليق من صفر كبير الورقات واسعها، عايناه وتبركنا به انتهى.

وهذا المصحف الذي ذكره ابن جبير هو الذي أشار اليه الفاسي أنه مصحف عثمان بن عفان على ما يقال .

وقال التقي الفاسي : وعمر بعضها في سنة ٨٠١ ، يعني قبة العباس .

وقال نجم الدين بن فهد القرشي في تاريخه اتحاف الورى : وفي سنة ٨٠٧ عمرت سقاية العباس لسقوط القبة التي كانت عليها وكانت من خشب من عمل الجواد (والجواد هو وزير صاحب الموصل واسمه محمد الجواد بن علي ابن أبي منصور الاصفهاني ويدل التاريخ على أنه كان ذلك سنة ٥٥١ هـ) وسد باب الخلوة التي الى جانب زمزم التي كان فيها مجلس ابن عباس وجعل في موضع الخلوة بركة مقبوة وفي جدارها الذي يلي الصفا بزابيز من نحاس يتوضؤ الناس منها على احجار نصبت عند باب البزابيز ، وفوق البركة المقبوة خلوة فيها شباك الى الكعبة ، وشباك الى جهة الصفا ، وطابق صغير الى البركة ، وذلك على يد الامير بيسق التركي .

وذكر التقي الفاسي أشياء كانت بجوار زمزم فقال: ومن ذلك المزولة التي بصحن المسجد الحرام وهي من عمل الوزير الجواد واسمه مكتوب به في اللوح النحاس المعمول لمعرفة الوقت وهو باعلا هذه المزولة، ويقال لها أيضا ميزان الشمس بينها وبين ركن الكعبة الشامي الذي يقال له العراقي (٤٣) ذراعا بذراع الحديد وثمن ذراع، ومنها ظلة المؤذنين في سطح المسجد تظلهم من الشمس، ذكرها الازرقي ولا أثر لها الآن، ومنها سقيفة من رخام بين زمزم والركن والمقام عملها خالد بن عبدالله القسري في ولايته لمكة بأمر سليمان بن عبدالملك وساق اليها ماء عذبا ضاهى به زمزم، وقيل عمل ذلك بأمر الوليد ابن عبدالملك، ذكر هذا السهيلي، والأول ذكره الازرقي، ثم بطلت فلم يبق لها أثر، وذلك سنة ١٣٢ هـ ابطلها داود بن علي العباسي لما قدم مكة واليا عليها لابن أخيه أبي العباس السفاح.

وقال ابن بطوطة في رحلته يصف ما تقدم: ويلي قبة زمزم قبة الشراب المنسوبة الى العباس رضي الله عنه وبابها الى جهة الشمال وهي الآن يجعل بها ماء زمزم في قلال يسمونها الدوارق وكل دورق له مقبض واحد وتترك بها ليبرد فيها الماء فيشرب به الناس، وبها اختزان المصاحف الكريمة والكتب التي للحرم الشريف، وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه منتسخ سنة ثمانية عشر من وفاة رسول الله ﷺ اه.

ويظهر من عبارة ابن بطوطة كأنه استنسخها من رحلة ابن جبير ، ولا خلاف بينهما وبين التقي الفاسي في ذلك ، غير أن ابن جبير ذكر المصحف ذكر تعرف ووقوف وذلك لأنه ذكر اسم كاتبه والسنة التي كتب فيها والتقي الفاسي أسند نسبة المصحف الى امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه . ولم نقف في أحد التواريخ التي اطلعت عليها عن ذلك المصحف أين ذهب ، ومن الذي أخذه هل يد اغتصبته ؟ أو سيل من السيول التي دخلت المسجد الحرام اخترقته ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وبين ابن جبير والتقي الفاسي نحو مائتين وسبعين سنة ، وبين ابن بطوطة والفاسي ما يربو على مائة سنة.

قال القاضي ابن ظهيرة المخزومي : في المسجد الحرام قبتان كبيرتان متقاربتان جداً الى بئر زمزم من جهة الشرق احداهما وهي التي تلي زمزم معدة لمصالح المسجد الحرام كالمصاحف والربعات وغير ذلك كالكراسي والمسارج الموقوفة لمصالح المسجد الحرام . ثم قال : ولم أقف على ابتداء عمارتها حتى كانت وقد جددها الناصر العباسي ، وكانت موجودة قبله ؛ الثانية هي قبة سقاية العباس عمرت في سنة ٨٠٧ ؛ وخلف سقاية العباس ملاصقا لجداره محل لطيف مسقوف فيه الآت الوقود كالعيدان التي ينزل فيها القناديل والزيوت وغير ذلك اهـ .

هذا ماوقفت عليه بخصوص سقاية العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وقبة المصاحف والكتب والأدوات وغير ذلك ، وقد كثرت على

القاري، نقل ماذكره المؤرخون فى ذلك، وذلك لأجل التثبت من صحة الخبر، حيث أن كل واحد من هؤلاء المؤرخين وصف مارآه، وماسمعه وماقله، ومن تكرر الخبر تظهر الحقيقة. وقد أزيلت هذه القبب المتقدم ذكرها سنة ١٣٠١ ه فى بدء ولاية أمير مكة السابق الشريف عون الرفيق وشيخ الحرم عثمان نوري باشا، وسبب ذلك انه دخل سيل عظيم المسجد الحرام وأتلف كثيرا من الكتب والأشياء التى كانت بها، فاقتضى رأى ولاة الامور فى ذلك العصر الى نقل الكتب من احداهما ووضعها فى دار الكتب التى هى المدرسة التى على باب الدريبة، وهدم هذه القبة وقبة العباس وجعل موضعهما رحبة بالمسجد الحرام توسعة للمصلين والله أعلم ولم يبق لكل ماذكر أثر فى العصر الحاضر.

المزولة أو الساعة

قد تقدم خبر عن التقي الفاسى في أمر المزولة التى بصحن المسجد الحرام وذكر انها من عمل الوزير الجواد واسمه مكتوب فى اللوح النحاس المعمول لمعرفة الوقت، وانه يقال لها ايضا ميزان الشمس، ولم يذكر تاريخ تأسيسها ومبدأ استعمالها. وحيث ان الوزير الجواد كانت اعماله بمكة والمسجد الحرام سنة ٥٥١ هجرية فربما كان عمله وتأسيسه لتلك المزولة فى ذلك العام والله اعلم.

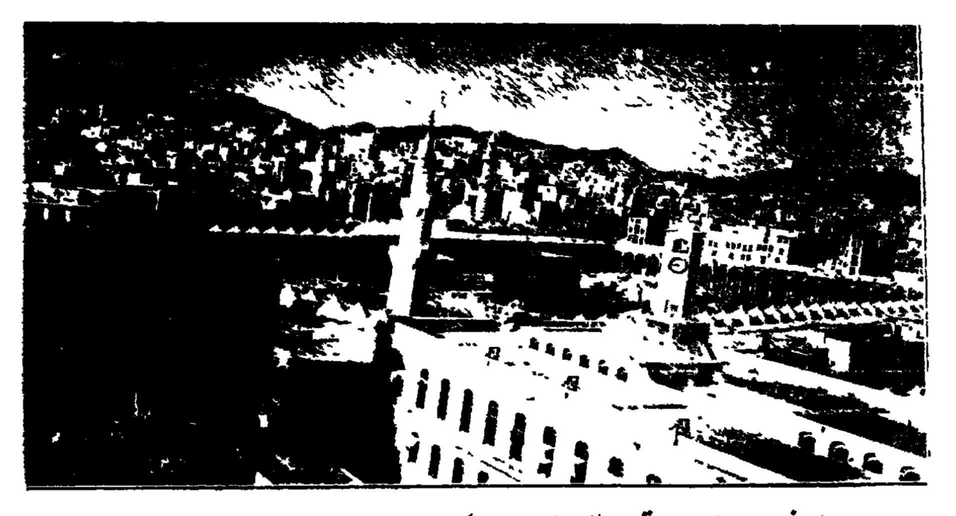
وذكر القاضي ابن ظهيرة المخزومي مزولة أخرى كانت فوق بيت زمزم، وكأنه كانت هناك مزولتان بالمسجد الحرام، احداهما بصحن المسجد والثانية فوق بيت زمزم، واليك ماورد في هذا الباب قال القاضي ابن ظهيرة وفي الظلة التي فوق بيت زمزم مزولة يعلم بها الماضي من النهار اه .

وجاء في مرآة الحرمين : انه في سادس ذي الحجة سنه ١٠٧٩ وضع الشيخ محمد بن سليمان المغربي مزولة تجاه باب السلام بني لها بترة طول قامة الرجل ويري الانسان رسومها حيال الركن الشرقي على ممشى باب السلام، وكان موضعها فيما سلف مزولة عملها الوزير الاصفهاني الملقب بالجواد انتهى ولم يعز ذلك الى أصل قديم .

وليس للمزولتين المذكورتين أثر، الا مزولة واحدة لا تزال موجودة الى العصر الحاضر بعلو قبة زمزم من الجهة الجنوبية يعرف بها الزوال، وربما تكون هي المزولة التي ذكرها ابن ظهيرة فيما تقدم غير انه لم يذكر المؤسس لها ولا السنة التي وضعت فيها. هذا ما كان من خبر المزولة، ثم لما أزال عثمان نوري باشا المزولة التي بصحن المسجد الحرام خلف بئر زمزم جاء بساعتين كبيرتين يبلغ طول الواحدة منها نحو مترين ووضعهما في مدرسة أو حجرة ملاصقة لباب بازان مما يلي منارة باب على بالمسجد الحرام، وكان ذلك سنة ١٣٠١ ولا تزال تلكما الساعتين موجودتين الى العصر الحاضر غير أنهما صارتا غير صالحتين لعدم تعهدهما بالاصلاح وطول الزمان وتداول الايدي عليهما

ساعة جلالة الملك عبد العزيز السعود

ثم لما رأى جلالة ملك المملكة العربية السعودية الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود حفظه الله تعالى شدة احتياج الموقتين بالمسجد الحرام الى وجود ساعة كبيرة عظيمة ترى حركاتها من مسافة بعيدة ويسمع صوت دقاتها كل من بالمسجد الحرام ومن حوله ، صدرت إرادته السنية باحضار ساعة كبيرة مضبوطة تفي بالمقصود ، فاحضرها وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان الحمدان وعهد الى أمين العاصمة الشيخ عباس قطان بوضعها على دار الحكومة التي هي بجوار المسجد الحرام فكلف أمين العاصمة الموصى اليه ابن عمنا الشيخ محمد سعيد بن عبد الرحمن بن محمد باسلامه باجراء مايلزم عمله للساعة المذكورة لكونه من أعضاء المجلس البلدي فقام بالعمل المذكور وبنى للساعة المذكورة قاعدة فوق دار الحكومة التي تسمى قديما (الحميدية) ارتفاعها نحو خمسة عشر متراً عن سطح دار الحكومة ، كما انه يبلغ ارتفاعها عن سطح أرض الشارع الفاصل بين دار الحكومة المذكورة وبين المسجد الحرام اكثر من خمسة وعشرين مترا ، وصارت بهذا الارتفاع تضاهي منائر المسجد الحرام ، وهي ذات واجهتين احداهما مطلة على المسجد الحرام وشارع المسعى ، والاخرى مطلة على محلة اجياد ، ويسمع صوت دقات (جرسها) كل من كان في المسجد الحرام



يظهر في هذا الرسم الساعة الضخمة التي وضعها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود لمعرفة مواقيت الأذان

وبشارع المسعى وسكان المدارس التى حول المسجد الحرام وماجاوره ، وتضاء ميناتها ليلا بالكهرباء ، وقد شيدت قاعدتها بالآجر والنورة والحديد وأحكمت إحكاما متقنا ، وتم كل ذلك سنة ١٣٥٢ ولا شك أن هذه الساعة أول ساعة وجدت بالحجاز بهذه الضخامة والضبط وقوة الصوت وبهاء المنظر وأصبحت هذه الساعة هى الوحيدة للمسجد الحرام

منبر المسجد الحرام

كان الخلفاء وأمراء مكة من عهد رسول الله ﷺ يخطبون فى أيام الجمع قياما على أقدامهم بمكة المكرمة فى وجه الكعبة المعظمة وفى حجر إسماعيل الى خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، وكان هو أول من أحدث المنبر بالمسجد الحرام ، قال الازرقى فى تاريخه (أخبار مكة) : أول من خطب بمكة على المنبر أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ، وهو منبر صغير على ثلاث درجات ، قدم به من الشام لما حج وهو أول من أتى به الى مكه ، وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة قياما على أقدامهم فى وجه الكعبة ، وفى الحجر . ثم قال الازرقى : وذلك المنبر الذى جاء به معاوية ربما خرب فكان يعمر ولا زاد فيه حتى حج هارون الرشيد فأهدى له منبر منقوش عظيم عال فى تسع درجات

أهداه له عامله على مصر موسى بن عيسى فكان منبر مكة ، وجعل المنبر القديم بعرفة ، ثم أمر الواثق العباسي بعمل منبر بمكة ، ومنبر بمنى ، ومنبر بعرفة .

قال التقي الفاسي : هذا ما ذكره الازرقي من خبر المنابر ، وذكر ذلك الفاكهي وزاد : أن المنتصر بن المتوكل العباسي لما حج في خلافة أبيه جعل له منبر عظيم فخطب عليه بمكه ، ثم خرج وخلفه بها . انتهى

ثم قال التقي الفاسي : وجعل بعد ذلك عدة منابر للمسجد الحرام منها منبر عمله وزير المقتدي العباسي ، وكان منبراً هائلا استقام بألف دينار ، ولما وصل الى مكه احرق لأنه كان بعث به ليخطب عليه للخليفة المقتدي فمنع من ذلك المصريون وخطبوا للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، وأحرقوا المنبر المشار اليه ، ومنها منبر عمل فى دولة الملك الاشرف شعبان صاحب مصر فى سنة ٧٦٦ ، ومنها منبر بعث به الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فى سنة ٧٩٧ وهو باق يخطب عليه الخطباء الى تاريخه ، واصلح بعد وصوله الى مكة غير مرة ، ومنها منبر حسن أنفذه الملك المؤيد صاحب مصر فى موسم سنة ٨١٨ فخطب عليه فى سبع ذي الحجة وهجرت الخطبة على الذي قبله وكان خطب على منبر الاشرف أحدا وثلاثون سنة .

وروي قطب الدين الحنفي المكي فى تاريخه (الاعلام) ما ذكره الفاسي وزاد فى قصة منبر وزير المقتدى العباسي فقال : أنه أرسله من بغداد ، وكان منقوشا عليه بالذهب (لا إله إلا الله محمد رسول الله الامام

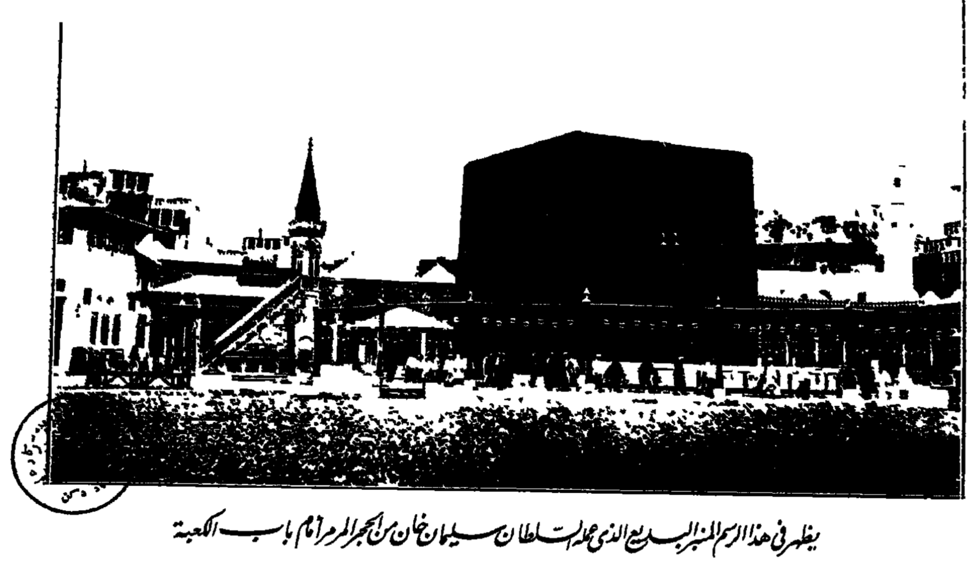
المقتدى بالله أمير المؤمنين) وقد بلغت نفقاته ألف دينار. انتهى. وجاء في كتاب تحصيل المرام عن المنبر المذكور: انه لما وصل المنبر المذكور الى مكة أحرقه المصريون ولم يبد إعتراضا على ذلك أمير مكة محمد بن جعفر وهو أول من قطع الخطبة لملوك مصر، وخطب لملوك بني العباس بعد أن قطعت الخطبة لهم نحو مائة سنة، وأبى أهل مصر الا أن تكون الخطبة للمستنصر العبيدي صاحب مصر فخطب له. ثم كان بعد ذلك يخطب حينا لبني العباس وحينا لملوك مصر، يقدم منهم من يجزل له العطاء. وجاء في كتاب (اتحاف الورى بأخبار أم القرى) لنجم الدين ابن فهد القرشي: أنه في سنة ٧٩٧، أنفذ الظاهر صاحب مصر منبراً للخطيب عوض المنبر الذي انشأه شعبان بن حسين سنة ٧٦٦ وصل مكة في الموسم وخطب عليه في موسم سنة ٧٩٨ اهـ.

وفي سنة ٨١٥، أرسل شيخو صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه يوم التروية. قال ابن فهد القرشي: وفي سنة ٨٦٦ وصل من القاهرة المحروسة الى مكة المشرفة ركب مقدم على الركب الأول المصري وصحبته منبر لمكة المشرفة أرسله الملك الناصر خشقدم وركب في يوم الاربعاء والخميس وكمل يوم الجمعة وخطب عليه في الجمعة ثاني الحجة الحرام وكانت الوقفة يوم الجمعة. وفي سنه ٨٧٧ أرسل الملك الاشرف قايتباى الظاهرى منبرا من خشب خطب عليه في أول ذي الحجة اهـ.

وجاء فى تحصيل المرام : انه فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٨٧٩ وصل مكة المشرفة منبر خشب للمسجد الحرام فركب فى جهة باب السلام وجر الى المطاف وخطب عليه الخطيب في أول ذى الحجة ، ولم يبق للمنابر المذكورة أثر لوجود المنبر الذى عمله السلطان سليمان خان اه .

فهذا المنبر كان آخر المنابر الخشبية التى وردت للمسجد الحرام .

واما المنبر الذي عمله السلطان سليمان خان بن السلطـان سليم خان العثمانى ، فهو المنبر الحالى الموجود الى هذا العصر الحاضر واليك خبره : فى سنة ٩٦٦ بعث السلطان سليمان بن سليم خان بهذا المنبر المصنوع من الحجر الرخام المرمر البراق الناصع البياض وهو القائم الآن بفناء المسجد الحرام أمام الكعبة المعظمة مما يلى الجهة الشرقية ، ويلى مقام ابراهيم الخليل ﷺ من الجهة الشمالية . يحتوى هذا المنبر الفخم الذى هو آية فى الجمال على ثلاث عشرة درجة ، وعلى علوه فوق المسطبة العليا أربع أسطوانات لطاف من المرمر ، وعلى علو الاسطوانات الأربع قبة مستطيلة عملت من الخشب القوي وصفحت بالواح من الفضة مطلية بالذهب الوهاج يظنها الرائى كانها صيغت من ذهب ، وقد مضى على هذه القبة المربعة الشكل ثلاث مائة وثمان وثمانون سنة ٣٨٨ ولم يذهب طلاؤها طيلة هذه العصور لكثرة ماطليت به من الذهب ، ويبلغ ارتفاع هذا المنبر من أرض صحن المطاف الى هلال القبة نحو عشرين ذراعا بذراع اليد ، أو اثنا عشر متراً



يظهر في هذا الرسم المنبر البديع الذي عمله السلطان سليمان خان من الحجر المرمر أمام باب الكعبة

على التقريب ، ولهذا المنبر مزية خاصة وهي أن الشمس لا تصل الى موضع الخطيب لا شتاء ولا صيفاً على اختلاف الفصول ، أما صناعته فهي من أبدع ما يكون وتدل هذه الصناعة على براعة صانعه ، وحسن ذوقه ، ورقة مهارته ، كأنما صاغه من جوهر ، أو نظمه من در .

وقد كتب على هذا المنبر المشار اليه من الجهة الغربية التي تلي الكعبة المعظمة (الحمد لله رب العالمين قد بنى سليمان منبر البلد الامين) وكتب على باب المنبر من الجهة الشرقية (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله جل اسمه سنة ٩٦٦) . وقد أرخ القاضي صلاح الدين ابن ظهيرة القرشي المكي سنة ورود هذا المنبر نظما فقال :

شيد الله ملك من	أسبغ الله ظله
حل من بيت ربنا	بفناه محله
ان ذا المنبر الذي	قد حوي الحسن كله
هاك تاريخه الذي	شهد الخلق فضله
لسليمان منبر	بالدعا شاهد له

سنة ٩٦٦

وجاء في الارج المسكي لعلي بن عبدالقادر الطبري انه جعلت لهذا المنبر جملة تواريخ عديدة نظماً ونثراً ، فمن ذلك قول الشيخ العلامة علي بن حسين با كثير الحضرمي ضمن أبيات

انظر الى منبر منير أشرق فى الخافقين بدره
عمره ملك البرايا خليفة الله جل ذكره
أعنى سليمان خير مولى من آل عثمان طال عمره
تاريخه قل اله اقبل بناء سليمان عز نصره

وكان أول خطبة خطبت عليه خطبة عيد الفطر خطبها السيد ابو حامد النجارى ، وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ١٠٢٠ شرع فى تركيب هلال المنبر الذى أرسله السلطان أحمد خان ، قال السنجاري :وكان أعلا المنبر مبنيا بالآجر فهدم ذلك وجعل له الواح ركبت فيها صفائح الفضة المطلية بالذهب وتم عمله فى الرابع والعشرين من ذي الحجة .

هذا ماوقفت عليه من خبر المنابر التى وضعت بالمسجد الحرام منذ أول منبر وضعه أمير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه الى آخر منبر وضعه السلطان سليم خان العثمانى الذى لايزال باقيا على حالته الاولى الى العصر الحاضر وهو عروس المسجد الحرام لم يعتره وهن ولا خلل ولا خراب ، وقد صار من أجل المآثر الخالدة للسلطان سليمان بن سليم خان ، فجزى الله كل محسن على احسانه أفضل الجزاء .

وذكر ابن جبير فى رحلته وصف الكيفية التى كانت تتبع فى خطبة الجمعة بمكة المكرمة ، وكيفية الخطيب وصعوده على المنبر ، وموضع المنبر فى عصره ، واليك ماقاله : فى يوم الجمعة يلصق المنبر الى صفح الكعبة

الشريفة فيما بين الحجر الاسود والركن العراقي ويكون الخطيب مستقبلا المقام الكريم ، فاذا خرج الخطيب أقبل لابساثو باأسود معتما بعمامة سوداء وعليه طيلسان اسود ، وكل ذلك من كسوة الملك الناصر ، وعليه الوقار والسكينة وهو يتهادي بين رايتين سوداوين يتمسكهما رجلان من المؤذنين وبين يديه احد القومة فى يده الفرقعة مفتول ينفضه فى الهواء فيسمع له صوت عال يسمعه من داخل الحرم وخارجه فيكون أعلاما بخروج الخطيب ولا يزال كذلك الى ان يقرب من المنبر فيقبل الحجر الأسود ويدعو عنده ثم يقصد المنبر ،ورئيس المؤذنين بين يديه لابسا السواد وعلى عاتقه السيف ممسكا له بيده ، وتركز الرايتان من جانب المنبر فاذا صعد أول درجة من درج المنبر قلده المؤذن السيف فيضرب بنعل السيف ضربة على الدرج يسمع بها الحاضرون ، وهكذا على سائر الدرج فاذا استوى فى علياه استقبل الناس وسلم عليهم ثم يقعد ويؤذن المؤذن على قبة زمزم فاذا فرغ من خطبته صلى وانصرف على الوضعية التي اتى بها ، ثم يعاد المنبر الى مكانه ازاء المقام اه .

هذا ما كان من حالة المنبر والخطيب فى عهد ابن جبير فى القرن السادس ، وقد تغير ذلك الوضع وبقي المنبر ثابتا فى موضعه ازاء مقام ابراهيم ﷺ من الجانب الشمالى على ماوضعه عليه عامل السلطان سليمان ابن سليم خان العثمانى سنة ٩٦٦ الى العصر الحاضر .

وأما حالة الخطيب في عهد ولاية الدولة العثمانية على الحجاز فكان الخطيب يأتي يوم الجمعة عند الزوال الى المسجد الحرام فيدخل المدرسة الواقعة بين باب باران وباب على المسماة (بقبة الساعات) حيث وضعت في ذلك العصر فيها ساعتان كبيرتان للتوقيت ، فيصلى فيها ركعتين . ومن عادة الخطيب في ذلك العصر أن يرتدى جبة واسعة الاكمام تسمى (الفرجيه) ويعتم بعمامة من الشاش الابيض على كيفية هندية مصنوعة من القماش الحرير الملون ومبطنة بالخيزران اللطيف ، وتلف العمامة الشاش عليها لفا منتظما متراصا بعض الطيات على بعض وتسمى تلك اللفة (بالمدوّج) ثم يأتى (المرقى) الى المدرسة المذكورة يحمل الطيلسان والعصا التي يعتمد عليها الخطيب حال صعوده المنبر ، وهذه العصاة داخلها سلاح من نوع السلاح الأبيض رفيع السلة أشبه بسنان الرمح يسمى (بالغدّارة) وهذا المرقي هو من ضمن المبلغين بالمسجد الحرام قد تخصص لهذه الوظيفة ، فيضع المرقى الطيلسان على رأس الخطيب فوق العمامة ، فيلتف به الخطيب ويخرج من المدرسة المذكورة ميمما نحو المنبر ، فاذا بلغ الحصوة الموالية لرواق المدرسة التي كان بها وجدهناك بيرقين من من الحرير الاحمر ، ونفرين من أغوات الحرم ، ونفرين من مشدية الحرم فاذا وصل اليهم ساروا جميعا امام الخطيب يتقدمهم المرقى حامل عصا الخطيب ، ثم يتبعه حاملا البيرقين ، ثم اغوات الحرم ، ثم المشدية =

ويسيرون على هذه الحالة الى ان يصلوا المنبر فاذا وصلوه ركزت البيرقان على باب المنبر، ووقف الاغاتان عند باب المنبر أيضا، ثم ترفع الستارة الخضراء المزركشة بأسلاك الفضة الموهة بالذهب الموضوعة على باب المنبر، ويسلم المرقي العصا الى الخطيب، فيصعد الخطيب على درج المنبر وخلفه المرقي، فاذا وصل الخطيب أعلى المنبر جلس على مسطبة وقام المرقي في وسط درج المنبر وأذن أذان الجمعة الثاني تابعا في ذلك رئيس المبلغين من قبة زمزم، فاذا أتم الاذان قام الخطيب وشرع في الخطبة الأولى فاذا أتمها جلس، فيقوم المرقي ويصلي على النبي ﷺ رافعا بها صوته فتى اتمها قام الخطيب وألقى الخطبة الثانية حتى اذا بلغ فيها ذكر النبي ﷺ جهر المرقي بالصلاة على النبي ﷺ، ثم اذا بلغ الخطيب ذكر أصحاب رسول الله ﷺ جهر المرقي بالترضي عنهم، فاذا ذكر الخطيب اسم الخليفة أو السلطان أو الملك جهر المرقي بالدعاء له بالنصر والظفر والتأييد، وكان من ادركتهم من سلاطين آل عثمان هما السلطان عبد الحميد خان الثاني، والسلطان محمد رشاد الخامس، وكان يدعا لهما باسم الخلافة.

هكذا كانت صفة الخطبة في عصر ولاية سلاطين آل عثمان على الحجاز، وكذلك جرى العمل على هذا الترتيب في ملك الشريف الحسين ابن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون على الحجاز، وكان يوضع في أعلى المنبر بيرقين أخضرين صغيرين مزركشين باسلاك الفضة المموهة بالذهب

وكانت الخطابة والامامة على المذاهب الاربعة ومشاعة في كثير من أهل مكة المكرمة على اختلاف أجناسهم فنهم آل ميرداد ، وآل العجيمي وآل خوقير ، وآل الريس ، وآل الكتبي ، وآل شطا ، وبيت المال من آل عبد الشكور ، وآل الزواوي ، وآل الكردي ، وآل الحريري وآل جمل الليل ، وآل تقي ، وآل المفتي ، وآل كمال ، وآل المالكي ، وآل ابن حميد ، وآل صديق ، وآل الفقيه ، وآل حجي البسيوني ، وآل القلعي وآل دحلان ، وآل الحبشي ، وآل بابصيل ، وغيرهم ممن لم يحضرني أسماءهم فمن بعض هذه العوائل الخطيب والخطيبين وأكثر ، والامام والامامين وأكثر ، وقد بلغ من تسجلت أسماءهم من الخطباء في مديرية الاوقاف وشيخ الخطباء نحو الخمسين خطيبا ، ومن تسجل من الائمة مائة وعشرون اماما في المذاهب الاربعة .

واما حالة خطيب عيد الفطر في ذلك العصر . فانه كان الخطيب الذي تكون عنده نوبة خطبة عيد الفطر من بين عموم خطباء المسجد الحرام يستعد في داره بالشربات والرطبات لاستقبال الوافدين عليه في داره فيجلس بعد صلاة فجر ذلك اليوم ، فاذا صار الاسفار أتاه شيخ الخطباء مع فريق من خطباء المسجد الحرام ، ثم رئيس المؤذنين مع طائفة منهم ، ثم فريق من اغوات الحرم ، ثم بعض الشدية وجمع من عموم خدم المسجد الحرام ، فاذا تم اجتماع هؤلاء في دار الخطيب دارت عليهم كؤس المرطبات

فاذا أشرقت الشمس خرجوا صفوفا مع الخطيب على الترتيب الآتى المرقى ثم المشدية ، ثم أغوات الحرم ، ثم المؤذنون ، ثم الخطباء حول الخطيب وهو بينهم لابسا الفرجية والعمامة المدرج وعليه الطيلسان على حسب ما وصفنا ذلك فى خطيب الجمعة ثم يعجون جميعا بالتكبير المسنون فى العيدين وهم سائرون الى أن يبلغ الخطيب الموضع الذي يؤم الناس فيه وهو فى الغالب يكون عند مصلى جبريل أمام الكعبة المعظمة بين باب الكعبة والركن العراقى الذى يلى حجر إسماعيل ، فاذا وقف الخطيب فى مصلاه أعلن رئيس المبلغين من قبة زمزم رافعا بها صوته (صلاة العيد أثابكم الله ثلاثا ، ثم الصلاة رحمكم الله) ويتبعه المبلغون الذين هم فى علو مقام الحنفى فاذا اتم الصلاة صعد على المنبر وألقى خطبة العيد على الترتيب الذى ذكرناه فى خطبة الجمعة .

وأما حالة الخطيب فى عصر جلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود فهى فى غاية البساطة وذلك أنه متى فرغ المؤذنون من أذان الجمعة الاول أتى الخطيب وحده الى المنبر وعليه رداء وعمامة لا فرق بينه وبين سائر أهل العلم فى شكل الملابس لا من جهة النوع ولا من جهة الشكل فتى وصل المنبر وجد هناك أغاتين من أغوات الحرم واقفين عند باب المنبر فيحمل العصا المعتادة للخطابة ويصعد المنبر فاذا بلغ أعلاه جلس على مسطبته وقام المؤذن على قبة زمزم فى أذان الجمعة

الثانى فاذا فرغ من الاذان قام الخطيب وألقى خطبة الجمعة ولم يكن له مرقى كما كان فى السابق فهو يصلى على النبي ﷺ ويترضى عن الصحابة ويدعو للمسلمين عامة بدون ان ذكر اسم جلالة الملك عبد العزيز المعظم، كما كان فى السابق حسبما تقدم ، فاذا اتم الخطيب خطبته نزل من المنبر ووقف للصلاة بالناس فيقيم المكبر على قبة زمزم الصلاة ويتبعه المكبر من علو مقام الحنفي فاذا تم التكبير أحرم الامام بالصلاة .

وهذه الهيئة هى التى كانت فى عهد رسول الله ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين حيث كان رسول الله ﷺ هو الذى يخطب على المنبر بنفسه وتبعه الخلفاء الراشدون فلم يكن احد منهم يدعو لنفسه على المنبر أو يذكر اسمه ثم لما كان عصر الخلفاء العباسيين وصار الخطيب غير الخليفة أمر أمير المؤمنين محمد الامين بن هارون الرشيد أن يدعا له على المنبر، وذكر ذلك كثير من المؤرخين ، قال السيوطى فى كتابه الاوائل: أول من دعى بلقبه على المنبر وكتب به الامين .

وقد تطورت الخطبة عما كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زاد فيها بعض الخلفاء زيادات فيها ماوافق السنة وأقره اصحاب رسول الله ﷺ ومنها ماهو بدعة رضى بها بعض الناس وردها بعضهم . فكان الأذان يوم الجمعة فى عهد رسول الله ﷺ وابى بكر ، وعمر رضى الله عنهما واحدا وهو الأذان الذي يؤذن به عند مايجلس الخطيب على المنبر ، فلما

كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كثر سكان المدينة فأمر ان يؤذن الاذان الأول الذي هو عند الزوال على دار له بالزوراء عند سوق المدينة لأجل أن ينبه الناس لقرب صلاة الجمعة فكان عمله هذا بعد ذلك سنة حسنة وهي متبعة الى العصر الحاضر . واليك ماورد في ذلك

روى الامام الشافعي في الام بسنده عن السائب بن يزيد انه قال : ان الاذان كان أوله للجمعة حين يجلس الامام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ، وعمر ، فلما كانت خلافة عثمان وكثر الناس أمر عثمان بأذان ثان ، فأذن به فثبت الامر على ذلك اه .

وقد روى البخاري والنسائي وابن ماجه هذه الرواية عن السائب بن يزيد الا انه بزيادة الفاظ واليك نصها قال السائب : كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي ﷺ وابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ، قال ابو عبد الله البخاري الزوراء موضع بالسوق بالمدينة فثبت الامر على ذلك . وروى النسائي عن السائب أيضا انه قال : كان بلال يؤذن اذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة فاذا نزل أقام ثم كان كذلك في زمن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وفي رواية أخرى للبخاري والنسائي عن السائب أيضا قال : ان الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كثر أهل

المدينة ولم يكن لرسول الله ﷺ غير مؤذن واحد، وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام يعني على المنبر اهـ.

قال الشافعي رضي الله عنه في الام: وقد كان عطاء ينكر ان يكون عثمان أحدثه — يعني الاذان الثاني، اوالثالث — ويقول أحدثه معاوية اهـ.

فتحصل مما تقدم ان الأذان للجمعة كان على عهد رسول الله ﷺ وابي بكر، وعمر، رضي الله عنهما واحداً وهو الاذان الذي يؤدى به حين يجلس الخطيب على المنبر، وان امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه هو الذي أحدث الاذان الثاني على رواية الامام الشافعي أو الثالث على رواية البخاري وغيره حيث القصد واحد لأن من جعله الثاني أعتبر الاذان الأول هو الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ومن جعله الثالث اعتبر الاذان والاقامة الثاني وما أحدثه عثمان هو الثالث، وقد ورد عن النبي ﷺ تسمية الاقامة أذاناً كما جاء في صحيح البخاري وغيره عن عبدالله بن مغفل قال قال رسول الله ﷺ «بين كل اذانين صلاة» والمراد بالاذان الثاني هو الاقامة والاذان الذي احدثه عثمان هو الاول بالنسبة لوضعه لأنه يؤذن به عند الزوال قبل دخول الامام المسجد، وتسميته بالثاني أو الثالث لحدوثه بعد اذان الجمعة والاقامة اللذين كانا على عهد رسول الله ﷺ وابي بكر وعمر، وليس هو الذي يكون عند جلوس الخطيب على المنبر، والدليل على ذلك ما أورده الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح البارع عن الطبراني

أن عثمان بن عفان رضى الله عنه أمر بالنداء الاول على دار له يقال لها الزوراء ، فكان يؤذن له عليها فاذا جلس على المنبر أذن مؤذنه الاول ، فاذا نزل أقام الصلاة . وفي روايه له من هذا الوجه : فأذن بالزوراء قبل خروجه ليعلم الناس ان الجمعه قد حضرت. قال الحافظ ابن حجر : والذي يظهر ان الناس أخذوا بفعل عثمان فى جميع البلاد إذ ذاك لكونه خليفة مطاع الأمر لكن ذكر الفاكهانى أن اول من أحدث الأذان الاول بمكة الحجاج ، وبالبصرة زياد قال الحافظ ابن حجر : وبلغنى ان اهل المغرب الادنى الآن لا تأذين عندهم سوى مرة ، وروى ابن ابى شيبة من طريق ابن عمر — يعنى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما — قال : الأذان الأول يوم الجمعة بدعة فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الانكار ، ويحتمل أنه يريد أنه لم يكن فى زمن النبي ﷺ وكل مالم يكن فى زمنه يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ، ومنها مايكون بخلاف ذلك ، وتبين بما مضى أن عثمان أحدثه لاعلام الناس بدخول وقت الصلاة قياسا على بقية الصلوات فالحق الجمعة بها وأبقى خصوصيتها بالاذان بين يدي الخطيب ، ثم قال : واماما أحدث الناس قبل وقت الجمعة من الدعاء اليها بالذكر والصلاة على النبي ﷺ فهو فى بعض البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولى اه .

وعليه فقد ثبت مما تقدم أن عمل عثمان بن عفان رضى الله عنه فى أحداث الأذان الاول كان مصيباً فيه لأن فيه مصلحة للمسلمين وتنبيها للغافلين وهو من أجل أصحاب رسول الله ﷺ ومن الخلفاء الأربعة، وقد أقره أصحاب رسول الله ﷺ على ذلك العمل وعمل به من جاء بعده من سلف الأمة الصالح فاعتبر ذلك اجماعا ، ولا يزال العمل على ذلك جار الى العصر الحاضر فى عموم أقطار المسلمين ممن كان على السنة والجماعة .

وأما خطبة الجمعة فكانت على عهد رسول الله ﷺ خطبتين كما هو جار الى الآن ، واليك بيان ما كانت عليه خطب النبي ﷺ الجمعية ليظهر لك ما أحدث فيها فروى الامام الشافعى فى الام بسنده عن جابر بن عبد الله الانصارى رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس . وروى النسائى وابن ماجه عن جابر بن سمرة قال : كان النبي ﷺ يخطب قائما ثم يقعد قعدة لا يتكلم ثم يقوم فيخطب أخرى ، فمن حدثكم أن رسول الله ﷺ كان يخطب قاعداً فقد كذب. ورويا عنه أيضا أنه قال : كان النبي ﷺ يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيقرأ آيات ويذكر الله وكانت خطبته قصداً وصلاته قصداً . انتهى

ومعنى قصداً وسطا بين التطويل الممل والاقتصار المخل .

وروى الشافعى فى الام بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وأبى بكر ، وعمر، أنهم كانوا يخطبون يوم الجمعة خطبتين على

المنبر قياما يفصلون بينهما بجلوس ، حتى جلس معاوية فى الخطبة الاولى فخطب جالسا وخطب فى الثانية قائما . انتهى وروى السيوطى فى كتابه الاوائل عن العسكرى عن الشعبي وابن أبي شيبة عنه قال: أول من خطب جالسا معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه حين كثر شحمه وعظم بطنه . قال السيوطى : أخرج سعيد بن منصور عن الحسن قال : أول من استراح في الخطبة يوم الجمعة عثمان بن عفان رضى الله عنه كان اذا اعيي جلس ولم يتكلم حتى يقوم . وقال أخرج ابن أبي شيبة عن طاوس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأن أول من جلس على المنبر فى الجمعة معاوية بن أبي سفيان . اه .

فظهر مما تقدم أن اول من أحدث القاء الخطبة وهو جالس أمير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه ولكن من حيث انه كان معذورا فى الجلوس بسبب كثرة شحم بطنه لم يتابع فى ذلك .

وروى الشافعى فى الام عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه انه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبتين وجلس جلستين . قال الشافعى : وحكى الذي حدثني قال استوى رسول الله ﷺ على الدرجة التى هى المستراح قائما ثم سلم وجلس على المستراح حتى فرغ المؤذن من الاذان ثم قام فخطب الخطبة الاولى ثم جلس ثم قام فخطب الثانية . وروى أيضا عن ابن جريج قال قلت لعطاء أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقوم على عصا اذا خطب ؟ قال : نعم كان يعتمد عليها اعتماداً . وروى ابن ماجة عن عمارة بن سعد ، ان رسول الله ﷺ كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس ، واذا خطب فى الجمعة خطب على عصا اه .

وروى ابن ماجة عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال رأيت النبي ﷺ يخطب على المنبر وعليه عمامة سوداء .

ولم أقف على نص صريح عن النبي ﷺ يدل على شكل رداء الخطيب كما انه لم يردعنه ﷺ شيء فى ذلك غير هذه الرواية المتقدمة وهي كونه رآه عمرو بن حريث يخطب وعليه عمامة سوداء، وقد روى الامام الشافعي فى الام عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى حلة سيراء — يعنى حرير — عند باب المسجد فقال : يارسول الله لو اشتريت هذه الحلة فلبستها يوم الجمعة وللوفود اذا قدموا عليك: فقال رسول الله ﷺ «انما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة» وأخرجه البخارى أيضا بهذا اللفظ . وعلل ذلك الفقهاء من كراهية النبي ﷺ لتلك الحلة لكونها من حرير ، وقد حث النبي ﷺ الناس أن يلبسوا أحسن ما يجدوا للجمعة من المباح ، فروي ابن ماجة عن عبد الله بن سلام انه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر فى يوم الجمعة « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته » وروى أيضا عن ابى ذر الغفاري عن النبي ﷺ قال « من اغتسل يوم الجمعة فاحسن غسله وتطهر

فاحسن طهوره ، ولبس من أحسن ثيابه ، ومس ما كتب الله له من طيب أهله ، ثم أتى الجمعة ولم يلغ ولم يفرق بين الاثنين غفر له مابينه وبين الجمعة الأخرى » فهذا صريح في اتخاذ الناس أجمل ثيابهم والتزين للجمعة ، وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ وورد ان الجمعة هي عيد المسلمين ، فاذا كان من السنة أو الواجب على افراد الناس ان يتخذوا أحسن مايقدروا عليه من اللباس للجمعة فيكون الامام أولى باستعمال ذلك ، فقال الامام الشافعي في الام : وأحب للامام من حسن الهيئة ما أحب للناس وأكثر منه وأحب أن يعتم فانه كان يقال النبي ﷺ كان يعتم ، ولو ارتدى ببرد فانه كان يقال ان النبي ﷺ كان يرتدي ببرد كان أحب الي اه.

هذا ماورد في شكل لباس الخطيب وهو احسن مايلبس من المباح في عصره من البسة الحشمة ، والوقار ، والكمال .

وأما قراءة القرآن في الخطبة على المنبر فقد ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ سورة قاف على المنبر فروى الامام الشافعي في الأم بسنده عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ بقاف وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة وأنها لم تحفظها الا من رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو على المنبر من كثرة ما كان النبي ﷺ يقرأ بها يوم الجمعة على المنبر . وروي النسائي أنها قالت: حفظت ق والقرآن المجيد من فيه رسول الله ﷺ وهو على المنبر يوم الجمعة . وروى

الشافعي عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن عمر كان يقرأ في الخطبة يوم الجمعة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ حتى يبلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ ثم يقطع السورة. قال الشافعي رضي الله عنه: وبلغنا أن علياً كرم الله وجهه كان يقرأ على المنبر ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبلغني أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان اذا كان في آخر خطبته قرأ آخر سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الى آخر السورة.

وروى السيوطي في كتابه الاوائل عن ابن الصلاح في فوائد رحلته انه قال: أول من قرأ في الخطبة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية عمر بن عبد العزيز ولزمها الخطباء الى عصرنا هذا، وكان النبي ﷺ يقرأ (ق) وكان عمر بن الخطاب يقرأ (اذا الشمس كورت) الى قوله (ما أحضرت) وكان عثمان يقرأ آخر سورة النساء (يستفتونك) الآية وكان علي بن أبي طالب يقرأ الكافرون والاخلاص.

هذا ما ورد في قراءة القرآن للخطيب يوم الجمعة على المنبر؛ ودل ذلك على جواز قراءة أي سورة أو عدة آيات من القرآن ولكن متابعة عمل النبي ﷺ أفضل.

وأما خطب النبي ﷺ الجمعية فقد أورد بعضها الفقهاء وأهل الحديث في مصنفاتهم فمنها ما رواه الامام الشافعي في الام عن ابن عباس رضي الله

عنهما أن النبي ﷺ خطب يوما فقال « ان الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونستنصره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا : من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوي حتى يفيء الى امر الله . وروى ذلك النسائى وزاد فيها : ثم قرأ ثلاث آيات ﴿ يَا أيها الذينَ آمَنوا اتقوا اللهَ حقَّ تقاتِهِ وَلا تموتنَّ إلاَّ وَأنتُم مُسلمونَ . يا أيها النَّاسُ اتقوا رَبكم الذى خَلقكم مِن نَفسٍ وَاحِدَةٍ وَخلقَ مِنها زَوجَها وَبَثَّ مِنهما رِجالاً كثيراً وَنِساءً وَاتقوا اللهَ الذِى تَساءلونَ بِهِ وَالأرْحامَ إنَّ اللهَ كانَ عَليكم رَقيباً . يَا أيها الذينَ آمنوا اتقوا اللهَ وَقولوا قَولاً سَديداً ﴾

وروى الشافعى عن عمرو أن النبي ﷺ خطب يوما فقال فى خطبته « ألا إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، ألا وان الآخرة أجل صادق يقضى فيها ملك قادر ، ألا وان الخير كله بحذافيره فى الجنة ، ألا وان الشر كله بحذافيره فى النار ، ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا انكم معروضون على أعمالكم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

هذا بعض ما جاء من خطب النبي ﷺ الجمعية وكان يكلم من يدخل المسجد عند الاقتضا فى اثناء الخطبة مثل قوله للرجل الذي دخل المسجد وهو

يخطب « أصليت » قال الرجل لا ، فقال « فصل ركعتين » وقد ابتدع الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم فى خطبة الجمعة بدعاً مثل الدعاء لاشخاص معينين فقد انكره كبار التابعين ، قال الشافعي أخبرنا عبدالمجيد عن ابن جريج قال قلت لعطاء ما الذي أرى الناس يدعون به فى الخطبة يومئذ أبلغك عن النبي ﷺ أو عمن بعد النبي ﷺ ؟ قال : لا انما أحدث ، انما كانت الخطبة تذكيرا . فقال الشافعي رضي الله عنه : فان دعي لاحد بعينه أو على أحد كرهته ولم تكن عليه اعادة انتهى (اى اعادة الخطبة)

فظهر مما تقدم أن كل ماهو جار فى كثير من الامصار الاسلامية فى خطب الجمع من لبس أزياء خاصة تميز الخطيب عن طبقة أهل العلم والفضل وما يحمل من البيارق أمام الخطيب ، وترقية للرقي التي سبق تفصيلها إنما هو محدث فبعضه أحدث فى عصري الأمويين والعباسيين ، وبعضه أحدث في العصور التى بعدهما ولم يكن ذلك من فعل النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده . فهذا ما أردت بيانه ليظهر للقارىء حالة الخطب قديما وحديثا ، وان كان ذلك خارجا عن صدد بحثنا لأنى رأيت بيانه صار من الامور الضرورية والله الموفق الى ما فيه الخير والصلاح .



باب بنى شيبه

باب بنى شيبة هو الباب الواقع خلف مقام ابراهيم الخليل الذى له عقد على شكل نصف دائرة مطوى بشكل بديع فى غاية من الجمال وحسن البناء على عمودين مربعين بنيا بحجر الرخام وقد زين بنقوش بديعة وكتب عليه من الجهة الشرقية بماء الذهب تحت الهلال ﴿ أدخلوها بسلام آمنينَ ﴾ وكتب فوق العقد ﴿ رَبّ ادخلني مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخرجني مُخْرَجَ صِدْقٍ واجعل لِي من لدُنك سلطانًا نصيرًا ﴾ وكتب عليه من الجهة الغربية المقابلة لمقام ابراهيم ﷺ والكعبة المعظمه ﴿ الله جل جلاله ﴾ ثم ﴿ سلامٌ عليكمْ طبْتمْ فادخلوها خالِدينَ ﴾ ثم ﴿ محمد عليه السلام ﴾

وهذا الباب قديم العهد وكان موجوداً فى العصر الجاهلى، والعصر النبوي، وقد ورد فى كثير من كتب الحديث، والسير، والتاريخ، أن النبي ﷺ كان يدخل منه الى المسجد الحرام ويخرج منه. وكان بجوار هذا الباب دار شيبة بن عثمان الحجبي سادن الكعبة المعظمة، وقد تقدم ذكر هذه الدار ضمن الدور التي اشتراها الخليفة محمد المهدى العباسى من آل شيبة بن عثمان وهدمها وأدخل أرضها فى توسعة المسجد الحرام حين عمره سنة ١٦٤ وسمى هذا الباب باسم شيبة من زمن النبي ﷺ وكان يقال له أيضا (باب

السلام) وهو لا يزال فى موضعه الذى كان فيه من ذلك التاريخ ولا يزاله يسمى (باب بنى شيبة) لحد الآن .

المقامات الاربعة

يوجد حتى الآن بالمسجد الحرام أربعة مقامات ينسب كل واحد منها الى أحد الائمة الأربعة رضى الله عنهم ، وقد بحثت فى كثير من كتب الفقه والمناسك والتاريخ العام والخاص بمكة المكرمة عن اسم أول من أحدثها بالمسجد الحرام ، والسنة التى أحدثت فيها فلم أوفق للوقوف على ذلك ، والذى ظهر لى بعد البحث الطويل أنها أحدثت بين القرن الرابع والخامس ، وذلك لان ابن عبد ربه الاندلسى حينما وصف المسجد الحرام فى تاريخه العقد الفريد ذكر كل ما احتواه من أروقة وأبواب وسقاية العباس وغيرها مما أزيل من المسجد الحرام ولم يذكر المقامات الاربعة وقد توفى سنة ٣٢٨ فدل ذلك على عدم وجودها فى ذلك العصر . وقد ذكر ابن جبير الاندلسى فى رحلته المقامات الاربعة ووصفها ، وكان ذلك فى السنة التى حج فيها وهى سنة ٥٧٨ فدل ذلك على انها أحدثت قبل ذلك التاريخ ، فظهر من ذلك أن حدوثها كان فى القرن الرابع او الخامس ، واليك ماقاله أهل الأخبار والعلماء والفقهاء فى المقامات الاربعة مفصلا . قال ابو

الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي في رحلته الشهيرة باسمه يصف المقامات الاربعة وصلاة الائمة الاربعة فيها ومعهم أمام الزيدية وكان حج سنة ٥٨٨ : وللحرم أربعة أئمة سنية وأمام خامس لفرقة تسمى الزيدية ، واشراف هذه البلدة على مذهبهم وهم يزيدون في الاذان (حي على خير العمل) أثر قول المؤذن (حي على الفلاح) ولا يجمعون مع الناس انما يصلون ظهراً أربعا ، ويصلون المغرب بعد فراغ الائمة من صلاتها ، فاول الائمة السنية الشافعي وهو يصلي خلف مقام ابراهيم ﷺ ، ثم المالكي وهو يصلي قبالة الركن اليماني وله محاريب يشبه محاريب الطرق الموضوعة فيها ، ثم الحنفي وصلاته قبالة الميزاب تحت حطيم مصنوع له وهو أعظم الائمة ابهة وأفخرهم آلة من الشمع وسواها ، سبب ذلك أن الدول الاعجمية كلها على مذهبه ، ثم الحنبلي وصلاته مع صلاة المالكي في حين واحد ، وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الاسود والركن اليماني ، ثم قال : وله حطيم معطل هو قريب من حطيم الحنفي . ثم وصف مقام الشافعي فقال : وللشافعي بازاء المقام حطيم حفيل ، وصفة الحطيم خشبتان موصول بينهما بأذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على تلك الصفة قد عقدت هذه الخشب على رجلين من الجص غير بائنة الارتفاع ، واعترض في اعلا الخشب خشبة فيها خطاطيف حديد فيها قناديل معلقة من الزجاج .

هذا ماذكره ابن جبير في رحلته عن وصف المقامات بالمسجد الحرام، ولم يذكر الزمن التى أنشئت فيه ، ولا اسم الذى أحدثها ، وعليه فاننا نذكر للقارىء كل مقام على حدته من عهد ابن جبير الى هذا العصر الحالى وما جري على كل مقام منها من تغير وتبديل وتجدد وغير ذلك ليكون على علم تام بحوادثها .

الأول (مقام الشافعى) قد علم مما تقدم من وصف ابن جبير له وهنا أذكر ما وصفه كل مؤرخ فى عصره ، قال التقي الفاسى فى شفاء الغرام: انه كان اسطوانتان من حجارة عليها عقد مشرف من أعلاه وفيه خشبة معترضة فيها خطاطيف للقناديل ، وليس بين الأسطوانتين بناء ، (أى محراب) ثم قال فى موضع آخر : ومقام الشافعى خلف مقام ابراهيم وبينه وبين جدار الكعبة المشرفة ٣٩ ذراعا ونصف ذراع بذراع الحديد ، وبينه وبين الاسطوانتين المؤخرين من سباط مقام ابراهيم تسعة أذرع ونصف ذراع ، وكان بناءه على هذه الصفة سنة ٨٠٧ .

ليس لمقام الشافعي فى هذا العصر الحاضر أثر على ما وصفه التقي الفاسي ولم أقف فى الكتب التى راجعتها على خبر استدل به عن الزمن الذي أزيل فيه مقام الشافعى ، وليس أمامنا شيء يشبه مقام الشافعى الذى وصفه به التقي الفاسى فى العصر الحاضر خلف مقام ابراهيم غير باب بنى شيبة ، وباب بنى شيبة موجود من زمن الجاهلية وان لم يكن على شكله الحالى وذلك قبل

حدوث مقام الشافعي بعصور عديدة ، وغاية ما يمكننا أن نقوله والحالة هذه أنه بعد أن أزيل من موضعه الذي كان فيه خلف مقام إبراهيم ﷺ استبدل عنه بالمظلة التي وضعت خلف مقام ابراهيم ومتصلة به تمام الاتصال ولم يطلق عليها غير اسم مقام ابراهيم ، والذي جعلنا نصرح بذلك هو لأننا وجدنا أئمة الشافعية يصلون في المظلة المذكورة خلف مقام ابراهيم وذلك من عهد بعيد كما دلت عليه روايات المؤرخين ، وهذه المظلة قائمة على اسطوانتين رفيعتين مثمنتي الشكل من الحجر الصوان الأسود واقعتين خلف مقام ابراهيم الخليل ﷺ ووضع عليهما سقف بديع الشكل ممتد من الاسطوانتين المذكورتين الى بيت مقام إبراهيم ﷺ ودهنت بلون اخضر

واما (مقام الحنفي) فقد سبق وصف ابن جبير له ، واليك ما ذكره التقي الفاسي في وصفه قال : واما صفة مقام الحنفي الآن فاربع اساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون من خزف واعلا السقف مما يلي السماء مدكوك بالآجر فطلي بالنورة ، وبين الأسطوانتين المتقدمتين يقابله فيه محراب مرخم ، وان ابتداء عمله على هذه الصفة في شوال وفي ذي القعدة من سنة ٨٠١ وفرغ منه في أوائل سنة ٨٠٢ وكان ذلك في أيام السلطان برقوق . ثم قال الفاسي : وانكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء من مشايخنا وغيرهم منهم العلامة زين الدين الفارسكوري الشافعي وألف في ذلك تأليفاً حسناً ، واخبرني بالقاهرة (مصر) في أوائل

سنة ٨٠٢، أن شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني وابنه قاضي القضاة بالديار المصرية الآن شيخ الاسلام جمال الدين أفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة، وان ولى الامر بمصر أمر بهدمه، فعارض في ذلك بعض ذوى الهوى فتوقف من ذلك اهـ.

وأما مقاما (المالكى، والحنبلى) فقال الفاسى يصفهما فى عصره:

ومقام الحنبلى والمالكى انصفة كل واحد منهما أسطوانتان من حجارة عليها عقد مشرف من أعلاه وفيه خشبة معترضة فيها خطاطيف للقناديل. وبين الاسطوانتين بناء مبنى بالحجارة مبيضة بالنورة، وفى وسط هذا البناء محراب، وكان عمل هذه الثلاثة المامات على هذه الصفة سنة ٨٠٧هـ رغبة فى بقائها: ثم قال الفاسي: وقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب انتهى.

وقد بحثت عن أصل هذا الكتاب الذى اشار اليه التقى الفاسى بانه ذكر صفة المقامات القديمة فيه فلم أعثر عليه، غير انى وجدت فى كتاب (كشف الظنون) عند ترجمته لكتاب (شفاء الغرام) للفاسى هذه العبارة ذكر فى تحفة الكرام انه — يعنى التقى الفاسى — ألفه على نمط تاريخ الازرقى، لكنه بعد تسويد غالبه استطاله فاختصره فى نصف حجمه وسماه (تحفة الكرام) ورتبه على ترتيب أصله أربعين بابا، قال فى تعمير المقام فى الحرم. وقد ذكرت صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب. قال بهاء الاسلام

﴿ كذا وجدت هذا الاسم بهاة الاسلام فى كشف الظنون وربما يكون مغلوطا ﴾ : ولم يوجد هذا الاصل بعد الفاسى ولا عثر عليه غيره مطلقا اهـ .

فظهر من هذه العبارة أن الأصل الذى أشار اليه الفاسى قد فقد بعد وفاته والله أعلم .

وقد وصف ابن بطوطة فى رحلته المقامات الاربعة للحج وذلك سنة ٧٢٥ فقال : فمن عاداتهم (يعنى أهل مكة) أن يصلى أول الائمة امام الشافعية وهو المقدم من قبل أولى الأمر ، وصلاته خلف المقام الكريم مقام ابراهيم الخليل عليه السلام فى حطيم له هنالك بديع ، وجمهور الناس بمكة على مذهبه والحطيم خشبتان موصول ما بينهما بأذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على صفتهما وقد عقدت على أرجل مجصصة وعرض على أعلى الخشب خشبة أخرى فيها خطاطيف حديد يعلق فيها قناديل زجاج : فاذا صلى الامام الشافعى صلى بعده امام المالكية فى محراب قبالة الركن اليمانى ، ويصلى امام الحنبلية معه فى وقت واحد مقابلا ما بين الحجر الاسود والركن اليمانى ثم يصلى امام الحنفية قبالة الميزاب المكرم تحت حطيم له هنالك ويوضع بين يدى الائمة فى محاريبهم الشمع فى ترتيبهم دكذا فى الصلوات الاربع وأما صلاة المغرب فانهم يصلونها فى وقت واحد كل امام يصلى بطائفة فيدخل الناس من ذلك سهو وتخليط فربما ركع المالكى بركوع الشافعى وسجد الحنفى بسجود الحنبلى ، وتراهم مصيخين كل واحد الى صوت

المؤذن الذي يسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو انتهى وابن بطوطة
متقدم على الفاسي بمائة سنة.

قال التقي الفاسي بعد ان ذكر تعدد صلاة الائمة الأربعة في المسجد
الحرام: ان الشيخ الامام ابا القاسم عبدالرحمن بن الحسين بن الحباب
المالكي أفتى في سنة ٥٥٠ بمنع الصلاة بأئمة متعددة وجماعات مرتبة بحرم
الله، وقال بعدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة، ثم ان بعض الناس
استفتى في ذلك بعض علماء الاسكندرية فأفتوا بخلاف [illegible]
والذي افتى بذلك شداد بن المقدم، وعبد السلام ابن عتيق، وابو الطاهر
بن عوف [illegible]
[illegible]
[illegible] سنة ٥٥١ [illegible]
[illegible]
[illegible]
فقهاء نيسابور ومحمد بن أبي جعفر المالكي صاحب الاوربيين ومن الحنفية
الشريف الغزنوي، ومن المالكية عمر التماري [illegible] على فساده
ثم قال الفاسي فلم اعرف تحقيقا وقت حدوثه اه

ومما يؤيد ما تقدم ما جاء في حاشية ابن عابدين على الدر المختار قال:
انه ذكر الشيخ رحمة الله السندي تلميذ المحقق ابن الهمام في رسالته أنه

ما يفعله أهل الحرمين من الصلاة بأئمة متعددة وجماعات مترتبة مكروه اتفاقا ، ونقل عن بعض مشايخنا انكاره صريحا حين حضر الموسم بمكة سنة ٥٥١ منهم الشريف الغزنوى ، وذكر انه أفتى بعض المالكية بعدم جواز ذلك على مذهب العلماء الأربعة ، ونقل انكار كذلك أيضا عن جماعة من الحنفية والشافعية والمالكية حضروا الموسم سنة ٥٥١ اهـ .

وقال القاضى ابن ظهيرة في تاريخه فى كيفية صلاة الائمة الأربعة فى المقامات : واما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمن فكانوا يصلون مرتبين الا ان المالكى كان يصلى قبل الحنفى ثم تقدم عليه الحنفى بعد [illegible] و [illegible] قال [illegible] القاضى [illegible] انه كان [illegible] الحنفى [illegible] كان [illegible] ثم [illegible] المغرب فكانوا يصلونها جميعا فى الاربعة [illegible] المصلين بسبب ذلك لبس كثير من اشتباه أصوات المبلغين [illegible] حركات المصلين فانكر [illegible] ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر اذ ذاك وهو الناصر بن برقوق الجركسى صاحب مصر فبرز أمره فى موسم سنة ٨١١ بأن الامام الشافعى بالمسجد الحرام يصلى المغرب بمفرده ، فنفذ أمره [illegible] ذلك [illegible] الى ان تولى [illegible] الشيخ صاحب مصر فرسم بأن الائمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا قبل ذلك فابتدؤا بذلك فى ليلة ٦ من ذى الحجة سنة ٨١٠ واستمروا يصلون كذلك ، وأما وقت

حدوث صلاة الأئمة المذكورين على الكيفية المتقدمة فقال الفاسى لم أعرفه تحقيقا، ثم نقل مايدل على أن الحنفى والمالكى كانا موجودين مع الشافعى فى سنة ٤٩٧ وان الحنبلى لم يكن موجودا فى ذلك الوقت، وانما كان امام الزيدية. ثم قال ووجدت مايدل على ان امام الحنابلة كان موجودا فى سنة ٥٤٠ اه.

وقال نجم الدين بن فهد القرشى فى اتحاف الورى فى حوادث سنة ٥٥٤ وفيها حضر الموسم بمكة جماعة من الشافعية، والحنفية، والمالكية، منهم جمدة العطارى الشافعى، والشريف الغزنوى الحنفى، وعمر المقدسي المالكى، وانكروا صلاة الائمة الاربعة فى صلاة المغرب فى وقت واحد اه.

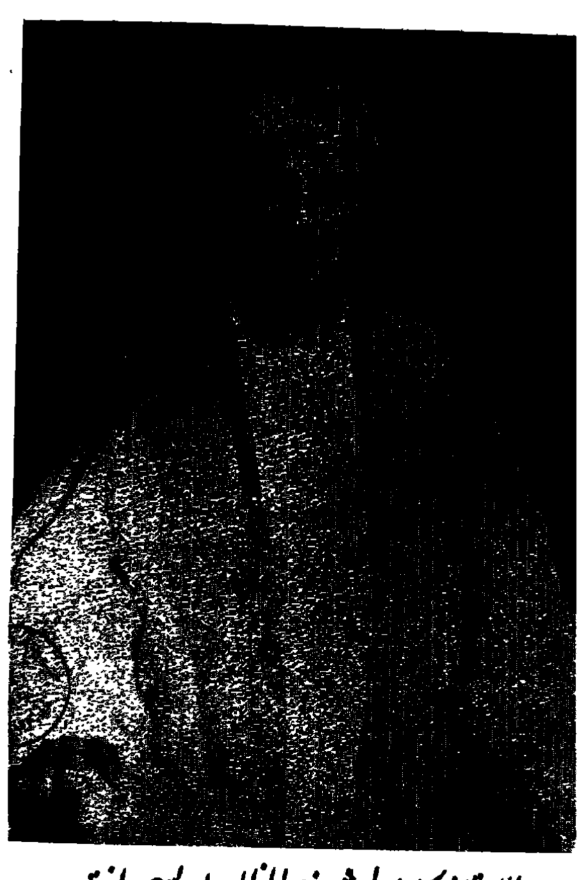
فكل ماتقدم يدل دلالة قطعية أن تعدد الجماعات فى المقامات الاربعة كان قبل سنة ٨٠١ وسنة ٨٠٧ وقد اشتبه على بعض الباحثين قول التقي الفاسى أن ابتداء عمارة هذه المقامات على هذه الصفة التى بناها عليها فرج بن برقوق سنة ٨٠٧ إن ذلك كان ابتداء حدوثها مع ان قوله يدل على أنه كان للمقامات الاربعة صفة غير الصفة التى صارت عليها بعد عمارة السلطان فرج بن برقوق سنة ٨٠٧ وممن اشتبه عليه ذلك النواب صديق حسن خان فقد نقل فى كتابه (لقطة العجلان) عن القاضى محمد بن على الشوكانى انه قال فى كتابه (ارشاد السائل الى دليل المسائل): عمارة المقامات بمكة المكرمة بدعة باجماع المسلمين أحدثها شر ملوك الجراكسة فرج بن برقوق

فى أوائل المائة التاسعة من الهجرة وانكر ذلك أهل العلم فى ذلك العصر ووضعوا فيه مؤلفات ، وقد بينت ذلك فى غير هذا الموضع وبالله العجب من بدعة يحدثها من هو من شر ملوك المسلمين فى خير بقاع الأرض كيف لم ينضب لها من جاء بعده من الملوك المائلين الى الخير لا سيما وقد صارت هذه المقامات سببا من أسباب تفرقة الجماعات ، وقد كان الصادق المصدوق ينهي عن الاختلاف والفرقة ويرشد الى الاجتماع والألفة كما فى الاحاديث الصحيحة ، بل نهى عن تفريق الجماعات فى الصلوات ، وبالجملة فكل عاقل متشرع يعلم أنه حدثت بسبب هذه المذاهب التى فرقت فرق الاسلام مفسدة أصيب بها الدين وأهله . وان من أعظمها خطرا وأشدها على الاسلام ماتقع الان فى الحرم الشريف من تفريق الجماعات ووقوف كل طائفة فى مقام من هذه المقامات كأنهم أهل أديان مختلفة وشرائع غير مؤتلفة ، فانا لله وانا اليه راجعون .

ونظرا لما قاله العلماء فى بدعة تعدد الجماعات وكراهيتها وأنها من أسباب التفرقة وقد وفق جلالة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود ملك المملكة العربية السعودية الى ابطال تعدد الجماعات بالمسجد الحرام والمسجد النبوى وغيرهما وجمع المصلين على إمام واحد فى الصلوات الخمس ، والتراويح ، وكان ذلك من ابتداء توليته على الحجاز سنة ١٣٤٣ واستمر الحال على ذلك الى العصر الحاضر ويقوم الآن بخطبة الجمعة

والعيدين حضرة مدير مدرسة دار الحديث بمكة المكرمة العلامة الشيخ محمد عبد الظاهر ابو السمح والصلوات الخمس ، ثم عين لصلاة [illegible] معه عضو هيئة رياسة القضاء الشرعية حضرة العلامة الشيخ محمد نور الكتبي وعين معه فى صلاة التراويح أيضاً مدير مدرسة حارة الباب الاميرية حضرة الشيخ عبد الله خياط ، ولنعد الى تاريخ عمارة المقامات الاربعة وما حصل عليها من تغيير وتبديل فنقول :

قال قطب الدين فى (الاعلام) ومما جدده الامير مصلح الدين [illegible] مقام الحنفية فانه كان سقفا على أربعة أعمدة في صدره محراب عمل [illegible] ٧٠ فأراد أن يوسعه ويجعله قبة فأمر بـ[illegible] والائمة [illegible] أن يكون له في [illegible] أ [illegible] القامات في مسجد واحد لاستلزامه كل مذهب بامام [illegible] وأجاز كثير من العلماء ، وان تعدد هذه المقامات في وقت حدوثه أنكره [illegible] في ذلك العهد ولهم فى ذلك العصر رسالات متعددة باقية بأيدى الناس الى الآن ، وان علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وخطأوا من قال بجوازه . قال ثم انفض المجلس على غير اتفاق ، وذكر القاضى بديع الزمان ابن



الاستاذ الجليل الشيخ عبد الظاهر ابو السمح الفقيه
إمام الحرم ومدير مدرسة دار الحديث بمكة المكرمة

الضياء الحنفى أن جده القاضى ابا البقاء بن الضياء أفتى بجواز ذلك، فشرع الأمير مصلح الدين فى اتمام ماقصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل فيه قبة عالية من الحجر الأصفر والأحمر الشميسى وصرف على ذلك ذهبا كثيرا واستمر مقاما يصلى فيه امام الحنفية بالحنفيين الى ان غيره الامير خوش كلدي أمير بندر جدة، وهدم القبة وبنى المقام مربعا ذاطبقتين جعل الطبقة العليا للمكبرين لتصل أصواتهم الى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم، وكان ذلك فى عصر السلطان سليمان بن سليم خان سنة ٩٤٧، اه.

قال القاضى ابن ظهيرة فى (الجامع اللطيف) ان هدم القبة المذكورة كان بأمر السلطان لما انهي اليه من شموخها وأخذها جانبا كبيرا من المسجد، وكان هدمها فى أوائل شهر رجب عام ٩٤٩ ثم شرع فى بناء مقام عظيم فى الشهر المذكور وصفته أربع بترا طاف فى الأركان من انقاض القبة الأولى، وست أعمدة من حجر الصوان مثمنة كل عمود قطعة واحدة فمن ذلك عمودان بين البترتين المتقدمتين الى جهة القبلة، وعمودان بين البترتين المؤخرتين، وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة، وعمود بين البترتين من جهة باب السلام مقابل له، وعلى ذلك عشرة عقود لطاف وشقة ثلاثة منها الى جهة القبلة، وثلاثة منها الى جهة آخر المقام مقابلة للثلاثة الأولى، وعقدان الى جهة باب العمرة عن يمين من

قال ابن ظهيرة فما كان من مقام الشافعي فهو كذلك الى يومنا هذا ، وأما مقام المالكي ، والحنبلي ، فقد أدركتهما كذلك ، ثم غيرا بعد الثلاثين وتسعمائة قبل تأليفنا لهذا الكتاب بأحسن مما كانا عليه في أيام السلطان سليمان خان، وصفتهما الآن كل مقام باربع أساطين مثمنة الشكل كل اسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكي ، وتحت كل اسطوانة قاعدة قطعة واحدة من الحجر منحوتة بتربيع وتثمين ، وفوقها أخرى كذلك من حجر الصوان ، وفوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف ، وفوقه الى جهة السماء اخشاب هيئة جملون عليها صفائح الرصاص لأجل المطر ، وفي كل مقام محراب فيما بين الاسطوانتين المقدمتين الى جهة القبلة ، وهما كذلك الى هذا التاريخ ، وكان المباشر لذلك عبدالكريم اليازجي الرومي اه .

وجاء في تحصيل المرام ان من خيرات السلطان عبد العزيز تجديد سقف المقامات لأنها خربت حتى تكسر بعض خشب مقام الحنبلي ،وكان الشروع في تجديد سقوف المقامات يوم الأربعاء لعشر مضين من ذي القعدة سنة ١٢٨٠ وأول ما أبتدي به مقام الحنبلي ،ثم مقام المالكي، ثم مقام ابراهيم وزاد في ارتفاع قبته اه .

وأما موضع كل مقام من المقامات الأربعة المتقدم ذكرها فهو مقام الشافعي خلف مقام ابراهيم ، وقد أزيل شكله الاول ولم ارى أحدا من

المؤرخين ذكر ازالته ، ولا السنة التي أزيل فيها ومن أزاله ، ولا سبب ازالته ، حيث لم يكن خلف مقام ابراهيم غير باب بنى شيبة المتقدم ذكره ووصفه فى محله وهو غير مقـام الشافعى حيث دلنا التاريخ ان موضع مقام الشافعى هو خلف مقام ابراهيم ، وانما الذي يتبادر الى الذهن انه بعد ان ازيل شكله السالف ذكره ألحق بمقام ابراهيم الخليل ﷺ من خلفه واندمج فيه حتى صار كأنه منه ، وبذلك صار مقام الشافعى عبارة عن شبه جملون مركب مقدمه مما يلى الكعبة المشرفة على باب مقام ابراهيم الخليل ﷺ ومندمج مع سقف مقام ابراهيم كان السقفين واحد ، ومركب مؤخره على عمودين لطيفين مصنوعين من الحجر الصوان وشكلهما مثمن وأما مقام الحنفى فهو واقع فى الجهة الشمالية قريب من حاشية المطاف ، مقابل لميزاب الكعبة وحجر اسماعيل وأما مقام المالكى فهو على شكله المتقدم ذكره وهو واقع فى الجهة الغربية قريب من حاشية المطاف مقابل الكعبة من جهتها الغربية بين الركن اليمانى وحجر اسماعيل . وأما مقام الحنبلى فكان موضعه قريبا من بئر زمزم على حاشية المطاف مستقبل الحجر الاسود وشكله كما تقدم وصفه ، واما فى العصر الحاضر فصار موضعه قريبا من حاشية المطاف مما يلى الجهة الجنوبية مقابل لما بين الركن الاسود والركن اليمانى . وسبب انتقاله من موضعه السابق الى هذا الموضع هو كما جاء فى تحصيل المرام قال : انه قد نقل مقام الحنبلى الى مكانه الذي

هو به الآن وكان ابتداء العمل يوم السبت ٢٢ صفر سنة ١٣٠١ حيث كان المحراب الأول يمنع اعتدال الصف اذا صلى الشافعى ، وقد قال ﷺ « سووا صفوفكم فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة » فلهذا نقل وبنى على هذه الصفة ، وصار تسوية الصفوف ، وكان ذلك فى دولة السلطان عبد الحميد خان — بن السلطان عبد المجيد خان — وأمير مكة الشريف عون الرفيق — بن محمد بن عبد المعين بن عون — وشيخ الحرم الوزير عثمان باشا ، والمهندس صادق بك مهندس الاستانة اه .

ولا يزال المقامان المذكوران على شكلهما وفى موضعهما المتقدم ذكره الى العصر الحاضر ولم يعترهما تغيير ولا تبديل ، وغاية ماجري فيهما هو ترميم أوزخرفة أو ترخيم ، او صباغ ، أو تجصيص كما سيأتى فى فصل المرمات انتهى .

منابر المسجد الحرام

تقدم ان ذكرنا شيأ عن انشاء المنابر بالمسجد الحرام وان أباجعفر المنصور أنشأ منارة بباب العمرة ، وكذلك الخليفة محمد المهدى ابنه انشأ ثلاث منابر أحداها على باب السلام ، والثانية على باب على ، والثالثة على باب الوداع ، ثم انشأ المعتضد العباسى منارة خامسة فى زيادة دار الندوة بين باب الزيادة وباب القطبي ، ثم أنشأ الملك الاشرف السلطان

قايتباى منارة سادسة خلف مدرسته من الجهة الشرقية بين باب النبي ﷺ وباب السلام فى حدود سنة ٨٨٠ ، ثم أنشأ السلطان سليمان بن سليم خان منارة سابعة بين مدارسه الأربعة التى من الجانب الشمالى وموضعها أمام مدخل باب المحكمة الكبرى واقعة بين مدرسة المحكمة الكبرى ومدرسة رآسة القضاء فى العصر الحاضر ، وقد قام بعمارتها قاسم أمين العمارة السلطانية سنة ٩٧٣ . ثم بعد ذلك اعترا المنابر السبعة وهن وخراب ، فسقط البعض منها وجددت عمارتها ، واليك تفصيل ذلك لكل منارة بمفردها .

الأولى منارة (باب العمرة) فقد سقطت بعد عمارة أبي جعفر المنصور سنة ١٥١ه وعمرها وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن على بن أبي منصور الاصفهانى ، وهذه العمارة هى الثانية . وكان رئيس المؤذنين يؤذن عليها فى عصر الفاكهى مؤرخ مكة ويتبعه سائر المؤذنين ، ثم صار في عصر التقي الفاسى يؤذن رئيس المؤذنين على منارة باب السلام ويتبعه سائر المؤذنين ، ثم صار يؤذن رئيس المؤذنين بعد ذلك فى الاوقات الخمسة على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون . قال قطب الدين فى (الاعلام) وقد أدركنا هذه المنارة — يعنى منارة باب العمرة — وهى عتيقة البناء فأمر بتجديدها السلطان سليمان خان ، فهدمت الى الارض وبنيت بالآجر وأعيدت كما كانت بدور واحد فى علوها الا أنهم غيروا رسمها على أسلوب بلاد الروم

وكانت قبل ذلك على اسلوب منـار مصر ، وكان أسلوب منار مصر يعلق عليها فى رأسها ثلاثة قناديل فى ثلاثة أعواد مفروزة فى قبة صغيرة على رأس المأذنة ، وكان ذلك فى سنة ٩٣١ انتهى . وهذه العمارة هى الثالثة لمنارة باب العمرة قال فى تحصيل المرام : وجددها الشريف سرور وجعل لها دورين فى سنة ١٢٠١ على ماهو مكتوب على باب خلوتها انتهى.

وهى العمارة الرابعة ولاتزال منارة باب العمرة على ذلك البناء ذات دورين الى العصر الحاضر . ولم يحدثنا التـاريخ انها بنيت بعد هذه المرة الاخيره .

الثانية منارة (باب السلام) فانها قد هدمت بعد عمارة الخليفـة المهدى ، سنة ٨١٦ فى زمن النـاصر فرج بن برقوق الجركسى وعمرت للمرة الثانية ثم جددت عمارتها سنة ٩٨٣ وذلك بامر السلطان مراد خان الثالث العثمانى حسب ما ذكر فى مرآة الحرمين التركية ، وكانت هـذه العمارة هى الثالثة ولا تزال باقية على تلك العمارة الى العصر الحاضر وهى ذات دورين .

الثالثة : منارة (باب على) فقد آلت الى الخراب فى عصر السلطان سليمان خان بن سليم خان وكانت بدور واحـد فهدمت واعيدت مجددة بنيت بالحجر الاصفر الشميسى وجعل لها دوران أعلى، وأسفل ، وغير شكلها وكان ذلك فى حدود سنه ٩٧٠ ولا تزال على ذلك الشكل والبناء الى

العصر الحاضر ، ولم تعمر غير مرتين ،الاولى عمارة المهدى والثانية عمارة السلطان سليمان .

الرابعة : منارة (باب الوداع) فقد سقطت فى زمن الملك الاشرف شعبان بن السلطان حسين سلطان مصر سنه ٧٧١ وسلم الله تعالى الناس من سقوطها فوصل المعمرون لعمارتها من قبل ملك مصر المذكور وعمرت على دورين وفرغوا من بنائها في مستهل المحرم الحرام سنه ٧٧٢ وهي باقيه على حكمها الى العصر الحاضر وهذه المنارة عمرت مرتين الاولى عمارة المهدى والثانيه عمارة الاشرف .

قال نجم الدين بن فهد القرشى في اتحاف الورى : وفى ليلة الاثنين ثانى جمادى الاولى سقطت مأذنة (باب الحزورة) فى ليلة مطيرة وكفى الله شرها فلم تضر أحداً من مجاوريها ولا من البيوت التى الى جانبها بعد ان خلت تلك الدور كلها من ساكنيها خوفا على أنفسهم فلما بلغ الأشرف شعبان بن حسين صاحب مصر ذلك أمر أمير الحاج المصرى علاء الدين على بن كلبك التركمانى شاد الدواوين بمصر ، أن يعود بالحاج الطواسى سابق الدين مثقال الانوكى مقدم المماليك وأن يتأخر هو بمكة المشرفة بعد الحج لعمارة مأذنة باب الحزورة فى المسجد الحرام فشرع فى عمارتها عقب سفر الحاج وفرغ من عمارتها فى المحرم من السنه التى بعدها .

الخامسة: منارة (باب الزيادة) كانت دورين فقد سقطت وأنشأها الملك الاشرف برسباى سنة ٨٣٨ كما هو مكتوب فى لوحة من الحجر بجنب المأذنة، قال ابن فهد فى حوادث سنة ٨٢٨ ان الامير سودون المحمدى شرع فى هذه السنة فى هدم مأذنة باب سويقة وبناها بناء عاليا، وقال فى تحصيل المرام: وعمرت أيضا سنة ١١١٣ حين وقع دورها فأمر ببنائها أنتهى وهذه المنارة عمرت ثلاث مرات.

وأما منارة السلطان قايتباى، والسلطان سليمان خان، فهما لا تزالان باقيتين الى الآن على عمارتهما الاولى حسبما أنشئتا عليه ولم يحصل فيهما تغيير ولا تبديل، أللهم الا بعض مرمات كغيرها من المنابر الأخرى.

وقد كان للمسجد الحرام منابر أخرى خلاف ماتقدم، ذكرها المؤرخون، منها منارة على باب إبراهيم شبه صومعة هدمها بعض أمراء مكة لاشرافها على داره، ذكرها التقى الفاسى. ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهى أصغرها وكانت علما لباب الصفا ولا يصعد عليها لضيقها. ومنها منارة على الميل الذى يهرول عنده من يسعى بين الصفا والمروة، ذكرها الفاكهى. وهذه المنابر الثلاث كانت على المسجد الحرام علاوة على السبعة المتقدم ذكرها وقد هدمت ولا يعلم من بناها، ولا متى هدمت، كذا قال قطب الدين فى الاعلام.

وهناك منابر كثيرة خلاف ماتقدم أنشئت فى عصر أمير المؤمنين هارون الرشيد وذلك لأنه لم يشترك فى عمارة المسجد الحرام ولم يكن له نصيب مثل ما كان لوالده الخليفة محمد المهدى النصيب الاوفر، لكونه تممت عمارته قبل خلافته بسنة واحدة. ولذلك أمر عامله بمكة أن ينشى منابر على رؤس جبال مكة، وقد نقل الفاسى عن الفاكهى أنه كانت منابر أخرى فى غير المسجد الحرام على رؤس الجبال يؤذن فيها، قال الفاكهى: وكان أهل مكة فيما مضى من الزمان لا يؤذنون على رؤس الجبال وانما كان الأذان فى المسجد الحرام وحده، فكان الناس تفوتهم الصلاة ممن كان منهم فى فجاج مكة ونائيا عن المسجد حتى كان فى زمن أمير المؤمنين هارون الرشيد فقدم عبدالله بن مالك أو غيره من نظرائه مكة ففاتته الصلاة ولم يسمع الاذان، فأمر أن يتخذ على رؤس الجبال منارات لتشرف على فجاج مكة وشعابها يؤذن فيها للصلاة، وأجرى على المؤذنين فى ذلك أرزاقا، ولعبد الله بن مالك الخزاعى منابر منها على جبل أبى قبيس أربع منابر، وعلى رأس الأحمر المقابل منارة، وعلى الجبل المشرف على شعب عامر منارة. ومن ذلك منارة تشرف على المجررة، ومنارة على جبل تفاحة، ومنارة على جبل خليفة بن عمر البكرى، ومنارة على كدى بضم الكاف تشرف على وادى مكة. فهذه المنابر كلها تنسب الى عبدالله بن مالك الخزاعى من خدام أمير المؤمنين هارون الرشيد. وأما (بغا) الذى يكنى بأبى موسى مولى أمير

المؤمنين هارون فقد أمر بعمارة عدة منار أيضا من ذلك منارة على رأس الفلق ، ومنارة على الاحمر أيضا ، ومنارة على جبل الخليفة بجانب منارة عبدالله الخزاعى ، ومنارة على جبل المقبرة ، ومنارة على جبل الحزورة ، ومنارتان على جبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولعله المسمى بالسوبى ، ومنارة على جبل الانصاب الذى يلى اجياد، ومنارة على ثنية أم الحارث المشرف على الحصحاص ، ومنارة على الجبل المشرف على الخرمانية ،ومنارة مشرفة على الخضر أو بئر ميمون ، ومنارة بمنى عند مسجد الكبش ،فهذه كلها(لينا) ثم قال الفاكهى وكان لهذه المنار فيمامضى أناس يؤذنون للصلاة تجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر ، ثم قطع ذلك لتغير الاحوال وتطاول الأزمان فترك ذلك بعضهم وبقي منها منارات يؤذن عليها يجرى على من يؤذن فيها عبدالعزيز بن عبدالله السهمى اليوم اه .

قال الفاسي عقب ماتقدم ذكره : وقدترك الأذان على جميع هذه المنارات فى عصرنا الآن فى شهر رمضان يسحر جماعة من الناس على جبال مكة فى كل جبل انسان ، ويؤذن كل منهم فى الجبل الذى يسحر عليه ،وهى جبل أبى قبيس ، والجبل الذى على القرارة المعروف بلعلع ، وفى جبل الأحمر ويقال له جبل الحارث نسبة الى مؤذن كان يسحر فيه ويؤذن ، وللمؤذنين على هذه الجبال جامكية (رواتب) يسيرة تصل من مصر مع مايصل لمؤذنى المسجد الحرام وأرباب الوظائف به اه .

ونقل قطب الدين فى (الاعلام) شيأ مما تقدم ذكره ثم قال بعد ذلك مؤيدا لما سبق : ان أول من جدد تلك المنائر على رؤس الجبال ، وفجاج مكة ، وشعابها ، هارون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها أرزاقا وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات ، وكانت تلك المنائر خمسين منارة قال الفاسي وقد ترك الاذان على جميع هذه المنائر ومابقى شيء منها .

وقد ذكر القاضي ابن ظهيرة شيأ من تلك المنائر أيضا . والظاهر أنها أهملت وخربت ومحى أثرها من عدة قرون، حيث لا أثر لها في العصر الحاضر أصلا .

أول من أحدث المصابيح بالمسجد الحرام

قال الازرقى أول من استصبح لاهل الطواف فى المسجد الحرام عقبة ابن الأزرق بن عمرو الغسانى ، وكانت داره لاصقة بالمسجد الحرام من ناحية وجه الكعبة والمسجد يومئذ ضيق ليس بين جدر المسجد وبين المقام الاشيء يسير ، فكان يضع على حرف داره ، وجدر داره وجدر المسجد واحد مصباحا كبيرا يستصبح فيه فيضيء له وجه الكعبة والمقام وأعلى المسجد . ثم قال وأول من أجرى للمسجد زيتا وقناديل معاوية بن ابى

سفيان وذكر السيوطي في كتابه الاوائل مايؤيد هذه الرواية والتي قبلها فقال : وأخرج عن مسلم بن خالد الزنجي قال بلغنا ان أول من استصبح لاهل الطواف في المسجد الحرام عقيد بن الازرق بن عمرو الغساني ، وأول من أجرى للمسجد زيتا وقناديل معاوية بن ابي سفيان ، قال وأخرج عطاء بن أبي رباح قال أول من أمر الناس ليلة هلال المحرم يوقدون النار في فجاج مكة ويضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السرقة عمر بن عبد العزيز . وقال الازرق حدثني جدي قال : أول من استصبح بين الصفا والمروة خالد بن عبدالله القسري في خلافة سليمان بن عبد الملك في الحج وفي رجب ،وجاء في تاريخ الازرقي ان خالد بن عبدالله القسري وضع مصباحا على بئر زمزم مقابل الركن الاسود في خلافة عبد الملك بن مروان ومنع آل الازرق من وضع مصباحهم ، ولم يزل مصباح زمزم على عمود طويل مقابل الركن الاسود الذي وضعه خالد بن عبدالله القسري فلما كان محمد بن سليمان على مكة في خلافة المأمون في سنة ٢١٦ وضع عمودا طويلا مقابله بحذاء الركن الغربي ، فلما ولي مكة محمد بن داود جعل عمودين طويلين أحدهما بحذاء الركن اليماني ، والآخر بحذاء الركن الشامي ، فلما ولي هارون الواثق بالله أمر بعمد من شبه — ضرب من النحاس — طوال عشرة فجعلت حول المطاف يستصبح عليها أهل الطواف ، وأمر بثمان ثريات كبار يستصبح فيها وتعلق في المسجد الحرام في كل وجه من جهات الكعبة اثنتان اه .

قال ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه العقد الفريد يصف المصابيح التي توقد حول الكعبة : وحول البيت كله سوار ، ست غلاظ مربعة من حديد مذهبة ورؤسها مذهبة أيضا يوقد عليها بالليل للطائفين بين كل عمود منها اه.

وقال ابن جبير في رحلته : ويطيف بهذا الموضع — يعني حاشية المطاف — كانها دائرة البيت العتيق وعلى بعد منه يسير امشاعيل توقد في صحاف من حديد فوق خشب مركوزة فيتقد الحرم الشريف كله نورا ، ويوضع الشمع بين أيدي الأئمة في محاريبهم .

انشاء الاساطين

حول المطاف

قال الحافظ نجم الدين ابن فهد القرشي في اتحاف الورى في حوادث سنة ٧٣٦ : وفيها جعلت الاساطين التي حول المطاف وجعل بعضها بالحجارة المنحوتة الدقيقة والباقي آجر مجصص وجعل بين كل من الاساطين خشبة ممدودة راكبة عليها وعلى المقابلة لها لأجل القناديل التي

ستضاءة حو

على صفة الاساطين . وقال أيضا في حوادث سنة ٧٤٩ اجتهد الامير فارس الدين في اصلاح المسجد الحرام وجدد الاعمدة المتخذة حول المطاف .

اضاءة المسجد الحرام

بالقناديل

قال التقى الفاسى فى (شفاء الغرام) : واما القناديل المرتبة فى المسجد الحرام غالبا فهى ثلاثة وتسعون قنديلاً منها فى الجانب الشرقى سبعة قناديل ، وفى الجانب الشمالى احد عشر قنديلا وفى الجانب الغربى سبعة ، وفى الجانب الجنوبى ثمانية قناديل، ومنها فى الداير الذى حول المطاف ثلاثون قنديلا ، ومنها فى مقام إبراهيم أربعة قناديل، ومنها فى كل مقام من المقامات الأربعة حول المطاف خمسة قناديل، ومنها قناديل على باب بنى شيبة من خارجه ، ومنها ثلاثة زيادة دار الندوة فى كل جانب منها قنديل خلاف الجانب الشرقى منها فانه لا قنديل فيه ، ومنها قنديل واحد بداخل زيادة باب إبراهيم ، ويزاد فيه فى شهر رمضان من كل سنة ثلاثون قنديلا فى الداير الذى حول المطاف، وكذلك فى المقامات الاربعة يزاد عدة قناديل ، وكذلك فى الموسم يزاد مثل هذه الزيادة ويزاد فى الموسم خلاف ذلك أيضا فى جوانب المسجد الحرام الاربعة عدة قناديل تعلق فى سلاسل من الرواق الاوسط، وست سلاسل مفرقة فى الرواق الشمالى الثالث مما يلى دار الندوة ، وتسعة سلاسل فى الرواق الاوسط من هذا الجانب ، وفى الجانب الجنوبى عشرة سلاسل ، وفى

الجانب الشرقى والغربى سلاسل معلقة لا قناديل فيها . ثم قال الفاسى : وعدد قناديل المسجد الحرام وسلاسله الآن ينقص كثيرا عما ذكره الازرقى حيث ذكر أن فيه من القناديل أربعمائة وخمسة وستين قنديلا . اهـ .

والقناديل التى ذكرها الازرقى هى وضعت فى خلافة محمد المهدى العباسى فنقصت بمرور الزمن وعدم التفقد لما يطرأ عليها من النقص والعبث وتلاعب الايدى . وجاء فى تحصيل المرام انه ثارت ريح عاصفة سنة ٧٥١ فالقت تلك الاساطين ثم جددت فيها. وجاء فيه أيضا أن السلطان سليمان العثمانى غير الاساطين التى حول المطاف وكانت من حجارة بأعمدة نحاس فى سنة ٩٣٢ وبينهم أخشاب ممدودة لتعليق القناديل حول المطاف وعدة الاعمدة النحاس ثلاثون وفى جهة زمزم فى آخر الاساطين عمود رخام، وفى آخر الاساطين من الجهة الأخرى مما يلى المنبر عمود رخام . ثم قال وقد جدد محمد عزت باشا فى زمن السلطان عبد الحميد خان عمودين من رخام من جهة باب بنى شيبة على حافة الصحن عليها أعمدة من حديد منقور لها بين الاساطين متصلة تلك الأعمدة الاساطين القديمة وقد غير أيضا الاخشاب التى بين الاساطين التى حول المطاف بأعمدة من حديد تعلق فيها القناديل وبين كل عمودين سبع قناديل ونقل عن الشبرخيتى على شرح خليل قوله: قال بعضهم أن الاساطين التى حول المطاف هى حد الحرم الذى كان فى زمن النبي ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه وماوراء ذلك

فهو الزيادة انتهى . وجاء فى الارج المسكى أنه يسرج فى المسجد الحرام كل ليلة أربعة وعشرون شمعة ، لكل مقام من المقامات الاربعة اثنتان والباقية فى المطاف وفى الحجر وهى تسرج من أذان العشاء الى الساعة الثالثة من الليل ثم تنقل الى قبة الفراشين وتطفى ، ثم تسرج بعد اذان الفجر الى الاسفار . ثم تنقل الى قبة الفراشين وهذا يستمر من اول الشهر الى ليلة ثانى عشر منه ثم يكتفى بضوء القمر الى ليلة السادسة عشر من الشهر ثم يعاد سراجها فى أول الليل ويترك فى الصباح اكتفاء بضوء القمر الى نهاية الشهر وعلى ذلك طيلة السنة . انتهى . وقد أدركت هذه الشموع وهى تضاء فى المقامات الاربعة فقط فى وقت العشاء الى انتهاء صلاة الأئمة الاربعة ، ثم تنقل الى غرفة الاغوات الملاصقة لبيت زمزم من الجهة الجنوبية . وتضاء فى الفجر أيضا الى الاسفار على ذلك المنوال ، وكان القائمون بمباشرتها أغوات الحرم ، ثم فى سنة ١٣٤٣ تركت هذه العادة لأنه أكتفى عنها بالمصابيح الكهربائية ، ولم يبق من تلك الشموع شىء يستعمل فى المطاف أو المقامات الاربعة الا شمعتان تضاء على باب الكعبة فى أول الليل ، وفى الفجر فقط . ثم قال الصباغ فى تحصيل المرام : ومما أحدث فى الحرم من الأعمدة النحاس ستة اعمدة أرسلتها والدة السلطان عبد المجيد خان فى رأسها صورة نخلة من صفر طول كل عمود نحو خمسة أذرع مفرقة بالمسجد الحرام ، فاربعة فى مقابلة أركان المسجد ، وواحدة خلف مقام

الحنفى والأخرى مقابلة فى جهة باب الصفا وركب كل عمود على قاعدة من حجر طولها نحو ذراع ويعلق فى رأس كل عمود ستة قناديل وذلك فى سنة ألف ومائتين ونيف وخمسين اه.

وهذه العواميد الستة باقية الى العصر الحاضر وهى تسمى الآن بالشجر. ثم قال الصباغ فى تحصيل المرام: وقد جعلوا فى عمارة آل عثمان للحرم الشريف فى كل قبة من قبب السقف وفى كل طاجن سلسلة ترخى يعلق فيها القناديل فتعلق في تلك السلاسل والآن في زمننا في دولة السلطان عبد العزيز خان ومن قبله فى دولة أخيه السلطان المرحوم عبد المجيد خان يعلق فى جميعها بوم بلور داخلها قناديل صغار، وزاد السلطان عبد المجيد خان عوارض من حديد وضعت بين الاساطين الأمامية المطلة على الصحاوي وعلق في كل عارضة بين الاسطوانتين خمسة قناديل توقد من إبتداء رمضان الى عشرين من ذي الحجة وذلك فى سنة ١٢٧٤ وجملتها ستمائة برمة كل برمة داخلها قنديلا، وأما ما كان من البرم فى الأروقة فجملتها ثلاثمائة وأربعة وثمانون، وأما التى حول المطاف فجملتها مائتان وثمانية وثلاثون، وذلك خلاف ما فى المقامات، وعلى ابواب المسجد وخارج الأبواب وعلى المنابر فى أشهر الحج ورمضان اهـ.

هذا حاصل ماذكره المؤرخون عن مبدأ استعمال المصابيح فى المسجد الحرام وما أخذت من التطورات الى آخر ما وصلت اليه من كثرة القناديل

والشموع وكان المجموع عدد تلك البرم التى داخلها القناديل فى أروقة المسجد الحرام وحول المطاف ألف ومائتين اثنين وعشرين قنديلا ١٢٢٢ وما كان فى المقامات الأربعة والستة الشجرات وأبواب المسجد الحرام نحو مائتى قنديل فيكون جميع ما كان يضاء به المسجد الحرام ألف وأربعمائة وثنتين وعشرين قنديلا وذلك خلاف ما كان يضاء به على المنائر وقد استدام ذلك على هذا المنوال الى سنة ١٣٣٥ ثم أبدل ذلك باللمبات اللوكسات ثم بالكهرباء كما سيأتى تفصيله وقد ادركت أضاءت المسجد الحرام بالقناديل والشموع وعموم ما ذكره الصباغ في تحصيل المرام على ذلك الترتيب انتهى .

اضاءة المسجد الحرام

﴿ بالكهرباء ﴾

فلما استقل الشريف الحسين بن على بالحجاز ترك اضاءة المسجد الحرام بالزيت وأضاءه بمصابيح (اللوكسات) من سنة ١٣٣٥ الى منتصف سنة ١٣٣٨ ثم فى ٢٨ رجب سنة ١٣٣٨ أنار الشريف الحسين دائرة المطاف بالكهرباء وهو أول من أدخل بالمسجد الحرام اللوكس والكهرباء ، مع أن الدولة العثمانية قد أضاءت المسجد النبوى بالمدينة المنورة بالكهرباء من سنة ١٣٢٨ أى قبل المسجد الحرام بعشر سنين

ولم أقف على حقيقة السبب الذي جعلها تضيء المسجد النبوي، ولم تضيء المسجد الحرام بالكهرباء مع أن كلا الحرمين الشريفين كانا في ذلك التاريخ تحت حكمها الى نهضة الشريف الحسين وقد اتى الشريف الحسين (بماكنة) قوة ثلاثة (كيلو، وات) ووضعت بمدرسة أم هانىء أمام دار الحكومة، وكان مجموع عدد (اللمبات) التي وضعت حول المطاف ١٠٥ وقوة بعض (اللمبات) خمسة وعشرون شمعة، وبعضها خمسون شمعة. ثم أتى الشريف الحسين أيضا في سنة ١٣٤٠ (بماكنة) أخرى بقوة ست (كيلو، وات) ونصف و(ماتور) بقوة ١٣ حصان ووضعت (الماكنة وماتورها) في اجياد في الدار التي صارت الآن مدرسة المعهد السعودي وكان ابتداء الانارة بها في غرة شهر رمضان سنة ١٣٤٠ ثم نقلت (الماكنة والماتور) الى المستودع الذي به دائرة الكهرباء في الوقت الحاضر خلف دار الحكومة وبين المطبعة الاميرية وبازان اجياد وهو الذي كان يسمى سابقاً (فرن الميرى) وابتدأت الانارة منه في ٢٨ شوال من السنة المذكورة، وكان عدد اللمبات نحو ثلاثمائة لمبة، منها حول المطاف ١١٥ لمبة، والباقي وزع بصورة متناسبة في عموم المسجد الحرام فوضع بعضها في الاروقة وبعضها على الابواب، ودامت انارة المسجد الحرام على ذلك المنوال الى سنة ١٣٤٦

—:•:—

انارة المسجد الحرام

بالكهرباء

في عصر

جلالة الملك عبد العزيز السعود

ثم في عصر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود تبرع أحد تجار الهند المدعو الحاج (دايد اتبا) من أهالي (رنكون) للمسجد الحرام (بماكنة) كبيرة ذات قوة ثلاثون (كيلو، وات) وذلك في سنة ١٣٤٦ وتم تركيبها في تلك السنة في موضعها الحالي المتقدم ذكره، وكانت الانارة بها مع (اللمبات) الموجودة سابقا في غرة ذي القعدة من السنة المذكورة. ثم في شهر شعبان سنة ١٣٤٧ أمر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود بتجديد عموم اللمبات التي بالمسجد الحرام وبزيادتها وبلوغها (ألف لمبة) فعمل ذلك فعلاً في تلك السنة ولم يهل شهر رمضان من السنة المذكورة حتى صار المسجد الحرام مضاء عمومه بالكهرباء، وكانت تستعمل (الماكنة) الكبيرة من قبل الغروب الى الساعة الرابعة ليلا ثم توقف تلك الماكنة الكبيرة، وتستعمل الماكنة الصغيرة، من الساعة الرابعة ليلا الى قبيل أذان الفجر بنصف

ساعة . ثم توقف الماكنة الصغيرة وتستعمل الماكنة الكبيرة الى وقت الاسفار ، وعلى ذلك يكون استمرار العمل من ابتداء شهر المحرم الى نهاية شهر شعبان ، فاذا حل شهر رمضان ابتدأت الانارة بالماكنة الكبيرة تضيء الليل كله من قبل الغروب الى الاسفار . ويستمر العمل على ذلك شهر رمضان ، وشوال ، وذى القعدة ، وذى الحجة .

فلما استمر السير على ذلك ظهر ان الماكنة الكبيرة لاتكفى قوتها بأن تضيء ألف لمبة كما ينبغى فصدر أمر جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى بأن يضم على الكهرباء عدة لمبات (لوكس) لأجل أن تصير الاضاءة كافية لانارة المسجد الحرام فضم نحو ثلاثين لمبة فى قوة ثلاثمائة شمعة واستمرت الاضاءة على ذلك الى عام ١٣٤٩ .

ثم صدر امر جلالة الملك عبد العزيز أيضا فى سنة ١٣٤٩ بشراء (ماكنة) قوية تضم الى الماكنة الكبيرة الأولى ، وذلك لأجل تحسين الاضاءة بالمسجد الحرام بحيث يستطيع القارىء أن يقرأ كتابه على نور المصابيح الكهربائية فى أي موضع شاء فى عموم المسجد الحرام . فأحضر (ماتورا) آخراً كبيراً بقوة ثلاثة عشر حصانا ونصف ، ووضع مع (الماتور) السابق ذكره في عين المستودع المذكور . ثم زيادة فى تعميم الاضاءة بمصابيح الكهرباء بالمسجد الحرام وضع بأمر ملوكى على حطيم حجر اسماعيل ستة شماعدين من النحاس الأصفر وعمل على كل شمعدان منها

ثلاثة أغصان وعلق في كل غصن مصباح كهربائي، ووضع ايضا ستة وعشرن أسطوانة في حصاوى المسجد الحرام صنعت بالاسمنت المسلح على قاعدة لطيفة وعملت على شكل شجرة لطيفة ذات أربعة أغصان وقطر كل اسطوانة منها نحو ثلاثة قراريط، وطول الاسطوانة نحو ثلاثة أمتار، وعلق على كل غصن من الاغصان الأربعة المتفرعة من كل اسطوانة مصباح كهربائي فصارت تلك الأساطين حال إضاءتها بالكهرباء تشبه الثريا. واستغنى بذلك عن استعمال اللوكسات وتم استعمال الماكنة الاخيرة في سنة ١٣٥٠

ثم في سنة ١٣٥٤ هجرية أهدى للمسجد الحرام جناب نواب بهادر دكتور الحاج سر محمد مزمل الله خان بهادر رئيس أعظم بهيكم پور بالهند ماكنة كهرباء عظيمة بعموم أدواتها، وهي تحتوى على (ماتور) كبير قوة (٥٢) حصانا و (دينامو) قوة (٢٢٠) فولت (٣٤ كيلو وات) يضيء ألف لمبة وقوة اللمبة من (٢٥) شمعة الى (٥٠) شمعة. وقد سافر من مكة المكرمة الى الهند مهندس الكهرباء بالمسجد الحرام الشيخ اسماعيل القديمع في ابتداء سنة ١٣٥٣ هجرية لأجل ان يستلم هذه الماكنة ويقف بالذات على تركيب أدواتها وأقام بالهند بضعة أشهر ثم حضر الى مكة المكرمة في أول شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٣ واحضر ماكنة الكهرباء المذكورة معه، وقد أحضر معه ايضا ما أهداه بعض أهل الخير من إخواننا الهنود من أهالى (كانفور) و (لكنو) و (كراتشي) للمسجد



الدكتور الحاج سر محمد مزمل الله خان نواب بهادر رئيس أعظم بهيكم پور بالهند
الذي أهدى ماكينة كهرباء بأدواتها للمسجد الحرام سنة ١٣٥٣ هـ

الحرام من أسلاك ، ولمبات ، وثريات ، وثمانية كشافات كهرباء قوة كل لمبة منها ألف وخمسمائة شمعة . فجزى الله تعالى المحسنين على احسانهم خير الجزاء ، وأيقظ أخواننا الاغنياء من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها من سباتهم العميق ، وغفلتهم عما يجب عليهم نحو قبلتهم من مد يد المساعدة لعمارة المسجد الحرام والاقتداء بمن تبرع بالخير ممن تقدم ذكرهم ، فانه سبحانه وتعالى قادر على احياء تلك القلوب المستميتة .

وقد تم تركيب الماكنة المتقدم ذكرها فى أواخر شهر شعبان سنة ١٣٥٤ وأضيء بها المسجد الحرام فى ابتداء شهر رمضان المبارك من هذا العام وابتدأت الاضاءة أولاً حول المطاف وصار مدار المطاف من قوة نورها كانه لم تغب عنه شمس النهار ، ثم وضعت الثريات الكهربائية على أبواب المسجد الحرام فكان منها امام (باب السلام) بداخل المسجد الحرام واحدة ، وامام (باب النبى) واحدة ، وامام (باب على) واحدة وأمام (باب الصفا) واحدة ، وأمام (باب أم هانئ) واحدة ، وأمام (باب ابراهيم) واحدة ، وأمام (باب العمرة) واحدة ، وأمام (باب الزيادة) واحدة ، وأمام مقام ابراهيم الخليل ﷺ واحدة ، وفى (باب بنى شيبة) واحدة ، وامام مقام الحنبلى واحدة وامام مقام المالكى واحده ، وأمام مقام الحنفى واحدة ، وخلفه أخرى . ووضع على قبة زمزم مما يلى باب الكعبة والحجر الاسود كشافة كهربائية فى قوة ألف وخمسمائة شمعة . ولا يزال العمل

مستمر في تعميم أروقة المسجد الحرام بتلك اللمبات الجديدة البديعة ولم ينته اثناء تأليف هذا الكتاب. وجرى تركيب عموم المانورات الكهربائية منذ دخول الكهرباء بالمسجد الحرام الى الآن بمهارة مهندس الكهرباء النشيط الشيخ إسماعيل الذبيح. ويبلغ عدد اللمبات بالمسجد الحرام وما احتوى عليه من المقامات والاروقة والابواب وغير ذلك نحو ألف وثلاثمائة لمبة على اختلاف حجمها وتفاوت قواتها. واذا اعتبرنا قوة ذلك بحساب قوة نور الشمع فيكون قوة الكهرباء نحو خمس وثلاثين ألف شمعة ، واذا قابلنا بين أضاءة المسجد الحرام بالكهرباء الحالية وبين أضاءته في زمن الدولة العثمانية بالقناديل فيكون قدر زيد فيه من النور نحو عشرين ضعفاً عما كان عليه قبل عشرين سنة . ومع كل ذلك فيحتاج المسجد الحرام الى ضعف ما هو عليه الآن من الكهرباء والله الموفق لمن يقوم بعمل ذلك .

المرمات التي أجريت بالمسجد الحرام

قد ذكرنا فيما تقدم عموم ما جرى بالمسجد الحرام من الزيادات والانشاء والتعمير مفصلا ، وسنذكر هنا عموم ما وقع في خلال تلك العصور من اصلاحات ومرمات وتعميرات وغير ذلك . قال التقي الفاسي في (شفاء الغرام): وقعت عمارة في المسجد الحرام سنة ٨١٥ فعمرت عقدان على اسطوانة واحدة في الصف الاول من الرواق اليماني يقابل مدرسة

(البنجالية) وأماكن في سقف المسجد الحرام كثيرة، وكان المتولي على هذه العمارة شيخنا قاضي مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي المخزومي المكي من مال تطوع نه أهل الخير أثابهم الله . انتهى . فكانت هذه أول مرمة وقعت بالمسجد الحرام بعد عمارة الخليفة محمد المهدي العباسي وذلك بعد ان مضى على عمارته ستمائة وخمسين عاماً .

وفي سنة ٨٢٥ في أول سلطنة السلطان الملك الاشرف برسباي الملك الثامن من ملوك الجراكسة بمصر أرسل الامير مقبل القديدي الى مكة وأمره بعمارة أماكن متعدده من المسجد الحرام كان قد استولى عليها الخراب فقام بذلك وأحسن بناءها وجدد كثيرا من أسقف . بحرام كان قد تآكلت أخشابها ، وعمر (باب الجنائز) من أبواب المسجد الحرام وهو باب النبي ﷺ وقد كتب تاريخ تلك العماره المذكوره على حجر بالخط البارز نقراً بخط سقيم متراص بعض الاسطر على بعض ووضع بين عتدي نافذتي باب النبي المذكور ، واليك ما كتب على الحجر المذكور .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاه ﴾ أمر بتجديد الباب الشريف للنبي ﷺ سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان الملك الاشرف أبو النصر برسباي خادم الحرم الشريف وأمير المؤمنين أللهم أعز نصره ، على يد الفقير الى الله تعالى الوزير المقدم

مقبل القديدي المكي الاشرفي بتاريخ ذي القعدة الحرام أحد شهور سنة ٨٢٥ ولا يزال هذا الباب على ذلك البناء الى العصر الحاضر ولم يجدد في عمارة السلطان سليم بن سليمان .

قال نجم الدين بن فهد القرشي في كتابه (اتحاف الورى) : ان الامير مقبل القديدي عمر (باب الجنائز) على صفته لأنه قد سقط ما فوق أحد البابين الآخرين وأزيل الحاجز الذي كان بينهما وأزيلت الاسطوانتان الرخام اللتان تليان هذا الحاجز وعمر بحجارة منحوتة حتى ارتفع وعمر أماكن بهذا الموضع بين (باب علي) و(باب العباس) وموضع [illegible]

الافضلية . انتهى قال قطب الدين في (الاعلام) : رباط [illegible] قايتباي والمدرسة الافضلية هي أوقاف الخواجه محمد بن [illegible] ، بينهما بابان للمسجد يقال له باب النبي ﷺ . اه .

وهذا رباط الافضلية كان موضعه بين باب النبي ﷺ وباب العباس

ثم قال ابن فهد : وعمر الامير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المنسوبة الى القاضي أبو السعود بن ظهيرة الى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد في عرض العقود التي تلي الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود في الصف الثالث وأحكم الاساطين التي عليها هذه العقود وهي سبعة أساطين في الرواق الأول ، وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه ، وسبعة متصلة بجوار المسجد ، وجدد من أبواب

المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاث طاقات ، وباب على وهو ثلاثة طاقات ، والباب الاوسط من أبواب الصفا وهى خمسة، وباب العجلة وهو باب واحد ، وأحد بابى الزيادة وهو الواقع فى الركن الغربى من الزيادة — باب القطبى — ورمم باقي أبواب المسجد وبيض غالبه ، واصلح سقفه، وكل ذلك على يد الأمير مقبل المذكور ، ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس. انتهى وذكر هذه الاصلاحات المتقدمة الفاسى فى (شفاء الغرام) وقطب الدين فى (الاعلام) وذكر الفاسى أنها كانت فى سنة ٨٢٥ وهو يطابق ماهو مكتوب على الحجر الذى فى باب النبي. وقال بعض المؤرخين أنها سنة ٨٢٦ وهذا لا يتعارض مع التاريخ المتقدم لجواز أن تكون العمارة استمرت من سنة ٨٢٥ الى سنة

قال ابن فهد فى اتحاف الورى فى حوادث سنة ٨٣٠ : وفيها وصل سعد الدين إبراهيم بن يوسف الصبيلي الغزي المشهور بابن المراءة المصري مباشرا الديوان بساحل جدة ، وناظرا عليها وصحبته شاهين العثمانى شادا على الديوان. ومعهما مراسيم بعمارة الحرم الشريف وترميمه وج . . . . فيه وبطحه ، فحرث بالبقر جميع المسجد الحرام وكوم التراب جميعه كيمان ثم رفعت بالغلق والحمير الى أسفل مكة وزال من الحرم ، وبطح الحرم بطحا مغربلة من ذى طوى باسفل مكة ، ووادى الطنبداوى ، وعمرت ثمانية عقود بالجانب الشمالى مما يلى صحن المسجد الحرام ستة تلى الأسطوانة

الحمراء الى صوب باب العمرة وأثنتان يليانها الى صوب باب بنى شيبة وفرغ من ذلك فى شعبان ، وبيض شاهين المقامات الاربعة ، ومقام إبراهيم وعقد الصفا ، وبنى درجا على أبواب المسجد الحرام صردًا للسيل عنه على باب الزيادة ، والعجلة ، والندوة ، وإبراهيم ، وباب الرحمة ، واجياد ، والصفا وبقية الابواب . وذكر ابن فهد فى حوادث سنة ٨٣٨ أن الامير سودون المحمدى وصل اليه من القاهرة خمسون جملا من الجبس لبياض أروقة المسجد الحرام وعشرة قناطير حديد لعمل مسامير وأربعون قطعة خشب لشد أروقة المسجد الحرام .

قال قطب الدين الحنفى فى (الاعلام) وفى سنة ٨٤٣ فى أيام الملك الظاهر سيف الدين جقمق الملك العاشر من ملوك الجراكسة عمر الامير سودون المحمدى ما له على مكة بأمر جقمق بالمسجد الحرام وفى الكعبة الشريفة ، وأصلح رخام الحجر وبيض مأذنة باب السلام ، وأصلح مأذنة باب العمرة ، وبيض مأذنة باب الحزورة ، ورمم أسافل مأذنة باب على ، وأصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة لخرابه ، وأصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام ، وبيض علو مقام إبراهيم ، وعلو مقام الحنفية ، وقبة باب إبراهيم ، والاميال أحدها الملتصق بدار العباس فى المسعى ، والميل الثاني فى ركن المسجد بقرب باب بازان ، والذى يقابله . ثم قال قطب الدين عقب ذلك : وعمر الامير سودون ما بقى من المواضع

المأثورة فى منى ، وفى المشعر الحرام بمزدلفة ، ومسجد نمرة بعرفة ، وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذى كان بين المأزمين فى طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والمحاير اه .

وذكر ابن فهد فى حوادث سنة ٨٤٦ أنه فى يوم الاحد ١٦ شوال شرع الامير تمم فى هدم سقف الرواق الغربى من المسجد الحرام وسقف بعضه ، ثم فى سنة ٨٤٨ أكمل تقرير بقية سطح المسجد الحرام من ناحية باب الصفا ، وكمل سقف جميع الرواق الغربى ، وفيها عمر أيضا فى المسجد الحرام أماكن ، وفى يوم السبت ١٥ ربيع الأول من السنة المذكورة قلع الرخام الذى بأرض الحجر جميعه خلا الرخامة الخضراء ، وشرع فى عمل ذلك وانتهى منه من يوم الخميس ١٠ جمادى الأول ، وفى التاريخ المذكور كشف البيت الذي فيه بئر زمزم فلما كان فى ليلة الثلاثاء ١٤ جمادي الآخرة قلع الرفرف بزيادة دار الندوة ، وزيادة باب ابراهيم .

وفى سنة ٨٥٢ عمر ناظر الحرم بيرم خواجا فى الجانب الشرقى قطعة من جدار المسجد الحرام مما يلى رباط السدرة الذى هو الآن رباط الاشرف قايتباي وجدد فى الرواق القبلى من الجانب الشامى سبعة عقود . قال ابن فهد فى حوادث سنة ٨٥٢ : فيها عمر ناظر الحرم بيرم خجا بالجانب الشرقي قطعة ، وعمل على كل من الباب المذكور مما يلى مدرسة قايتباى عقداً لان أخشاب سقف المسجد الحرام اكلتها الأرضة فقصرت عن الركوب

على الجدار ، وفي الرواق المقدم من الجانب الشمالي سبع عقود وكان ذلك في رجب وشعبان اه .

وقال ابن فهد وفي سنة ٨٥٤ عمر ناظر الحرم الامير بردبك بعض سقوف المسجد الحرام . ثم قال : وفي المحرم سنة ٨٨١ غير رخام الحجر داخلا وخارجا ، وعمل الرصاص بأرض المطاف حول الكعبة . وجاء في بلوغ القرى ذيل اتحاف الورى لعبد العزيز بن عمر بن تقي الدين ابن فهد القرشي في حوادث سنة ٨٨٥ انه في يوم السبت ١٣ شوال حضر قاضي القضاة ناظر الحرم الشريف برهان الدين بن ظهيرة القرشي الشافعي بالمسجد الحرام [illegible] الخواجه كمال الدين الظاهر شاه بندر [illegible] بالرواق [illegible] الناحية الغربية من المسجد [illegible] ذكر [illegible] الحرام ينزف منها ماء المطر ، ففي يوم الثلاثاء ١٠ الشهر [illegible] ثلاثة أماكن في الرواق المذكور في مكان ثلاث خشبات ، وفي مكان اثنين ، وفي مكان واحدة ، بخشبهم صنوبر ، واعاد وادهم خشبا وكمل اصلاح ذلك في يوم الجمعة ثم عمل بالنورة من فوقه اه

وفي شهر صفر سنة ٨٩٤ شرع في اصلاح حاشية المطاف باخراج البطحات التي بها ، وسبب ذلك انه وقع مطر وسال السيل يسيراً فدخل من

باب العجلة – الباسطية – الى المسجد الحرام وكانت العتبة (دبل مجاري المياه) مسدودة لم تحفر على جرى العادة فأمر الناظر قاضي القضاة جمال الدين أبا السعود بن ظهيرة بحفر حاشية المطاف فحفرت وأخرج منها بطحات كثيرة لكنها مخلوطة بتراب فغربلت وأخرج التراب من المسجد وبطحت الحاشية ببعض البطحات وفرق باقيها بالمسجد الحرام في الاماكن المحتاجة لذلك ، وحفر أيضا الزقاق المتوصل الى باب السدة — العتيق — فانه كان أرفع من الطريق ، ومنع السيل من التوصل الى مجرى العتبة التي عند الباب وتوصل الى باب العجلة فوجد مجرى العتبة مسدودا فدخل المسجد الحرام ولما ... الى المطاف فعمل ذلك لأجل هذا . وكان اكمال العمل في أوائل شهر ربيع الاول من تلك السنة في شهر جمادي الآخرة سنة ٩١٥ عمل الخواجه محمد بن عبادالله الرومي في المسجد الحرام أشياء منها أن قبة مقام الحنفي هدمت وأعيدت باخشاب جديدة ونورة وبيضت وجعل لها هلال جديد ، وغير أخشاب الشبابيك التي بزمزم ، ورخم قبة الفراشين وسد الشبابيك التي تلي الصفا وهي ثلاثة ، والشباكين اللذين يليانها اللذي يعلو مقام ابراهيم عليه السلام والساباط المتصل بها وأعيد جديدا ثم جعلت القبة خضراء ، وأسفلها طراز مذهب ، ودهن قبة المقام والساباط وجعل في القبة ذهب كثير ، وكذلك في أساطين المقام وخشبه المؤخر وغير الاخشاب التي في الدرابزين ، وصار ذلك لائحا لمن يريد الزخرفة . وفي

آخر ذى الحجة سنة ٩١٥ ايضا شرعوا فى هدم وإصلاح شىء من جانبى باب الدريبه مما يلى المسجد الحرام ، وفى يوم السبت ٤ محرم سنة ٩١٦ شرع فى سقف المسجد الحرام ، من جهة باب الدريبه وهو مدهون بالذهب .

هذا ما ذكره قطب الدين فى (الاعلام) ثم قال وفي سنة ٩٠٧ فى ولاية السلطان الاشرف الملك قانصوه الغورى أرسل أميراً من أمرائه يقال له خير بك المعمار لتعمير زيادة باب ابراهيم فبنى على باب ابراهيم عقداً كبيراً جعل علوه قصراً : وفى جانبه مسكنين لطيفين : وبيوتا معدة للكراء حول باب ابراهيم ووقف الجميع على جهات الخير . وبنى ميضأة خارج باب ابراهيم ثم أبطلت لظهور الرائحة الكريهة منها ، وبني من داخل باب إبراهيم على يمين الداخل حاصلا في أرض المسجد — صهريج — وبني علوه سكنا ، وعلى يسار الداخل مثله ، وقرر فيها بعض المستحقين . وجعل في الجانب اليماني من هذه الزيادة حاصلا يشتمل على سبيل ماء وصهريج كبير يمتلي من ماء المطر من سطح المسجد ، وأبقى الجانب القبلي ، والجانب الشمالى على حالهما ومن آثاره الترخيم الواقع في حجر البيت الشريف عمل بأمره في أيامه ، واسمه مكتوب فيه ، وفرغ من عمله سنة ٩١٩ وفي يوم الخميس ٩ شهر ذى القعدة سنة ٩١٧ بنيت دكة ثانية بالزيادة وهى التى تلى باب الزيادة وجعل فيها باقى ما نزع من الحجر ، ومن بئر زمزم ومن مقام الحنفى . وجاء في بلوغ القرى لابن نجم الدين بن فهد القرشى في حوادث سنة ٩١٧ : أنه في

يوم السبت ١٢ من جمادى الآخرة شرع البناؤون والفعلة والنجارون في إصلاح علو مقام الحنفي فاصلحت القبة ورم مافيها من الخشب والنورة .

قال في (الاعلام) وفي يوم الثلاثاء ١٣ شهر رمضان سنة ٩١٨ أمر الامير الباش ، برصاص أذيب في المسجد وعمل في أماكن في المطاف . وفي شهر ذي القعدة سنة ٩٢٠ صدر أمر سلطاني على نائب جدة باجابة طلب الخواجه ابن عباد الله بأن يرصص أرض المطاف ، ويقطع أرض المسعى ومجرى السيل الى المسجد ، ووصل الى مكة خمسون قنطارا من الرصاص وشرع في ذلك يوم الجمعة ١٢ من الشهر المذكور . وفي سنة ٩٦١ فرش المطاف ناظر الحرم الشريف أحمدچلبي فانه لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف شرع في تسوية فرش المطاف فان احجاره انفصلت وصار بين كل حجرين حفر وكانت تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتارة بالرصاص وتسمر بمسامير الحديد، فازال مابين الأحجار من الحفر ونحت طرف الحجر الى أن الصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الأربعة واستمر فرش المطاف بهذا الاسلوب الى أن فرغ من ذلك وأصلح أبواب المسجد الحرام وفرش المسجد جميعه بالجص .

قال في الاعلام : وفى سلطنة السلطان سليمان بن سليم خان عمر سنان باشا حاشية المطاف وكانت من بعد اساطين المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة بالجص . فدور بها دور حجارة منحوتة مبنية حول

الحاشية بالحجر الصوان المنحوت ففرشت به فى أيام الموسم وصار محلا دائراً بالمطاف من بعد أساطين المطاف اه.

ويدل ذلك على ان سنان باشا هو أول من فرش الحاشية المذكورة بالحجر المنحوت، وهذه الحاشية هى التى عليها المقامات الثلاثة حول المطاف.

وروي السنجاري فى منائح الكرم نقلا عن العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن عيسى المرشدي من بعض مسوداته انه قال: وأما المماشى الأربعة التى احدها الى باب السلام، والأخري الى باب الصفا، والاخرى الى باب العمرة، والأخرى الى باب الحزورة، والجناحان اللذان بجانبي مقام الحنفى، والفرش الذي خلفه، والذي تجاه المنبر كل ذلك محدث بعد أن فرش المطاف بالمرمر، وذلك سنة ١٠٠٣ ألف وثلاثة فانهم كانوا كلما قلعوا شيئا من المطاف جعلوه فى هذه الاماكن، وكذلك المحل الذى جعل مصلى لشريف مكة بصحن المسجد مما يلى باب أم هانى وذلك فى سلطنة السلطان محمد بن مراد. ثم قال السنجاري: وتم ترخيم المطاف سنة ١٠٠٥ وأمر السلطان محمد خان بترخيم مقام الحنفى ومحرابه فى ١٤ شوال سنة ١٠١٠ وأمر أيضا بترخيم المطاف فى السنة المذكورة وفيها جدد الشاذروان الملاصق بجدار الكعبة وكان ابتداء عمله فى اليوم السابع من شعبان من السنة المذكورة، وارخ بعض الاروام ذلك بقوله.

زان المطاف بمرمر ملك الأنام محمد

فى سنة ١٠١٥ أمر السلطان أحمد بن محمد بترميم المقامات الأربع وفي سنة ١٠٧٢ وردسليمان بك صنجقا على جده وفوض اليه مشيخة الحرم ونظارته وعمارته ، وورد معه عمال من الأغا محمد كزلار مولانا السلطان محمد بن ابراهيم لعمارة المسجد الحرام ، والمشاعر ، فشرع فى عمارة المسجد وترميمه ، وبناء مقام الحنفى بالحجر المنحوت الصوان وبالاصفر المسانى وغير قبة زمزم وبناها على الصفة الباقية الى الآن ، ونقش مقام ابراهيم ﷺ بالذهب وأنواع الصبوغ ونقش المقامات كذلك وجعل أعلاها مصفحا بالرصاص عوض الطبطاب الاول ، وجعل فى أعلامقام الحنفى ، رصافتين مطلية بالذهب ، وفي بقية المقامات رصافة ، رصافة ، وجعل ثلاث رصافات كبار قبل كل مقام ، وقبل مقام الحنفى أربعة ، والكل مطليات بالذهب ، ورمم المنابر السبعة وزاد فى حاشية المطاف فرشا بالحجر المنحوت زيادة قليلة ، ودهن علم المسعى وعين لها ثمانين قنديلا تسرج فى الثلاثة الاشهر رجب ، وشعبان ، ورمضان ، منتشرة من الصفا الى المروة فى اماكن متفرقة ، وعمر غير ذلك من المشاعر ، وكتب اسم الكزلار محمد أغا فى حجر والصقه فى جدار مقام الحنفى اه .

وجاء في اتحاف فضلاء الزمن للطبرى المكى انه في سنة ١١١٢ عمر ابراهيم بك أطراف المسجد الحرام وما كان محتاجا للتعمير باطنا وظاهراً وعمر المماشى وطبطابا فى باب الزيادة ، ورمم المنارة التى على باب السلا

ظاهراً وباطنا ، وكذلك منارة باب العمرة ، ومنارة الحزورة التي على باب الوداع ، والرفرف الذى على باب السلام وجده بأخشاب جديدة وفى افتتاح عاشوراء سنة ١١٣٤ بدأ المعمار محمد افندى فى ترميم المسجد الحرام وفرش بعض نواحى باب السلام بالحجارة . وفى ١٠ ربيع الاول سنة ١١٤٠ فرش المسجد الحرام بالحجارة المنحوتة وأزيل ما كان فيه من الطبطاب جميعه . اهـ .

وهذه العبارة تدل على أن أول من فرش أروقة المسجد الحرام بالحجارة المنحوتة فرشا محكما على ماهو عليه فى العصر الحاضر محمد أفندى المعمار وذلك فى عهد السلطان عبد الحميد خان الأول ابن السلطان أحمد خان الثالث العثمانى ، وكان قبل ذلك مفروشا بالطبطاب والله أعلم .

وجاء فى تحصيل المرام انه في سنة ١٢٥٧ حصل ميل عمودين بين باب البغلة ، وباب الصفا ، مما يلى صحن المسجد الحرام فصدر أمر السلطان عبد المجيد خان باصلاحهما واصلاح ما كان فى المسجد الحرام فابتدأوا بالعمارة فى ربيع الاول من السنة المذكورة فاصلح العمودان بعد هدم القبب والعقود التى عليهما ثم أعيدت كما كانت ، وأصلحوا عموداً ومافوقه من الرواق الذى وراء مقام الحنفى ، وأصلحوا المماشى وزيد فى ممشى باب الصفا ، وأحدثت ممشى باب على ، وبيضوا جميع المسجد الحرام ، وما زاد من الحجر فى هذه العمارة جعلوه دكة عند باب الزيادة وطبطبوا

ظاهرها ، وكان ذلك فى أمارة الشريف محمد بن عون ، وشيخ الحرم عثمان باشا . وفى سنة ١٢٨٢ بيضوا الحرم وأصلحوا طبطابه وقشوا عقوده ونقشوا المقامات والمنبر ، ومسحوا هلالاتها . وجعل رفرف على باب السلام من الخارج منقوش . وفى سنة ١٢٦٦ فرش باب السلام بالحجر المرمر وكل ذلك حصل فى عهد السلطان عبد المجيد خان العثمانى . وفى سنة ١٢٧٩ أمر السلطان عبد العزيز خان بترميم المسجد الحرام ، وسبب ذلك أنه دخل السيل فى المسجد فى ٨ جادي الاولى سنة ١٢٧٨ وكان دخوله قبل صلاة الصبح ووصل ذلك السيل قفل باب الكعبة المشرفة وغطى مقام المالكى وتعطلت صلاة الجماعة خمسة أوقات ولم يصل فى المسجد الحرام ذلك اليوم أحد الا أناس صلوا صلاة العصر على دكة باب الزيادة ، وغرق خلق كثير فى الحرم ، وغرقت نفوس كثيرة أيضا خارج المسجد الحرام ، وحصر الذين ماتوا فى السيل فكانوا فوق العشرين ، وتخرب فى المسجد أرض الاروقة وماشيه وحاشية المطاف ، وكان الامر موكولاً الى الشريف عبدالله بن أمير مكة الشريف محمد بن عون ، والى شيخ الحرم الحاج أحمد عزت باشا . فشرعوا فى ٢٨ جادى الآخرة سنة ١٢٧٩ باخراج جميع ما فى الأروقة من الطبطاب القديم ، وكذلك المماشى . وحاشية المطاف ، وأصلحوا كل ذلك وجددوه باتقن مما كان سابقا ، وتم العمل فى غاية ذى الحجة من السنة المذكورة . اهـ

هذا حاصل ما وقفت عليه فى كتب التاريخ الخاصة بمكة المكرمة وغيرها من الذى قد ذكرت اسماءها وعزوت كل عمارة ومرمة واصلاح الى من ذكرها منذ القرن الثامن الى نهاية القرن الثالث عشر فجزى الله سبحانه وتعالى كل من أحسن عملاً بالمسجد الحرام ووفق المثرين من اخواننا المسلمين بايصال مبراتهم الى الحرمين الشريفين لاعمارها كما يقضي عليهم الواجب الديني لأنهم عن ذلك غافلون، ولفيلتهم الذاتية وملذاتهم مشتغلون فانا لله وانا اليه راجعون والله الموفق .

العمارات والمرامات التى أدركتها

﴿ منذ أربعين عاما ﴾

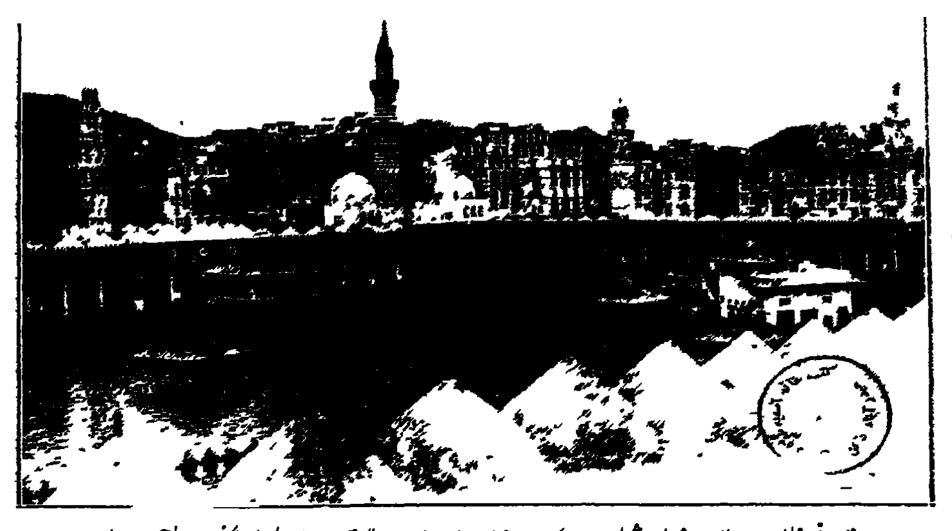
عمارة السلطان عبد الحميد خان الثانى العثمانى

وأما ما أدركته من العمار والاصلاحات والمرمات التى جرت فى عصر السلطان عبد الحميد خان الثانى ابن السلطان عبد المجيد خان العثمانى بالمسجد الحرام فاليك تفصيلها : وفى سنة ١٣١٤ جرت عمارة عمومية عظيمة فى عموم المسجد الحرام داخلا وخارجا ، وسبب ذلك أنه مضى عليه منذ عمارة السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٧٩ الى سنة ١٣١٤ نحو ٣٥ سنة لم يجر فيه ترميم واصلاح يذكر ولطول هذه المدة زالت ألوان الاصبغة والنقوش

المحلى بها عقود وجدار المسجد الحرام ، وتكاثف الغبار على الاساطين الرخام حتى عمل عليها طبقة مرمدة وتغير لونها البراق البلورى بلون قاتم، وأزالت الشمس ألوان ما كان من النقوش على المقامات وأبواب المسجد وتصدع الفرش الحجرى بداخل الاروقة والمماشى وحاشية المطاف التى عليها المقامات الاربعة ، وامتلأت بطون القبب من عش (طير الابابيل) ونسج العنكبوت بيوته على سقف وجدار المسجد الحرام ، وتراكم الغبار على عموم ما احتواه المسجد الحرام من ابنية ، وأبدل تلك الالوان الزاهية التى كانت بعد عمارة السلطان عبد العزيز خان تشبه رياض الحزن الموتقة بلون الرماد الباهت. وذلك لعدم تعهده طيلة تلك المدة بالمرمة والصلاح والتنظيف والعمارة اللائقة بحيث قد دخلت عدة سيول المسجد الحرام بعد عمارة السلطان عبد العزيز خان المتقدم ذكرها واتلفت قسما عظيما من فرش أرض الاروقة والمماشى ، ولم يقم الموكلون بما يجب عليهم نحو ذلك.

فلما كانت سنة ١٣١٤ هجرية صدر أمر السلطان عبد الحميد خان الثانى العثمانى باجراء ما يلزم المسجد الحرام من عمارة ، واصلاح ، ومرمة ، وتنظيف ، ونقوش ، وما أشبه ذلك . فقام ناظر الحرم الشريف فى ذلك العصر الوالى أحمد راتب باشا باجراء كل ما يلزم ، فعمل أولا نحو خمسين سلما من الخشب القوى الجاوى السميك وجعل كل سلم على أربعة قوائم بمقاسات مختلفة فى الطول حسب اللزوم. فأول ما ابتدأوا به من العمل تنظيف

القبب من عش الطيور والعنكبوت والغبار المتراكم وكافة الاوساخ، وكذلك تنظيف سطح المسجد الحرام مما تراكم عليه من الأوساخ، ثم تنظيف الاسطوانات الرخام، وعين ناظر الحرم لذلك قسما من الجنود التركية فكانوا يستعملون لتنظيف الأسطوانات الرخام قطعاً من الخيش يغسمونها في الماء ثم يكبسونها في الرمل الناعم ويدلكون بها الاسطوانات دلكا جيداً متكرراً عدة مرات وذلك لازالة الغبار المتراكم عليها وربما استغرق تنظيف الأسطوانة الواحدة أسبوعا أو أسبوعين حتى تنجلي ويعود لونها البراق البلوري الى حالته الاصلية، وهكذا جرى العمل في تنظيف عموم الاسطوانات الرخام. وأما الأعمدة المبنية بالحجر الصوان والحجر الشميسي وعموم عقود المسجد الحرام وجداره فقد احضروا الاصبغة الثابتة الملائمة لألوان الحجر الشميسي الذي قد عمر به المسجد الحرام في عمارته الاخيرة التي جرت سنة ٩٨٤ هجرية وهي أربعة ألوان أسود، وأحمر عنابي، وأصفر برتقاني، ورمادي، ووضعوا كل لون منها في اناء كبير ونصبوا تلك الاواني حول الاروقة من داخل المسجد الحرام ودهنوا كل لون بما نناسبه حسب أصله وأما بطون القبب وحاشية جدار المسجد الحرام السفلي ونصيفة الاعمدة الثخينة المبنية بالحجر الصوان فقد طلوها بعذاب الرخام الناصع البياض بعد أن رمموا كل ذلك بالجص رما محكما، وأصلحوا عموم الاحجار المرصوفة على أرض عموم الاروقة والمماد



يظهر في هذا الرسم وجود الماء داخل المسجد مثل البحيرة ، وذلك لما دخل السيل المسجد في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٢٧ هجرية ويسمى سيل الخديوي عباس حلمي باشا

وحاشية مدار المطاف، وكذلك رمموا عموم المنابر والمقامات الاربعة ومقام إبراهيم الخليل ﷺ وبئر زمزم ، وابواب المسجد الحرام ما محكما ودهنوها مع أخشاب المقامات باللون الاخضر وكذلك قبة مقام ابراهيم وقبة زمزم وغير ذلك ومكثت تلك العمارة محروسة بجد واجتهاد ونشاط تام، فساد المسجد الحرام الى أحسن ما ينبغي أن يكون عليه من البهجة والرونق والابهة والجلال كيوم أنشيء . وكتب تاريخ تلك العمارة تحت (طره) بالذهب باسم السلطان عبد الحميد خان بن السلطان عبد المجيد خان العثمانى سنة ١٣١٤ ووضعت بعلو باب النبي ﷺ وهى لا تزال فى موضعها الى العصر الحاضر على شكلها يوم وضعت .

عمارة السلطان محمد رشاد خان

وأما العمارة التى أجريت فى عصر السلطان محمد رشاد خان بن السلطان عبد المجيد خان العثمانى فهى من العماير المهمة التى أدركتها وإليك بيانها : وذلك أنه دخل سيل عظيم المسجد الحرام فى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٢٧ هجرية وقد سمى ذلك السيل بسيل (الخديوى) وهو لانه قد حج فى ذلك العام خديوى مصر السابق عباس حلمى باشا فملأ المسجد الحرام من أقصاه الى اقصاه، حتى بلغ ارتفاعه الى عتبة باب الكعبة المعظمة وغطى الحجر الاسود وحجر اسماعيل عليه السلام ، وصار منظره أشبه ببحيرة ، وقد أخذت

صورته الشمسية بتلك الحالة ، أخذها محمود افندى عرب كلى الرسام الشهير فى ذلك العصر ، وهى كما تراها بين صفحات هذا الكتاب ، ومكث الماء على هذا الشكل بالمسجد الحرام يوما وليلة حتى استدل على ابواب منافذ الاقبية والبلاليع التى قد عملت خصيصا مصارف لماء السيول حين دخولها المسجد الحرام من زمن عمارة المسجد الحرام سنة ٩٨٤ كما علم تفصيل ذلك فى موضعه مما تقدم ، فلما انصرف الماء حضر أمير مكة الشريف الحسين ابن على الى المسجد الحرام وحضر معه كافة الاعيان وأهل البلاد وشمروا عن سواعدهم وأخذوا ينقلون الاوساخ التى تراكمت بالمسجد الحرام من فضلات السيل المذكور الى الشوارع ثم [illegible] بالعمل فى اليوم الثانى واشتغل كافة أهل البلدة [illegible] الاوساخ [illegible] كافة الاوساخ [illegible] هذا الامر فى [illegible]

غير أنه قد أخل ذلك السيل [illegible] خام وبلاط المسجد الحرام وجداره وغير ذلك . فأصلح الشيء البسيط منها وأهمل اصلاح الاساطين المختلة التى قسم منها على الحصوة الغربية مما يلى باب العمرة الى باب الوداع ، وقسم منها فى الجهة الأمامية المطلة على الحصوة مما يلى الجنوب من باب أم هانىء الى باب على ، وبلغ عددها اثنتين وعشرين اسطوانة وذلك لان الخلل لم يظهر فى حينه .



العمال وهم ينظفون المسجد الحرام من داخله بعد دخول السيل فيه



منطقة باب ابراهيم وفيها العمال ينظفونها من فضلات السيل

فلما كان ابتداء سنة ١٣٣٤ صدر أمر السلطان محمد رشاد خان على ناظر الحرم ووالى الحجاز فى تلك السنة غالب باشا بعمارة المسجد الحرام عمارة عمومية فشرعوا فى العمل فى أول شهر صفر من السنة المذكورة وكانت الحرب العمومية فى أشد حالاتها وليس لولاية الحجاز طريق مواصلة مع عاصمة الحكومة العثمانية التى هى القسطنطينية غير طريق المدينة المنورة براً. وليس فيه من أدوات النقل غير الجمال وحدها ، لانه كان منتهى السكة الحديدية الحجازية المدينة ، ولذلك تعذر عليها جلب الالآت الفنية الحديثة ، فاستعملوا أحسن الطرق الممكنة التى تمكنهم من اتمام ذلك العمل . وكان العمل جار طبق نظر المهندسين التركيين اللذين تم حضرا من طريق المدينة لهذا الغرض فابتدأ القائمون بالعمل من قبل ناظر الحرم على ما يشيرا اليه المهندسان . فأول شيء عمل طارات من الخشب الجاوي اقوى على سعة عقود المسجد الحرام لاجل تحميل العقود المركبة على تلك الاسطوانات التى يراد إصلاحها وتعديلها ، فعملوا نحو عشرين طارة وحملوا عليها العقود المذكورة التى بالجانب الغربى والجنوبى وأخذ المهندسين برسم طرق العمل للعمال الوطنين من منقلين ونجارة . فأخرجوا إحدى الاسطوانات الامامية الواقعة بالجهة الغربية على حافة الحصوة مما يلى باب ابراهيم ، ولم يتمكنوا من إخراجها الا بعد بذل جهود عظيمة ، وذلك لثقلها ولعدم وجود النقالات الفنية الضخمة التى تستعمل

عادة فى نقل أمثال ذلك، ثم بعد اخراجها عملوا بدلا عنها أسطوانة صناعية فنية قوامها من الحديد والاسمنت ومسحوق الآجر والشعر، ثم كسيت بقطع من المرمر ممزوج بمركب فنى ، واستمر العمل فى صنعها نحو شهر حتى تم صنعها ، ومع كل ما صرفه المهندسون من العناية فى سبيل عمل هذه الاسطوانة فلم يستطيعوا أن يجعلوا لونها أبيضا كلون المرمر حيث صار لونها بين الحمرة والصفرة ، وربما كان ذلك عن قصد منهم لايجاد الفارق بين الاصل والمصطنع الفنى ، غير أنها على جانب عظيم من الحسن والمتانة . وقد سألت بعض القائمين بالعمل عن قدر المبلغ الذى صرف على تلك الاسطوانة فقال انه بلغ ذلك بما فيه أجر العمال وقيمة المؤن والاخشاب التى حملت عليها العقود الموالية لها والقالب الخشبى وما أشبه ذلك خمسمائة جنيه عثمانى .

وكان فى عزمهم عمل عدة اسطوانات من هذا القبيل بدل التى قد أصابها الوهن ولكنهم أرجئوا ذلك الى أن يتيقنوا من متانة تلك الاسطوانة وانتهاء الحرب العمومية كى يتمكنوا من جلب الآلات الفنية التى تخولهم عمل ذلك بغاية السرعة .

ثم أخذوا فى تعديل بعض الاسطوانات المائلة من الجهة الغربية ، فعدلوا منها نحو عشرة ، وأصلحوا كثيرا من أجزاء المسجد الحرام فى الاروقة والابواب والمنار وما أشبه ذلك. وبينما هم سائرون فى العمل من

مستهل شهر صفر الى تاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٣٤ الموافق ١١ يونيه سنة ١٩١٦ ميلادية اذ فاجئهم أمير مكة الشريف الحسين بن علي فى فجر يوم السبت ٩ شعبان من السنة المذكورة فأعلن استقلاله بالحجاز. ووقع الحرب بينه وبين الاتراك المقيمون بالحجاز. وبسبب ذلك الحرب وقف العمل الى ان انتهت الحرب العامه.

ثم فى سنة ١٣٣٨ صدر أمر الملك الشريف الحسين باتمام عمارة المسجد الحرام، فقام بالعمل على ما بلغنى ناظر الحرم ووزير الاوقاف محمد أمين أفندي أمصيلى وأخبرنى أمين العاصمة الحالى الشيخ عباس قطان ان والده الشيخ يوسف قطان هو الذي قام بعمل ذلك بصفته كان وكيل النافعة فى حكومة الشريف الحسين. وبما أنى كنت فى ذلك الوقت مقيماً بثغر ينبع من الاساكل الحجازية لم أقف بنفسى على حقيقة الذي قام بالعمل المذكور، والعهدة فى ذلك على الراوي. وقد عدلت بقية الاساطين المائلة ورمم عموم الخراب الواقع بالمسجد الحرام.

عمارة

جلالة الملك عبد العزيز السعود المعظم

فلما استولى جلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل السعود على الحجاز صدرت ارادته الملوكية بعمارة المسجد الحرام وذلك في سنة ١٣٤٤ هجرية فقام مدير الاوقاف السابق الشيخ محمد سعيد أبو الخير بترخيم عموم المسجد الحرام واصلاح كل ما يقتضي أصلاحه، من ترميم عموم الخراب الواقع في جدار المسجد الحرام وأروقته وأعمدته واصلاح المماشي وحاشية المطاف وعموم الابواب [illegible] ابراهيم الخليل ﷺ [illegible] اليمين [illegible] الازقة [illegible] الحرام [illegible]

[illegible] أوائل سنة ١٣٤٦ [illegible] ارادة جلالة الملك عبد العزيز [illegible] سعود المعظم باجراء عمارة عموم المسجد الحرام داخلا وخارجا على حسابه الخاص وعهد بتلك العمارة الى حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي الذي قد عمل عدة سنين في عمارة عين زبيدة وظهر من حسن أعماله ما جعل جلالة الملك المعظم أن يعهد اليه بعمارة المسجد الحرام. فقام الشيخ عبد الله الدهلوي الموصى اليه بتحضير اللوازم واستعان ببعض رجال العمال من هيئة عين زبيدة

وابتدأ العمل فى مستهل جمادى الاولى من السنة المذكورة فرمم عموم فرش أروقة المسجد الحرام من جهاته الاربعة مع زيادتى دار الندوة وباب ابراهيم وعموم المماشى والفرش الحجرى الذى عليه المقامات الاربعة حول مدار المطاف، وعموم بلاط الابواب، وجدار المسجد الحرام داخلاً وخارجا والدرج المصعدة لابواب المسجد الحرام، ونظف القبب باطناً وظاهرا وأصلح كل خراب وقع فى أبواب المسجد الحرام الخشبية، وطلى بأنواع الاصبغة عموم عقود، وجدار، وأعمدة المسجد الحرام الملونة كل لون بحسب لونه الاصلى داخلاً وخارجاً ما يناسب ألوان الحجر الشبيهى من أسود وأصفر برتقانى، وأحمر عنابى، ورمادى وكذلك مسح عموم الاساطين [illegible] وأزال عنها ما كان تراكم عليها من الغبار حتى عادت الى لونها الاصلى الناصع البياض البراق حيث قد مضى عليها منذ عمارة السلطان عبد الحميد سنة ١٣١٤ الى هذه السنة بدون جلاء نحو اثنين وثلاثين سنة، وأصلح ظلة مقام الحنفى وغير بعض أخشابها وكساسقفها بالمعدن الأبيض (التوتوه) وأصلح مظلة مقام ابراهيم الخليل ﷺ، وكساها ايضا بالمعدن الابيض (التوتوه) وطلاها باللون الاخضر، وأصلح مظلة قبة زمزم اصلاحاً جيداً وكساها بالمعدن الابيض (التوتوه) وطلاها بالدهان الاخضر حسب المقامات الاخرى. وطلى الاساطين النحاس المحاطة بجدار المطاف التى تعلق فيها مصابيح الكهرباء بلون أخضر

وطلى رؤسها بلون ذهبي ، وأصلح شاذروان الكعبة المعظمة فجبس بعض أحجاره بالجبس وملأ الفراغ الذي بين الاحجار وأحكمه إحكاما جيدًا وفرش حصاوى المسجد الحرام بالحصباء بعد أن أزال ما فيه من الأتربة المتراكمة . ثم بعد أن انتهى من عموم ما تقدم رخم عموم جدار المسجد الحرام داخلا وخارجا السفلى منه الذي كان عادة يرخم بالرخام الابيض الناصع ، وكذلك رخم منتصف الاعمدة الثخينة المبنية بالحجر الصوان القسم السفلي منها ، وعموم أبواب المسجد ، ودار الندوه ، وفسحت باب ابراهيم وبطون القبب والطواجن وأضاف الى الرخام زهرة النيل الزرقاء لازدياده رونقا وجمالاً .

واستمر العمل فى ذلك الى نهاية ربيع الثانى سنة ١٣٤٧ فاستغرق العمل سنة كاملة ولم يترك شيئا بالمسجد الحرام الا أصلحه اصلاحا متقنا حتى عاد فى بهجته ورونقه وجماله كيوم أنشيء . وقد صرف على ذلك العمل ما يربو على ألفي جنيه ذهب وكان هذا المبلغ تبرعا من صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود خلد الله ملكه ووفقه لما فيه خير العباد والبلاد .

ونال الشيخ عبدالله الدهلوي من جلالة الملك المعظم التقدير اللائق بعمله لانه من الرجال الموفقين للخير وله أعمال جزيلة يشكر عليها منها أنه قام بعمارة عين الوزيرية بجدة بعد إندثارها نحو ستين عاما حتى أعادها

الى ما كانت عليه من الجريان كما سبق ودخل الماء فيها جدة واستفاد منه أهلها استفادة عظيمة . فجزى الله كل عامل على حسن عمله خير الجزاء .

ثم جرى بعد ذلك بالمسجد الحرام من قبل مديرى الاوقاف بعض أصلاحات وترخيم المسجد الحرام عند أقبال كل موسم من مواسم الحج كما هي العادة المتبعة قديما وحديثا .

ومما هو جدير بالذكر أنه صدرت ارادة جلالة الملك المعظم ملك المملكة العربية السعودية الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود حفظه الله تعالى باجراء عمارة عمومية بالمسجد الحرام داخلا وخارجا وذلك في هذه السنة ١٣٥٤ والكتاب تحت الطبع فصدأمر صاحب السمو الملكى النائب العام لجلالة الملك المعظم الامير فيصل بن جلالة الملك عبد العزيز السعود بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١٣٥٤ بتشكيل لجنة مؤلفة من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد القادر الشيبي الفاتح الثانى لبيت الله الحرام ونائب مجلس الشورى الثانى رئيسا لهذه اللجنة ، والشيخ سليمان أزهر معاون مديرية الاوقاف بمكة ، والسيد هاشم بن سليمان نائب الحرم وكيل رئيس مجلس ادارة المسجد الحرام ، والشيخ على مفتى أحد أعضاء هيئة أمانة العاصمة ، أعضاء لهذه اللجنة ، وعهد الى هذه اللجنة باجراء الكشف اولا على عموم مايلزم للمسجد الحرام من عمارة واصلاح وتجديد كل مايلزم تجديده من أبواب وطبطاب وغير ذلك ، وتعين سكرتيرا

لهذه اللجنة السيد حمزه المرزوقي أبوحسين السكرتير الثانى لمجلس الشوري فقامت هذه اللجنة بما عهد اليهـا وأجرت الـكشف اللازم على المسجد الحرام بحضور مهنـدس امانة العاصمة ومعاونه وكبار المعلمين والمنقلين والنجارين وقرروا ما يأتى .

أولا : أصلاح الأرضية المفروشة بالحجر الصوان الواقعـة حول مدار المطاف التى عليها المقامات ، وداخل الحصاوى عدا في ذلك المماشى بازالة عموم الاحجار الغير صالحة ورصفها من جديد رصفا جيدا متقنا وأن يكون جبسها ولحامها فى بعضا بالاسمنت والنورة والحصحاص ويكون نسبـة ذلك من كل صنف الثلث بصفة فنية منتظمه على نسق واحد .

ثانيا : اصلاح أرضية أروقة المسجد الحرام وذلك بازالة الاحجار الغير صالحة ووضع غيرها مما هو صالح ، وتكسير الطبطاب الخرب وتعلية الفراغ الواقع بين الحجارة المرصوف بها أرضية الرواق بالنورة ويكون ذلك بصفة متقنه وعلى نسق واحد .

ثالثا : نقض جص جميع الجدار المسبخة بالمسجد الحرام واصلاحها بأن تجصص بالاسمنت والنورة كى تمنع تسرب الرطوبة الى الجدار المذكورة واصلاح العقد الموالى لباب الصفا إصلاحا تاما .

رابعاً : ترخيم عموم المسجد الحرام من داخله ، وخارج الابواب ، وبيت زمزم ، وترميم الشقوق الواقعة فى بعض قباب المسجد الحرام .

خامسا : تجديد الاصبغة الموجودة بعموم أبواب المسجد الحرام عافيها الجدار الواقع خارج المسجد من باب بازان الى باب العباس ؛ وتجديد الاصبغة التي بداخل أروقة المسجد الحرام على حسب ماهو عليه من السابق مع الاعمدة المثمنة بالالوان الاحمر العنابي ، والاسود ، والاصفر البرتقاني ، والرمادي ، وكذلك تجديد أصبغة الاساطين النحاس الواقعة حول مدار المطاف باللون الاخضر ويكون رأس كل اسطوانة منها ووسطها بلون الذهبي ، وكذلك المقامات الاربعة تجديد صباغها على حسب ماهي عليه سابقا ، واصلاح باب بني شيبة ونقشه بالاصبغة المناسبة له ، وصبغ واجهة عموم أبواب المسجد الحرام ، وباب بئر زمزم باللون المناسب لها.

سادسا : اصلاح عموم أبواب المسجد الحرام بالخشب الجاوي القوى وازالة كل ما بها من عطب وخراب .

سابعاً : ازالة عموم الاتربة الواقعة فى حصاوي المسجد الحرام وقطع أرضها وتخفيضها بمقدار عشرة قراريط وحمل ذلك كله الى خارج البلاد وفرش الحصاوى المذكورة بالحصباء النقية بقدر ربع ذراع معماري .

وقدر لذلك اثنا عشر ألف ريال وأربعمائة وثلاثة وثمانون ريالا عربيا سعوديا ، ثم رفعت اللجنة المشار اليها تقريرها المتقدم ذكره الى المقام السامي ، ولدى عرضه على صاحب الجلالة الملك المعظم الامام عبد العزيز السعود حفظه الله تعالى صدرت ارادته السنية بالموافقة على اجراء التعمير المذكور بمقتضى قرار اللجنة .

وعا ان من العادة القديمة أن تقوم مديرية الاوقاف بصرف كل ما يلزم لترميم وعمارة واصلاح ما يلزم للمسجد الحرام وذلك حين كان يرد اليها ريع عموم ما أوقفه أهل الخير من أجلاء المسلمين عما فى ذلك الملوك والسلاطين وأهل البر والاحسان فى مشارق الارض ومغاربها ، وقد حبس ذلك الريع وانقطع وروده واستولت عليه الايدى الغاصبة فاصبحت ادارة الاوقاف عاجزة عن القيام بهذه العمارة المذكورة فقد تكرم وأحسن جلالة الملك المعظم عبد العزيز السعود حفظه الله تعالى . بصرف نصف المبلغ المقدر للعمارة المذكورة من مخصصه الخاص به والنصف الآخر تقوم بصرفه مديرية الاوقاف من صندوقها ، وأن يكون مباشرة العمل سريعا تحت مراقبة واشراف اللجنة المتقدم ذكرها .

فقابلت اللجنة المذكورة هذا العطف الملوكى بالشكر والامتنان وبدأت العمل أولا فى ازالت الاتربة التى بالحصاوى بتاريخ ١٩ رمضان سنة ١٣٥٤ ، ثم عملت طلاء الاساطين النحاس الواقعة حول المطاف ، وطلاء مقام إبراهيم الخليل ﷺ والمقامات الاخرى بتاريخ ٢٥ رمضان من السنة المذكورة ، وابتدأ باصلاح الفرش الحجرى الواقع حول مدار المطاف ، واصلاح عموم ما تقرر اصلاحه من تاريخ ٤ شوال سنة ١٣٥٤ من تنظيف القبب واصلاح أبواب المسجد الحرام وصبغ ما كان منها



يظهر في هذا الرسم السرادقات التي نصبت داخل المسجد الحرام في حج سنة ١٣٤٥ هجرية لوقاية المصلين من حر الظهيرة

مبنيا بالحجر الشميسي وغير ذلك ولا يزال العمل جاريا بهمة ونشاط في اتمام عموم ما تقرر عمله . هذا ما كان من المرمات والاصلاحات التي أجريت بالمسجد الحرام في عصر جلالة الملك عبدالعزيز المعظم حفظه الله وأبقاه من يوم تولى الحجاز الى تحرير هذه الاسطر وفقه الله تعالى إلى ما يحبه ويرضاه .

عمل المظلات بالمسجد الحرام

عا أنه قد كثر ورود الحجاج في سنة ١٣٤٥ كثرة عظيمة حتى بلغ عدد الواردين منهم من جهة البحر مائة وأربعين ألفا ، ومن البر ما يربو على ثلاثمائة ألف ، وهذا العدد سواء كان من جهة البحر أو البر يندر وقوعه في مواسم الحج الاخرى ولذلك ضاق المسجد الحرام بالمصلين فاضطرت الحكومة العربية السعودية أن تضع سرادقات في حصاوي المسجد الحرام لأجل أن يستظل تحتها المصلون من وفود بلد الله الحرام ويتوقون بظلها من ضربة الشمس وحر الظهيرة ، ونتج من ذلك نفع عظيم لقسم عظيم من المصلين كما هو ظاهر في الصورة الشمسية بهذا الكتاب فقد وقت تلك السرادقات والصواوين أكثر من عشرة آلاف حاج كانوا يؤدون صلاتهم في حصاوي المسجد الحرام في وقت صلاتي الظهر ، والعصر ، وقد مضى ذلك العام على تلك الحالة .

ثم في سنة ١٣٤٦هـ صدرت ارادة جلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام عبد العزيز السعود حفظه الله تعالى على وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان الحمدان بعمل مظلات قوية ثابتة على دائرة الحصوة مما يلي أروقة المسجد الحرام من الجهات الاربعة ليستظل تحتها المصلون من حجاج بيت الله الحرام ويتقون بها من حر الظهيرة ومن ضربة الشمس، وأن تكون في غاية المتانة بحيث لا تزعزعها تيار الهواء، لأنه قد ظهر فعلا أن الرياح قد عبثت بالسرادقات التي قد نصبت في سنة ١٣٤٥ مراراً .

فقام وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان بعمل مظلات قوية قوامها من الخشب الجاوي الثخين على شكل (جملون) وكسى ذلك الجملون بالقماش القوي الثخين المنسوج بالقطن الابيض المسمى (بالقلع) من أعلاه ونصبت على حافة الاروقة مما يلي حصاوي المسجد الحرام من جهاته الاربعة فصارت توضع هذه المظلات بالمسجد الحرام في أشهر الحج عند كثرة الحجاج وازدحام المصلين بالمسجد الحرام، وترفع بعد سفر الحجاج من مكة الى أوطانهم .

وقد حصلت من هذه المظلات منفعة عظيمة للحجاج اذ وقتهم من حر الظهيرة مدة اقامتهم بمكة عند ادائهم صلاتي الظهر والعصر الى سفرهم لاوطانهم . حيث قد استظل تحتها بضعة عشر ألف حاج، وانفق عليها مبلغا لا يستهان به .



شارع المسعى

هذا الشارع العظيم التى عتد من الصفا الى المروه هو من شعائر الله تعالى ومن المشاعر العظام وقد نص عليه القرآن المجيد بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

وقد فرض الله تعالى على المسلمين أن يسعوا بين الصفا والمروة كما رواه الامام أحمد بن حنبل بسنده عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت ابى تجرأة قالت رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى حتى ارى ركبتيه من شدة السعى يدور به ازاره وهو يقول « اسعوا فان الله كتب عليكم السعى » وصار بعد ذلك السعى بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج عند الامام الشافعى ، والامام أحمد ، ورواية عن الامام مالك ، وواجب عند ابى حنيفة ومن وافقه من الأئمة . ومن ذلك العهد الى العصر الحاضر لم يفكر أحد من المسلمين في رصفه أو عمل مظلة عليه فقد مضى عليه ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن التراب فراشه والسماء سقفه . غير أنه فى خلافة ابى جعفر المنصور العباسى كان قد بنى عامله

على مكة المكرمة عبد الصمد بن على درجا على الصفا اثنتا عشرة درجة و
المروة خمس عشرة درجة كحلت بعد ذلك بالنورة في زمن مبارك الطبري
في خلافة المأمون بن هارون الرشيد العباسي . كما ذكره الازرقي في كتا
(أخبار مكة) والسيوطي في كتابه (الاوائل).

وروى ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه شرح الايضاح في مناسك
الحج للامام النووي عن الرضي بن خليل المالكي انه قال : كان
الصفا اثنتى عشرة درجة ، وعلى المروة خمس عشرة درجة . ثم قال : وه
قبل ان يعلو الوادي . وقال المحب الطبري المكي : والمروة في وجهها عا
كبير مشرف ، وقد تواتر كونه حداً بنقل الخلف عن السلف وتطا
الناسكون عليه اه .

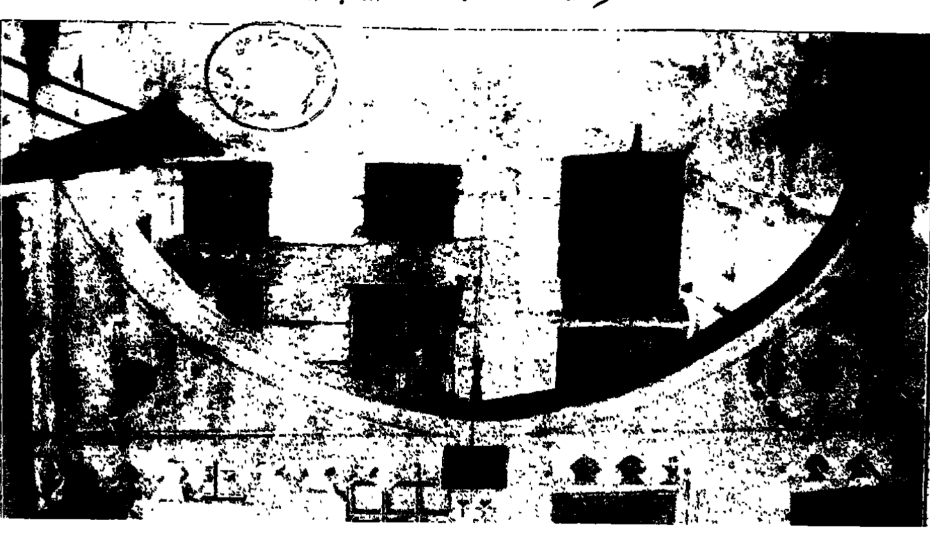
وقال العمري في مسالك الابصار يصف الصفا والمروة : أما الصفا فحج
أزرق عظيم في أصل جبل أبي قبيس قد كسى بدرج الى آخر مو
الوقوف وا كثر ما ينتهي الناس منها الى اثنتى عشرة درجة أو نحوها ، والمرو
فحجر عظيم الى أصل جبل متصل بجبل قعيقعان كانه قد انقسم على جز
وبقيت بينهما فرجة بين منها درج عليها الى آخر الوقوف اه .

وقال ابن بطوطه في رحلته يصف درج الصفا والمروة والعقد الذ
التي على المروة : وللصفا أربع عشرة درجة عليهن كأنها مسطبة .
وللمروة خمس عشرة درجة وهي ذات قوس واحد كبير اه .



يظهر في هذا الرسم موضع الصفا وعليه الثلاثة العقود، وذلك قبل أن يرصف جلالة الملك عبد العزيز السعود شارع المسعى بين الصفا والمروة

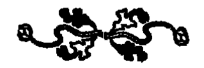
ستون سیمانی [illegible] مدرسه ابتدائیه



وقال التقي الفاسي في شفاء الغرام : والعقد الذي في المروة جدد بعد سقوطه سنة ٨٠١ هـ أو التي بعدها ، وعمارته هذه من جهة الملك الناصر برقوق صاحب مصر واسمه مكتوب في أعلا هذا العقد اهـ .

ولم أقف على السنة التي أنشىء فيها هذا العقد ولا الأيام التي انشأه في كتب التاريخ ، ثم راجعت كثيراً من كتب الفقه والمناسك والتاريخ العام والخاص بمكة طمعاً في الوصول الى ذلك فلم أجد بها خبر عن ذلك ، والذي يظهر لي أن عمارته كانت من ضمن عمارة أبي جعفر المنصور العباسي لبناء الدرج المتقدم ذكرها . فمن ذلك يتضح انه لم يفكر أحد من الخلفاء أو الملوك ، أو السلاطين ، سواء في ذلك أمراء المؤمنين من الأمويين ، والعباسيين أو سلاطين الايوبيين ، والجراكسة ، والعثمانيين ، ممن اهتم منهم بعمارة المسجد الحرام وغيره من مساجد ومآثر أخرى مثل مسجد الخيف ، ومسجد مزدلفة ، ومسجد نمره ، والمسجد الذي على جبل الرحمة بعرفة ، وما أشبه ذلك من المآثر والمشاعر العظام . بل ولا أحد من أمراء مكة وولاتها ، بل ولا غيرهم من اغنياء المسلمين من أهل اليسار في رصف شارع المسعى بين الصفا والمروه ، أو عمل مظلة تقي المطوفين بهما من حر الظهيره وضربة الشمس ، مع انه لم يكن ذلك من الأمور البعيدة عن التصور ، أو المتعذرة الوقوع . وهذا مما يجعل كل مفكر في استغراب عظيم .

ان واجب الانصاف يقضي علينا أن نؤدى لكل ذى حق حقه وذلك أن أول من فكر فى عمل مظلة على شارع المسعى وعملها فعلا هو الملك الشريف الحسين بن على بن محمد بن عبد المعين بن عون ، وذلك انه في سنة ١٣٣٩ هـ أمر الشريف الحسين بعمل مظلة على شارع المسعى وعهد بعملها الى الشيخ عبد الوهاب قزاز ، فقام المذكور بعملها فكان قوائمها من اساطين الحديد وسقفها من الخشب على شكل (جملون) مصفح بالتوتوه وقد استفاد من ظلها عموم للطوفين بين الصفا والمروة ، وكان ابتداؤها من باب العباس ، وانتهاؤها الى المروة . وهي لا تزال على عملها الأول الى الآن ، غير انه قد جرى اصلاحها وتبديل قسم منها من قبل أمانة العاصمة في عهد رآسة الشيخ عباس قطان الحالى وذلك بأمر جلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام عبد العزيز المعظم حفظه الله تعالى . ولا تزال حكومة جلالته تفكر فى ابدالها بما هو أمتن وأجمل منها .





شارع المسعى بعد أن رصفه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم سنة ١٣٤٥ هجرية من ناحية الصفا

وصف شارع المسعى

فلما كانت سنة ١٣٤٥ هـ أمر جلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود خلد الله ملكه بفرش شارع المسعى من الصفا الى المروة ، فتشكلت لذلك هيئة بامانة العاصمة في رآسة أمين العاصمة السابق السيد عبدالوهاب بن احمد نائب الحرم الذي هو الآن أحد أعضاء مجلس الشورى ، ومعاونه السابق حضرة الشيخ محمد سرور الصبان الذي هو الآن مدير ادارة المالية ، وتشكلت الهيئة من مندوب جلالة الملك المعظم الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية الحالي وبعض أعضاء مجلس الشورى ، وأفراد من أعيان البلاد ممن لهم خبرة ودراية بالفن المعماري ، وأمين العاصمة ومعاونه وبعض أعضاء الأمانة ومهندس الامانة ومعاونه ، وكنت ممن حضر ذلك الاجتماع بصفتي أحد أعضاء مجلس الشورى في ذلك العام أيضا. وتقرر في ذلك الاجتماع بأن يكون فرش شارع المسعى بالحجر الصوان المربع ، وأن يبنى بالنورة ، ويكون الصرف ابتداء من صندوق أمانة العاصمة ، موقتا ثم يسدد من المالية العمومية .

فابتدأ العمل أولا بهدم عموم الدواكين التي على ضفتي شارع المسعى من مبتداه الى منتهاه فلما تم إزالة تلك الدواكين ابتدأ العمل بالرصف من الصفا ، وعمل لذلك احتفال عظيم حضره صاحب السمو الملكي النائب العام الأمير فيصل بن عبد العزيز المعظم حفظه الله تعالى [illegible] الاساس بيده الشريفة ، وتلى الدعاء الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح خطيب وامام المسجد الحرام [illegible] صاحب الجلالة الملك عبد العزيز المعظم بدوام النصر والظفر والتوفيق له ثم استمر العمل بهمة عالية وكان القائم بصرف أجور العمال [illegible] أمين العاصمة الشيخ محمد [illegible] الصبان وكان [illegible] رصف شارع المسعى في أوائل [illegible] [illegible] الشارع في غاية الاستقامة وحسن المنظر [illegible] يؤدون نسكهم بكمال الراحة والسلامة من وحل [illegible] معنى ذلك كما هو ظاهر [illegible]

فكان هذا [illegible] أول [illegible]

وأول مرة رصف فيها شارع المسعى من الصفا الى [illegible] على [illegible] بل منذ سكن الحجاز . وكان جلالة الملك [illegible] العزيز آل سعود المعظم أول ملك اعتنى برصفه ، ولا شك ان هذا العمل من أجل الاعمال التي قام بها رجال الاصلاح في مكة المكرمة ، وأعظم مفخرة من مفاخر ملوك المسلمين ، فجزى الله تعالى المحسنين على احسانهم خير الجزاء ، ووفق



مدير المالية العام الشيخ محمد سرور الصبان

جلالة الملك عبدالعزيز المعظم الى كثير من أمثال هذه الاعمال التي فيها منافع لوفود بيت الله الحرام . وسخر أغنياء المسلمين لان يقتدوا به في أعمال الخير والبر والاحسان خصوصا في عمل ما يكون فيه تشييد لدعائم الدين الحنيف، وراحة للوافدين والعاكفين ببلدالله الامين، وتشييد المشاعر العظام كي لا يمحى أثرها بتداول القرون وكرّ الازمان ، ويحتذي موضعها [illegible] الاعمال [illegible] من كل فج عميق في مستقبل الازمان من أبناء هذا الدين الحنيف ولا شك أن كل عمل من أمثال هذه الاعمال فيه خيرى الدنيا والآخرة .

[illegible]

أولئك الذين صرفوا قسطا عظيما من عنايتهم في [illegible] الحرام والمشاعر العظام طيلة تلك القرون المنصرمة وأصبح ذكرهم حياً خالداً معطراً بأطيب [illegible] وأجمل الثناء وأجزل الشكر من عموم [illegible] المسجد الحرام [illegible]

وها أنا ذا قد [illegible] عملا في العصر الحاضر ممن أدركتهم وشاهدت أعمالهم الحسنة من الملوك العظام ، والسلاطين الفخام ، والامراء الكرام ، والوزراء المحترمين الذين خصهم الله بالهمم العالية ، وقد وصفت أعمالهم بايجاز حسبما اقتضى

الحال خشية الاطالة، وأسندت كل عمل الى عامله سواء كان جليلا أو حقيرا والذين أدركتهم وشاهدت أعمالهم هم السلطان عبد الحميد خان، والسلطان محمد رشاد خان من سلاطين آل عثمان، والملك الشريف الحسين بن علي. وجلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود. فقد قاموا بدورهم كلا بحسب ما وفق اليه من العمل الجزيل أو بحسب مستطاعه مقتديا بمن سلف ممن أحسن عملا من الخلفاء الراشدين. والامويين. والعباسيين. والملوك والسلاطين أولئك الذين قد صرفوا من عنايتهم في عمارة المسجد الحرام والمشاعر العظام ما جعلهم قدوة لكل من يريد أن يعمل خيرا من أغنياء المسلمين والله تعالى لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى.

ذرع شارع المسعى

قد اعتنى بذرع شارع المسعى كثير من العلماء في كتب شتى من مناسك وتاريخ وما أشبه ذلك بالذراع والخطوة. في الازمنة القديمة. وبالمتر في العصر الحاضر ونتج من ذلك خلاف سببه اختلاف المقاييس. واليك ما جاء في ذلك قال أبو الوليد الازرقي في كتابه (أخبار مكة) ذرع ما بين الركن الاسود الى الصفا مائتا ذراع واثنان وستون ذراعا وثمانية عشر اصبعا، وذرع ما بين باب المسجد الذي يخرج منه الى الصفا الى وسط

الصفامائة ذراع واثنا عشر ذراعا ونصف وعلى الصفا اثنتا عشرة درجة من حجارة . ومن وسط الصفا الى علم المسعى الذى فى حد المنـارة مائة ذراع واثنان وأربعون ذراعا ونصف ، والعـلم أسطوانة طولها ثلاثة أذرع وهى مبنية فى حد المنارة وهى من الأرض على أربعة أذرع وهى ملبسة بفسيفساء وفوقها لوح طوله ذاع وثمانية عشر اصبعـا وعرضه ذراع مكتوب فيه بالذهب وفوقه طاق ساج . وذرع مابين العلم الذى فى حد المنارة الى العلم الأخضر الذى على باب المسجد وهو المسعى مائة ذراع واثنـا عشر ذراعا والسعى بين العلمين ، وطول العلم الذي على باب المسجد عشرة اذرع وأربعة عشر اصبعا منه أسطوانة مبيضة ستة اذرع وفوقها اسطوانة طولها ذراعان وعشرون اصبعـا وهى ملبسة فسيفساء أخضر ، وفوقها لوح طوله ذراع وثمانية عشر اصبعا واللوح مكتوب فيه بالذهب . وذرع مابين العلم الذي على باب المسجد الى المروة خمسمائة ذراع ونصف ذراع ، وعلى المروة خمس عشرة درجة . وذرع ما بين الصفا والمروة سبعمائة ذراع وستة وستون ذراعا ونصف ، وذرع مابين العلم الذي على باب المسجد الى العلم الذى بحذائه على باب دار العباس بن عبـد المطلب وبينهما عرض المسعى فستة وثلاثون ذراعا ونصف . ومن العلم الذى على باب دار العباس الى العلم الذي عند دار ابن عباد الذي بحذاء العلم الذى فى حد المنارة وبينهما الوادي مائة ذراع واحد وعشرون ذراعا . ثم قال ابو

الوليد الازرق وحدثني جدي أحمد بن محمد قال كان الصفا والمروة يسند فيهما من سعى بينهما ولم يكن فيهما بناء ولا درج حتى كان عبد الصمد بن علي في خلافة أبي جعفر المنصور فبنى درجهما التي هي اليوم درجهما فكان أول من أحدث بناءها ثم كحل بعد ذلك بالنورة في زمن مبارك الطبري في خلافة المأمون اهـ .

فتحصل من ذرع الازرق أن ما بين الصفا والمروة ٧٦٦½ ذراعا . وأن من الصفا الى العلم الذي عند المنارة ١٤٢½ ذراعا ومن العلم الذي عند المنارة الى العلم الذي عند باب العباس ١١٢ ذراعا . ومن العلم الذي عند باب العباس الى المروة ٥٠٠½ ذراع . فيكون مجموع ذلك ٧٥٥ ذراعا ، وهذا أقل بأحد عشر ذراعا ونصف عما ذكره اجمالا والظاهر انه اعتبر الذرع الأول من علو الدرج ، وهذا الاخير من ابتداء الدرج .

وقد ذكر ذرع شارع المسعى ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار فقال : وذرع ما بين الصفا والمروة وهو المسعى سبعمائة ذراع وثمانون ذراعا (٧٨٠) ومن الصفا الى الميل الأخضر المائل في ركن المسجد على الوادي مائة وثمانون ذراعا (١٨٠) ومن الميل الأخضر الى الميل الأخضر الذي بازاء دار العباس وهو موضع الهرولة مائة وخمس وعشرون ذراعا (١٢٥) ومن الميل الثاني الى المروة أربعمائة وخمس وسبعون ذراعا (٤٧٥) فجميع ما بين الصفا والمروة (٧٨٠) ذراعا اهـ .

فظهر من ذرع العمرى بذراع اليد أن ذرعه أكثر من ذرع الازرقي بأربعة عشر ذراعا ، فاذا اعتبرنا ذراع اليد (٤٨) سنتمتر فيكون ذرع الازرقي (سنت ٦٨ متر ٣٦٢) ويكون ذرع العمرى (سنت ٤٠ متر ٣٧٤) فيصبح الفرق بينهما نحو سبعة امتار فى طول شارع المسعى بين الصفا والمروة .

وقد ذرع ابراهيم رفعت باشا شارع المسعى بالمتر ، واليك ما ذكره فى مرآة الحرمين ملخصا قال : الصفا هو شبيه بالمصلى طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة امتار مرتفع عن الارض بنحو مترين يصعد اليــه بأربع درجات ، وفى جنوبى هذا المكان أى وراءه أربع درجات أخرى صاعدة اقيم عليها ثلاثة عقود فى صف واحد من الشرق الى الغرب وبعـد هذه الدرجات الخلفية أصل جبل ابى قبيس وحول الصفا جدار يحيط به ماعدا الجهة الشمالية التي منها المرقي . ثم نقل عن التقى الفاسى وصف الصفا وهو: الصفا مكان مرتفع من جبل له درج وفيه ثلاثة عقود ، والدرج من أعلى العقود وأسفلها وبعض الدرج الذى أسفل العقود مدفون وذلك ثمان درجات ثم فرشة مثل بعض الفرشات الظاهرة التى امام العقود ثم درجتان وماعدا ذلك ظاهر للعيون وهو درجة أسفل العقود ، ثم فرشة كبيرة ، ثم ثلاث درجات ، ثم فرشة كبيرة هى السفلى الملاصقة للأرض ، وربما علا التراب على هذه ، وما ذكرناه من الدرج المدفون شاهدناه بعد حفرنا عنه فى شوال سنة ٨٠٤ هـ انتهى قول الفاسى .

ثم قال ابراهيم رفعت باشا : والمروة في الشمال الشرقي للمسجد الحرام وهي منتهى المسعى في أصل جبل قعيقعان يصعد اليها بخمس درجات فقط بعدها مسطبة طولها أربعة أمتار في عرض مترين بعدها مسطبة أخري عرضها متر واحد ملاصقة لجدار المروة ، ومن دون الدرجات الخمس عقد شاهق ، والشارع الذي بين الصفا والمروة هو المسعى وطوله (٤٠٥) أمتار ومن الصفا الى الميلين الاخضرين أحدهما في حائط المقابل للمسجد وثانيهما حذاءها بجوار باب المسجد الحرام المسمى باب البغلة وطول هذا القسم (٧٥) مترا ، والقسم الوسط يبتدئ من هذين الميلين وينتهي الى الميلين الآخرين أحدهما بباب المسجد المسمى باب علي ، والآخر في الحائط المقابل لجدر المسجد وطول هذا القسم (٧٠) مترا ، والثالث من هذين الميلين الى المروة وطوله (٢٦٠) مترا اه .

فتحصل من ذرع ابراهيم رفعت باشا أن طول شارع المسعى من الصفا الى المروة (٤٠٥) أمتار ، وهذا لا يتفق مع ذرع الازرقي ولا ذرع العمري ولذلك رأيت من الواجب أن أذرع شارع المسعى بالمتر لاظهار الحقيقة فذرعته واليك تفصيل ذلك

الصفا في حالته الحاضرة بعد رصف جلالة الملك عبدالعزيز السعود شارع المسعى يحتوى على درجتين تبتدأ من أرض الشارع المرصوف مصعدة الى علو الصفا ، ثم بعدها بسطة ، ثم بعد البسطة ثلاثة عقود مطوية

فى خط واحد وبين دعائم العقود أربع درجات مصمدة الى صخرة منبسطة ظاهرة فى أصل جبل ابى قبيس ، ومن اول الدرج الى صدر الصفا عند الجدر الواقع فى منتهى الصخرة (سنت ٦٠ متر ١١) وعرض أصل الصفا التى عليها الثلاثة العقود (١٢) متراً . ومن ابتداء درج الصفا الى العلم الاخضر الملاصق لمنارة باب على (٧٤) متراً ومن هذا العلم الى العلم الاخضر الواقع فى باب العباس وهو موضع الهرولة (٦٠) متراً ومن هذا العلم الى اول درج المروة (٢٤٠) مترا . وعند المروة عقد كبير سمته (٧) أمتار . ومن العقد الى الجدر الواقع فى صدر المروة (سنت ٧٠ متر ٨) وعلى ذلك يكون طول شارع المسعى من ابتداء درج الصفا الى ابتداء درج المروة (٣٧٤) مترا ومن صدر الجدر الذى فى منتهى علو الصفا الى صدر الجدر الواقع فى منتهى علو المروة (سنت ٣٥ متر ٣٩٤) .

وعلى ذلك يكون ذرع العمرى منطبق تمام الانطباق على ماذرعناه من ابتداء درج الصفا الى ابتداء درج المروة . واما ذرع الازرقى فربما يكون من أول درج الصفا قبل ان يعلو شارع المسعى حينما كان درج الصفا (١٢) درجة الى أول درج المروة حينما كان درجها (١٥) درجة .

واما ذرع ابراهيم رفعت باشا شارع المسعي الذى هو (٤٠٥) امتار فهذا لا ينطبق على ذرع الشارع المذكور لا من علوه ولا من ابتداء الدرج، ولما اطلعت على ذرعه داخلنى الشك فيما ذرعته فأعدت ذرع الشارع مرة

أخرى من علوه ، ومن ابتداء الدرج فوجدت الصحة فيما ذرعته ولذلك نبهت عليه . هذا ما كان من ذرع شارع المسعى قديما وحديثا والله أعلم .

ادارة المسجد الحرام

كانت ادارة المسجد الحرام في العصور المتقدمة يقوم بها أمراء مكة المكرمة وولاتها وذلك فى عصر الخلفاء الراشدين ، وخلفاء الامويين والعباسيين ، وسلاطين الجراكسة وكانوا هم المسؤلون عن كل قصور يحصل من خدمة المسجد الحرام أمام الخلفاء ، والملوك والسلاطين. فلما صار أمر الحرمين الشريفين بيد سلاطين آل عثمان عهدوا بذلك أيضا الى الى ولاتهم على مكة المكرمة وأعطوهم لقبا خاصا وهو (شيخ الحرم) وعينوا لهم نائبا ينوب عنهم فى مراقبة عموم خدمة المسجد الحرام من مؤذنين ، وفراشين ، وكناسين، وبوابين ، ووقادين ،ومشدية ، وغيرهم ثم عينوا دائرة للاوقاف ووضعوا لها رئيسا لقبوه (مدير الاوقاف) ووظيفة هذا المدير مع دائرته القيام بجباية ما هو موقوف بمكة المكرمة على المسجد الحرام وما احتوى من مآثر ، وصرف المرتبات لعموم موظفى المسجد الحرام ، وصرف العوائد السنوية التى تأتى من الخارج حسب شرط واقفها من صرور ، ومخصصات وعوائد، وحنطة الجراية وما أشبه ذلك ولها دفاتر خاصة تسجل فيها أسماء الموظفين من أئمة ، وخطباء ومؤذنين،

ووقادين ،وكناسين، وفراشين ، ومشدية ، وبوابين، وغيرهم .وكذلك سدنة الكعبة المعظمة واتباعهم من أهل الوظائف ، وأغوات الحرم ، وتقوم أيضابصرف عوائد رئيس السدنة الذين هم بنو شيبة بن عثمان الحجبي من طيب وبخور ، وما يلزم لغسيل الكعبة المعظمة كما تقدم ذكره فى تاريخ الكعبة،ودائرة الأوقاف مرتبطة من الوجهة الاداريةبشيخ الحرم الذى هو والى مكة ، ومن والوجهة المالية بنظارة الاوقاف بالاستانة العلية أى القسطنطينيه .

وهكذا العمل منذ عهد السلطان سليم خان الاول الى أن استقل الملك الشريف الحسين بن على فى ٩ شبعان سنة ١٣٣٤ بالحجاز . ثم فى عهد الشريف الحسين سار على هذا العمل وزاد على خدمة الحرم دائرة شرطة وعين فيها رئيسا وجنودا غير الشرطة المعتادين ، وجعل مهمتهم مراقبة اللصوص ، وأهل الفساد ، وجمع ما سقط من الحجاج بالمسجد الحرام والاعلان عنه .

ثم لما استولى جلالة ملك المملكة العربية السعودية الامام عبدالعزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل السعود على الحجاز جعل للمسجد الحرام ادارة خاصة وجعل رئيسها نائب الحرم وسميت هذه الادارة (مجلس ادارة الحرم)ووظيفتها القيام بادارة شؤن المسجدالحرام مع مراقبة عموم

خدمة المسجد الحرام والقائم بشؤن هذه الادارة الآن هو السيد هاشم ابن سليمان بن أحمد نائب الحرم .

وبما أن ريع أوقاف الحرمين الشريفين انقطع وروده الى الحجاز زمن عموم الممالك الاسلامية الذى كان يرد خزينة نظارة الاوقاف العثمانية وكان يصرف منه عموم عوائد الخدمة وغيرهم فقد اصدر ارادته جلالة الملك عبد العزيز السعود المعظم بصرف عموم مرتبات خدمة المسجد الحرام من صندوق المالية بعد أن صار تعديلها وزاد فى مرتب البوابين والمؤذنين وغيرهم ضعف ما كان يصرف لهم فى زمن الحكومة العثمانية .

وأما ادارة الاوقاف فصارت وظيفتها الآن هى عمارة ومرمة المسجد الحرام ، وادارة شؤن الاوقاف العمومية ، وادارة عموم المساجد الموجودة بمكة المكرمة ، والقيام بالمطعم السعودى وتوزيع مايصدره من الخبز الى كافة المستحقين من الفقراء وغير ذلك . فهذا ملخص ادارة المسجد الحرام اذ التفصيل يحتاج الى جزء خاص .



أنصاب الحرم

وبما أن كثيرا من النـاس يهمهم معرفة (أنصاب الحرم) التي هي حدود الحرم من عموم جهاته، وقد طلب مني كثير من الاصدقاء أن آتي في خاتمة هذا المصنف بشيء من ذلك، فاجابة لطلبهم وتتميا للفـائدة انى أذكر هنا بعض ما وقفت عليه في كتب التاريخ والمناسك عن انصاب الحرم واليك ذلك قد ذكر الازرقي في تاريخه (أخبار مكة) والتقي الفاسي في تاريخه (العقد الثمين) والامام النووي في كتابه (الايضاح) في مناسك الحج شيئا من ذلك فبعضهم تفصيلا وبعضهم اجمالا قال الازرقي: أول من وضع أنصاب الحرم إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بدلالة جبريل عليه السلام، ثم قصي بن كلاب، ثم قريش قبل الهجرة، ثم أمر رسول الله ﷺ بنصبها عام الفتح، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم معاوية ابن أبي سفيان، ثم عبد الملك بن مروان، هذا ما ذكره الازرقي فيمن نصبها. وقال الفاسي: بعد أن ذكر ما تقدم في العقد الثمين وفي رواية ممن نصبها إسماعيل عليه السلام، ثم عدنان بن أدّ، ثم نصبها محمد المهدى العباسي، وفي خلافة الراضي العباسي عُمّر العلمان الكبيران اللذان في جهة التنعيم بالارض، لا بالجبال وذلك في سنة ٣٢٥. انتهى.

فظهر من قول التقي الفاسي أن في خلافة الراضي العباسي عمر العلمان اللذان بالارض، بأنه كان في عصره علمان آخران على جبل التنعيم خلاف العلمين الموجودين في العصر الحاضر اللذين هما بالارض عند مسجد التنعيم واللذين لا يزالان على حكمهما وجودة عمارتهما وأما اللذان كانا على الجبل فلا وجود لهما ولا أثر لهما في العصر الحاضر، ولم أقف على خبر حين مراجعتي الكثير من الكتب عن سبب هدمهما، ولا السنة التي هدمتا فيها، ولا عن اسم الهادم لها ان كان هدمهما قصداً يقربوهن البناء والله أعلم.

قال الفاسي: وفي سنة ٦١٦ عمر العلمان اللذان هما حد الحرم من جهة عرفة من قبل المظفر صاحب أربل، وعمرا في سنة ٦٨٣ من قبل المظفر صاحب اليمن. انتهى.

وقد ورد في شرح الايضاح لابن حجر الهيتمي المكي أن المظفر وضع ثلاثة أعلام حداً لعرفة، وذلك بعد تحقيق الموضع الذي هو الحد الصحيح لعرفة من قبل جمع من العلماء، وقد هدم أحد الاعلام الثلاثة الذي يلي (مسجد نمرة) ولم يبق منهم الا علمان فقط في العصر الحاضر ولم يذكر ابن حجر الهيتمي ولا غيره السنة التي هدم فيها ذلك العَلم الثالث، ولا سبب هدمه، ولا أدري لِمَ لم يجدد ولاة الامر في تلك العصور ذلك العلم الذي هدم. والذي يظهر لي أن في الامر غموضا نشأ عن تعصب بعض أهل المذاهب التي من رأيها أن حدود عرفة هو منتصف

مسجد نمرة ، حيث كان العلم أمام مسجد نمرة مما يلى عرفة بعد وادى عُرنة . والصحيح الذى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في حد عرفة من الجهة الغربية هو وادى عرنة ووادى عرنة واقع بين مسجد نمرة وعرفة كما هو مشاهد ومعلوم والله اعلم .

ثم قال التقي الفاسي : وقد ورد فى المسافة التى بين المسجد الحرام وأنصاب الحرم أقوال كثيرة ، أما حد الحرم من جهة عرفة فذكر أبو الوليد الباجي المالكي أنه ثمانية عشر ميلا ، وذكر الازرقي والفاكهي وابن خردادبة الخراساني فى المسالك والممالك أنه أحد عشر ميلا ، وذكر ابن أبي زيد فى النوادر أنه تسعة أميال ، وذكر الماوردي وأبو إسحاق الشيرازي والنووي أنه سبعة أميال . قال الفاسي : وفيما قالوا نظر وأما حد الحرم من جهة العراق ففيه أربعة أقوال وهى ستة أميال ، وسبعة ، وثمانية ، وعشرة ، وأما حده من جهة الجعرانة ففيه قولان أحدهما بريد — يعنى اثنى عشر ميلا — والثانى تسعة أميال ، وأما حده من جهة التنعيم ففيه أربعة أقوال ثلاثة أميال ، ونحو أربعة ، وأربعة ، وخمسة أميال ، وأما من جهة جدة ففيه قولان عشرة ، ونحو ثمانية عشر على ما ذكره الباجي وأما من جهة اليمن قولان سبعة ، وستة ، ذكر المحب الطبري فى القرى .

ثم قال الفاسي : وقد اعتبرت مقدار الحرم من جهاته المعروفة بحبل مقدر على ذراع اليد ، فمن جدر باب المسجد الحرام المعروف بباب

بني شيبة — أي باب السلام — الى العلمين اللذين هما علامة حدود الحرم من جهة عرفة (٣٧٢١٠) أذرع يد، وأما حده من العراق — طريق العراق — فمن باب بني شيبة الى العلمين اللذين بجادة وادي نخلة (٢٧٢٥٢) ذراع يد — وادي نخلة الذي ذكره الفاسي هنا المراد به وادي الليمون المسمى في العصر الحاضر (المضيق) وقديما يسمى (نخلة الشامية) — ثم قال الفاسي: والحد من التنعيم فمن باب العمرة الى الاعلام (١٢٥٢٠) ذراع يد، ومن جهة اليمن فمن باب ابراهيم الى الاعلام (٢٤٥٠٩) أذرع يد.

هذا ما ذكره التقي الفاسي في العقد الثمين ولم يذكر ذرع حد الحرم من جهة جدة كما ذكره باعتبار الاميال فيما تقدم ويظهر انه قد ذكره وانما سقط على الناسخ وذلك لانه قد اعتنى بذرع عموم الجهات الاخرى بذراع اليد، ومن تصفح ما ذكره الفاسي يظهر انه وقع في المسافة التي بين باب السلام والعلمين اللذين جهة عرفة زيادة كبيرة تبلغ نحو أربعة أميال عما ذكره النووي لان المسافة التي ذكرها تبلغ نحو احد عشر ميلا والنووي ذكرها سبعة أميال.

وأما سبب الخلاف الواقع بين العلماء في المسافة بين الحدود والمسجد الحرام فهو ناتج على ما ظهر لي من أمرين أحدهما اختلافهم في مبدأ الذرع حيث بعضهم جعل مبدأ الحد من أبواب المسجد الحرام، وبعضهم جعله من أبواب مكة مثل باب الشبيكة الذي هو حارة الباب، وباب المعلاة

الذي هو قريب من الحجون . والامر الثاني اختلافهم في قدر الميل حيث بعضهم قدره بستة آلاف ذراع يد ، وبعضهم قدره بأربعة آلاف ذراع يد ، وبعضهم بثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع يد ، وبعضهم قدره بألفي ذراع يد . وكذلك يختلف ذراع اليد بحسب اختلاف الاجسام في الطول والقصر وهو يتراوح من (٤٦) سنتمتر الى (٥٢) سنتمتر . كما أن الاميال اعتبارية فيما سبق فهي اعتبارية في العصر الحاضر حيث أن الميل البرّي هو خلاف الميل البحري وكذلك الميل الجغرافي يختلف عنهما .

وجاء في شرح الايضاح لابن حجر الهيتمي المكي نقلاً عن التقي الفاسي انه قال تتمة لعبارته المتقدمة : ومما ذكر في بيان المسافة من باب السلام أو الصلاة بالذراع وبيان الاقوال الاربعة في الميل وما يتفرع على كل منها باعتبار التحديد من باب السلام والصلاة يتبين أن كل واحد من الاقوال الاربعة في حد المسافة مبني على واحد من الاقوال في مسافة الميل ولا يعارض ذلك كون القائلين بذلك يرون أن الميل ستة آلاف ذراع لأنهم هنا قلدوا المؤرخين وكل منهم يطلق الميل على مسطحه فاذا نظر الفقيه في كلامه قلده من غير تحقيق لمراده اذ لا يظهر الا بالتذراع ، ولم يبلغنا عن أحد من المختلفين في هذه المسافة انه قال أن ما ذكره كان بعد تحريره بالذراع ، فتعين بعد أن علم تحريره به تأويل ما خالفه ورد هذه الاقوال المتباينة الى تلك الاقوال في الميل المتباينة ايضا على أن التحديد

المذكور فى الاقوال غير مراد لما علمت . انا وان فرعنا تلك الاقوال على الاقوال فى الميل لا يأتى الا اذا جعلنا ذلك تقريباً ، وايضاً فالزيادة والنقص قد يكونان لشدة المدّ فى الحبل المقيس به وارخائه ، أو لأجل ارتفاع الارض وانخفاضها ، أو لاجل اعتبار المسافة من محل آخر غير ما ذكر من باب السلام .

فهذه الاعتبارات والتقديرات التى ذكرها التقي الفاسى كلها واردة ومن الجائز وقوعها ، ولاشك أنها هى السبب الوحيد في وقوع الخلاف بين العلماء الذين تصدوا وتحملوا المتاعب فى سبيل ذرع المسافة بين المسجد الحرام وحدود الحرم التى أنشئت عليها الانصاب أو الاعلام لأجل أن يعرف حدُّ الحرم عندكل من تجاوز ذلك الحد سواء كان من البادية المجاورة للحرم أومن عموم الافاق النائيه ، ولاتزال تلك الانصاب موجودة فى مواضعها التى قد عرفت من عهد ابراهيم الخليل ﷺ والعهد النبوي الى العصر الحاضر ، ومن رأيى انه لا يمكن الجزم بصحة المسافة الواقعة بين المسجد الحرام وتلك الانصاب الا اذا تشكلت لجنة من مهندسين معماريين ممن لهم علم وتخصص بفن المساحة ، ومن بعض من لهم علم بفن الجغرافيا وبعض الفقهاء الذين اعتنوا بضبط حدود الحرم من الوجهة الشرعية، وعهد اليها بذرع المسافة المذكورة بالمتر وذراع العمل المعمارى لأن هذين المقاسين قدعرفا وهما لا يقبلان الشك والتردد ، لأن ذراع اليد

يختلف بحسب جسامة الانسان وهو يتراوح بين (٤٦) سنتمتر و (٥٢) سنتمتر ، وهذان القاسان لا يقبلان الزيادة ولا النقصان ، ويكون مبدأ القياس من ابواب المسجد الحرام ، أو من الكعبة المعظمة ، وبعد ذلك تظهر الحقيقة ويعلم نوع الميل الذى قدر فيما سبق لتلك المسافة ووجه الخلاف الذى وقع بين العلماء فى ذلك . كما قد عملته فى ذرع المسجد الحرام ، وشارع المسعى ، وأظهرت سبب الخلاف الواقع فى مساحة المسجد من جهة نوع الذراع ومبدأ الذرع ، حيث أن ذرع المسافة بين المسجد وحدود الحرم لا يتأتى ضبطها من فرد ، اذ ربما يقع عليه السهو ، والغلط ويدخله الشك ، وأما اذا كانوا جماعة أخصائيين فلا ريب أنهم يضبطون ذلك بكل دقة وبدون أى تردد فى صحة ذرعهم ، وليس ذلك بالامر الصعب على من أراد تشكيل تلك اللجنة والله الموفق للصواب .

قال النووى فى مناسكه (الايضاح) : فحد الحرم من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت بنى نفار على ثلاثة أميال من مكة ، ومن طريق اليمن طرف (أضاة لبن) فى ثنية لبن على سبعة أميال ، ومن طريق العراق على ثنية (جبل القطع) على سبعة أميال من مكة ، ومن طريق الجعرانة فى شعب آل عبد الله بن خالد تسعة أميال من مكة ، ومن طريق الطائف على عرفات من بطن نمرة سبعة أميال من مكة ، ومن طريق جدة منقطع الاعشاش على عشرة أميال من مكة ، ثم قال النووى : فهذا

حدما جعله الله عز وجل حرما لما أختص به من التحريم ، وباين بحكمة سائر البلاد، هكذا ذكر حدوده أبو الوليد الأزرقي في كتابه أخبار مكة ، وأصحابنا في كتب الفقه ،والماوردى في الاحكام السلطانية وآخرون. الا أن الأزرقى قال في حده من طريق الطائف أحد عشر ميلا ، والجمهور قالوا سبعة، ولم يذكر الماوردى حده من جهة اليمن .ثم قال النووى: فاعتمد ماضبطته لك من حدود الحرم فما أظنك تجده أوضح ولا أتقن من هذا ، واعلم أن الحرم عليه علامات من جوانبه كلها ومنصوب عليها أنصابه وهى الآن بينة ولله الحمد . اه .

وقد جزم الامام النووى أن ذرع المسافة الواقعة بين المسجد الحرام والانصاب هى كما أوضحها ، ويدل ذلك على أنه قد اطلع على الخلاف الواقع بين العلماء في ذلك واختار من تلك الاقوال ماجزم به والظاهر أن الميل الذى اعتمد عليه النووى هو أربعة آلاف ذراع يد ، والاربعة الآلاف الذراع اليد على حسب ما هو مقدر على الحالة الوسطى باعتباره (٤٨) سنتمتر يكون الميل هو عبارة عن (١٩٢٠) مترا والله أعلم

وذكر ابن حجر الهيتمي المكى في شرح مناسك الايضاح منظومة تحتوى على عموم حدود الحرم من الجهات كلها وما هى :

وللحرم التحديد من أرض طيبة ثلاثة أميال اذا رمت اتقانه

وسبعة أميال عراق وطائف وجدة عشر ، ثم تسع جعرانه

ومن بعن سبع بتقديم سينها وقد كملت فاشكر لربك احسانه

وهذه الحدود المنظومة هي عين الحدود التي ذكرها النووي فيما تقدم والظاهر أن الشاعر نظم تلك الحدود بعينها بدون زيادة او نقصان والله أعلم .

خاتمة الكتاب

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه تأليف تاريخ عمارة المسجد الحرام في غرة ربيع الاول سنة ١٣٥٤ هجرية الموافق ٣ يونيه سنة ١٩٣٥ ميلادية وتم تبيضه في يوم الاربعاء ٢٠ شوال سنة ١٣٥٤ هجرية الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٣٦ ميلادية ، بمكة المكرمة بقلم مؤلفه الراجي من الله سبحانه وتعالى السداد في أعماله حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندي الحضرمي المكي وبالله التوفيق ؟

في ٢٠ شوال سنة ١٣٥٤ المؤلف

حسين بن عبدالله
باسلامه

مصادر تاريخ عمارة المسجد الحرام

قد راجعت كثيرا من كتب التفسير والحديث والسير والفقه والمناسك والمعاجم واللغة والتاريخ بغية الوصول الى أى فائدة علمية أو تاريخية تتعلق بشؤن المسجد الحرام ومحتوياته ومتعلقاته مما يربو على مائتى مؤلف لأنه لم يؤلف كتاب خاص بتاريخ المسجد الحرام لا قديما ولا حديثا على ما علمت وانما من حيث ان المسجد الحرام مذكور فى معظم تواريخ مكة وبعض كتب المناسك والفقه والحديث والتفاسير وغيرها من الكتب الاسلاميه فقد ذكرت هنا اسماء الكتب التى نقلت منها جملا صالحة لهذا المؤلف وهى ماتسمى بمصادر الكتاب، وتركت ذكر اسماء أكثر الكتب التى راجعتها لعدم الاطالة وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عدد

١ القرآن المجيد

٢ تفسير القرآن لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى... المتوفى سنة ٣١٠

٣ « « للامام ابى محمد البغوي ...... « « ٥١٦

٤ « « لعماد الدين الحافظ بن كثير ... « « ٧٧٧

٥ « « للامام فخر الدين الرازى...... « « ٦٠٦

عدد

٦ تفسير القرآن لعلاء الدين علي بن محمد الخازن قال في كشف الظنون تم تأليفه سنة ٧٢٥

٧ تفسير القرآن للقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥

٨ « « السراج المنير للخطيب ...... « « ٩٦٧

٩ « « روح البيان لحقي افندي ...... « « ١١٠٠

١٠ كتاب الامام للامام محمد بن ادريس الشافعي .. « « ٢٠٤

١١ مسند الامام أحمد بن حنبل .... « « ٢٤١

١٢ صحيح الامام محمد بن إسماعيل البخاري ..... « « ٢٥٦

١٣ « « أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري « « ٢٦١

١٤ سنن الحافظ أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني « « ٢٧٥

١٥ « « أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي « « ٢٧٩

١٦ « « ابن ماجه أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني « « ٢٧٣

١٧ « « أبي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي « « ٣٠٣

١٨ المدونة للامام مالك بن أنس الحميري الاصبحي « « ١٧٩

١٩ شرح معاني الاثار للطحاوي الحافظ الفقيه « « ٣٢١

٢٠ سنن الدار قطني الحافظ الحجة .... « « ٣٨٥

٢١ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢

عدد

٢٢ ارشاد السارى شرح صحيح البخارى للعلامة القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣

٢٣ شرح صحيح مسلم اللامام محى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦

٢٤ سيرة امام اهل السير ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ ورواية ابن هشام عبدالملك بن هشام المعافرى المتوفى » ٢١٨

٢٥ الاستيعاب للحافظ ابن عبدالبر الاندلسى المتوفى سنة ٤٦٣

٢٦ الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلانى » » ٨٥٢

٢٧ مناسك الحج لشيخ الاسلام احمد بن تيمية » » ٧٢٨

٢٨ » » (الايضاح) للامام النووى

٢٩ زاد المعاد للحافظ ابن القيم الجوزية ..... » » ٧٥١

٣٠ شرح الايضاح للعلامة ابن حجر الهيتمى » » ٩٧٩

٣١ الجامع الصغير للسيوطى .... » » ٩١١

٣٢ الاوائل للحافظ السيوطي

٣٣ كنوز الحقائق لعبد الرؤف المناوى ..... » » ١٠٣١

٣٤ كتاب غاية البيان شرح الهداية لقوام الدين الحنفى » » ٧٥٨ خط

٣٥ » البحر العميق لابى البقاء العمرى القرشى المكى » » » ٨٥٤ »

٣٦ حاشية ردالمحتار على الدر المختار لابن عابدين »

عدد

٣٧ تاريخ الامام بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠

٣٨ « مروج الذهب للمسعودي . . . . « « ٣٤٦

٣٩ « العقد الفريد لابن عبدربه الاندلسي « « ٣٢٨

٤٠ « ابن الاثير الجزري . . . . « « ٦٣٠

٤١ « مسالك الابصار لابن فضل الله العمري « « ٧٤٩

٤٢ « البداية والنهاية للحافظ ابن كثير « « ٧٧٤

٤٣ « أبو الوليد الازرق في أخبار مكة « « ٢٢٣

٤٤ « القرى، للمحب الطبري المكي . . . « « ٦٩٤ خط لم يطبع

٤٥ « العقد الثمين، لتقي الدين الفاسي « « ٨٣٢ «

٤٦ « شفاء الغرام، للتقي الفاسي . . . . « « « «

٤٧ « اتحاف الورى، للحافظ نجم الدين بن فهد القرشي المكي المتوفى سنة ٨٨٥ خط لم يطبع

٤٨ « بلوغ القرى، لعبد العزيز بن نجم الدين بن فهد القرشي المتوفى سنة ٩٢٢ خط لم يطبع

٤٩ « الجامع اللطيف القاضي ابن ظهيرة المخزومي المكي المتوفى سنة ٩٥٠

٥٠ « الاعلام لقطب الدين الحنفي المكي . . . . « « ٩٨٨

٥١ « ذيل الاعلام لعبد الكريم بن محب الدين المتوفى سنة ٩٩٠ خط

عدد

٥٢ تاريخ الارج المسكى لعلى بن عبدالقادر الطبرى المكي المتوفى سنة ١٠٧٠ خط
٥٣ « اتحاف فضلاء الزمن للطبري المكى » « ١١٦٣ «
٥٤ « منائح الكرم للسنجارى المكى » « ١١٢٥ «
٥٥ « تحصيل المرام للصباغ المكى .... » « ١٣٢١ «
٥٦ « افادة الانام بذكر اخبار بلد الله الحرم للشيخ عبدالله بن محمد غازى المكى خط لم يطبع
٥٧ الروض الانف للعلامة السهيلى المغربى .... المتوفى سنة ٥٨١هـ
٥٨ رحلة ابن جبير الاندلسى
٥٩ « ابن بطوطة المغربى
٦٠ معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦
٦١ كتاب تهذيب الاسماء واللغات للامام النووى
٦٢ النهاية لابن الاثير الجزرى
٦٣ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى المتوفى سنة ٨١٧
٦٤ نهاية الارب فى انساب العرب للقلقشندى ... « « ٨٢١
٦٥ لقطة العجلان للنواب صديق حسن خان
٦٦ الفتوحات الاسلامية للسيد احمد الدحلان
٦٧ مرآة الحرمين لابراهيم رفعت باشا المصرى
٦٨ الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنونى «

جدول الخطأ والصواب

قد وقع فى هذا الكتاب بعض اغلاط مطبعية مثل عدم ظهور بعض النقط وحرف الالف وما أشبه ذلك مما لا يخفى على فطنة القارئ ، ولذلك لم أدرجها بهذا الجدول وانما ذكرت فى الخط ما وقع من الغلط فى بعض الكلمات ولذلك صار التنبيه .

خطأ	صواب	سطر	صحيفة	خطأ	صواب	سطر	صحيفة
بنسبته	بنسبة	١٧	١٦	٩ ٠	٩٠٠	١٣	١٦٠
وضع	وقع	٧	٢٢	الناس	للناس وأمنا	١٢	١٧٢
أول من	أومن	٣	٢٤	لطاوى	الصحاوى	١٣	١٧٢
ريه	هجرية	١٨	«	طوارق	وطوارئ	٨	١٧٤
المهدى	الوليد	١٠	٢٥	العباسى	للعباس	١٦	١٧٥
رطته	شرطة	١٧	«	عسره	عصره	١	١٧٧
الما ل	الما بل	١٣	٤٢	طبنعته	طبيعته	١٥	١٨٩
الحـ ق	الحـ فى	٤	٤٥	ونماه	ونماها	١٧	١٩٠
الباسظية	الباسطية	٧	٤٦	حتى	متى	١٣	١٩٧
زيادته	زيادة	٣	٤٩	ورقة	ودقة	٣	٢٠٥
فى أول	وفى أول	٥	٥٦	ركرت	ركرا	١	٢٠٩
الخلفاءلا	الخلفاء الامويين	١٠	٧٤	مسطبة	المسطبة	٥	«
الثالثه منه	السقوف منه	١٢	٨٢	وجاءمنه	وجاء فيه	٧	٢٥١
ولم أحد	ولم أرأحداً	٥	١١١	الاساطين	بالاساطين	١٤	«
السلطال	السلطان	١٢	١٦١	وكان المجموع عدد	وكان عدد	١	٢٥٤
١١٢	١١١٢	٥	١٦٠	ةالقناديل	بالقناديل	٨	«

تتمة الخطأ والصواب

خطأ	صواب	سطر	صحيفة	خطأ	صواب	سطر	صحيفة
قدر زيد	قدر مازيد	٩	٢٦٠	المهندسين	المهندسان	١٥	٢٧٩
تطوع نه	تطرع به	٣	٢٦١	برسم	برسمان	«	«
خشبان	خشبتان	١١	٢٦٦	المهندسون	المهندسان	٤	٢٨٠
العثبة	العنبة	١	٢٦٧	يستطيعوا	يستطيعا	٥	«
العثبة	العنبة	٧	«	يجعلوا	يجعلا	«	«
العثبة	العنبة	٨	«	منهم	منهما	٦	«
بلاذهب	بالذهب	٣	٢٦٨	العمال	العمل	١٧	٢٨٢
الثانية		٦	٢٧٤	صلحة	صالحة	١١	٢٨٦
روضعت	ووضعت	٨	٢٧٧	بلون	باللون	٧	٢٨٧